وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون-تيارت

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم الفلسفة وعلم النفس والأرطفونيا

رسالة تخرج ضمن متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه (ل م د) تخصص:

فكر فلسفي عربي إسلامي

الموسومة ب:

المواطنة والتنوع الثقافي عند مولود قاسم نايت بلقاسم

إعداد: الطالب

-مهدي محمد

إشراف الأستاذة:

أ.د/بلخير خديجة

المشرف المساعد:

د.بهلول عبد القادر

السنة الجامعية 2025/2024

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون-تيارت

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم علم الفلسفة وعلم النفس والأرطفونيا

رسالة تخرج ضمن متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه (ل م د) تخصص فلسفة

فكر فلسفي عربي إسلامي

الموسومة ب:

المواطنة والتنوع الثقافي عند مولود قاسم نايت بلقاسم

إعداد: الطالب

-مهدي محمد

إشراف الأستاذة:

أ.د/بلخير خديجة

المشرف المساعد:

د.بهلول عبد القادر

السنة الجامعية 2025/2024

إهـــــــــــــــداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى والدايا وإلى جدي:
برزوق و جدتي:شريفي خيرة،اللذان كانا بمثابة الأب والأم، من ربياني صغيراً، ومازال فقدانهما يؤرقني كثيراً،فرحمهما الله ورحم جميع موتى المسلمين،وجعل هذا العمل في ميزان حسناتهم، كما أهدي هذا العمل إلى ضياء بصري "عماد وهناء،فرح ووليد"وإلى كل إخوتي:وخاصة أمير وأهله وأولاده.

وإلى أمي قرة عيني من راحتي وسعادتي من سعادتها والتي آمل أن يهبها الله موفور الصحة والعافية.

وإلى كلّ الذين أحبهم وأخصّ بالذّكر منهم أحبة العلم.

شـــــــكر وتـــــقدير

بـسـم الـلـه الرحـمان الرحـيـم

إنطلاقا من قوله تعالى:(*أن اشكرْ لي ولوالديك.*).

ومن قوله:عليه الصلاة والسلام: من لا يشكر الناس لا يشكر الله.

إلى جميع أصدقائي، إلى أساتذتي: وأخص بالذكر:بلخير خديجة، والتي لم تبخل علينا بالنصح يوما فبارك الله فيها وأدام لها الصحة والعافية، وإلى كل أساتذة شعبة الفلسفة جامعة تيارت، وجامعة سعيدة.

وإلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في هذا العمل وشكراً.

إلى كل المسلمين: أسال الله لي ولكم المغفرةً والرحمةً وطريق الإستقامة.

مقـــــــــــــــــــــــــدمة

مقدمـــــة:

تعد المواطنة من المصطلحات التي لها دلالة مهمة في الفكر الحداثي، بسبب تغير الفكر وتغير الأوضاع خصوصا بعد الإستعمار الغربي، وما أحدثه من تقسيم وتغيير على الخريطة الجيوسياسية بسبب التداعي لتقاسم ثروات هذه الأوطان، وإن كان لهذا المصطلح مدلول منذ القدم في الفكر الغربي، وكذلك عند اليونان الذين اهتموا بالقوانين التي تنظم شؤون الحياة، وكذلك بالسياسة وأهمية المدينة والوطن في تراثهم، فقد عرف هذا المصطلح منذ زمانهم وتطور، حتى أصبح على ما هو عليه في وقتنا الحالي بحلته الجديدة، وما يحمله من فكر اليونان مع ما أضيف له في الحداثة وقد اهتم الغرب بالمواطنة أيما اهتمام حتى أضحت من المصطلحات الأكثر بحثا واهتماما، وعلى رأس الأولويات، لكنه في المقابل يعد طارئا ودخيلا كمصطلح في الفكر العربي الإسلامي، وإن كانت دلالته ومعانيه موجودة في هذا الفكر منذ وثيقة المدينة التي وضعها النبي–صلى الله عليه وسلم–أما مصطلح الثقافة والتنوع الثقافي فهو موضوع يحمل الكثير من الدلالات في فضاء التاريخ القديم وكذلك الحديث، لذا كانت الإشكالية الرئيسية للبحث تنطلق من مسلمة أن الأمة الجزائرية غنية بتراثها وثقافتها، الممتدة منذ حقب زمنية طويلة وليست وليدة العصر الحديث أو فترة الإستقلال، وقد كان من مفكري الأمة البارزين في فترة الثورة والإستقلال مولود قاسم نايت بلقاسم والذي يعد أيقونة تحدت الظروف ونادت بأعلى صوتها للدفاع عن هوية الأمة وثقافتها، ومن هنا كانت الإشكالية كالتالي:

–الإشكالية الرئيسية:

–ما هي الدلالات التي يحملها مفهوم المواطنة عند مولود قاسم؟ وكما هو معلوم فالجزائر تتمتع بتنوع وتعدد ثقافي فكيف ساهم مولود قاسم من خلال عناصر الإنية الجزائرية في المحافظة على هذا الإرث والتنوع؟ وما مفهوم الإنية عند مولود قاسم نايت بلقاسم؟

–الأسئلة الفرعية:

-كيف انتقل مفهوم المواطنة من الفكر الغربي إلى الفكر العربي الإسلامي؟

-ماهي الروافد والمرجعيات الفكرية لمولود قاسم؟

-كيف كان ينظر مولود قاسم للذات وللآخر؟

-وكيف هي مسألة الإنتماء والمواطنة في الخطاب الفكري الجزائري المعاصر، من خلال نظرة جمعية العلماء المسلمين، مالك ابن نبي ومحمد أركون للتراث والثقافة؟

وعلى أساس هذه التساؤلات والمشكلات تم تقسيم البحث إلى أربعة فصول:

الفصل الأول:مدخل تاريخي مفاهيمي نجيب فيه عن مفهوم المواطنة وتجلياتها في الفكر الغربي والفكر العربي الإسلامي وكيف تطور هذا المفهوم عبر حقب زمنية وصولا إلى ما أصبح عليه في وقتنا الحالي، وعن المرجعية الفكرية لمولود قاسم نايت بلقاسم؟

الفصل الثاني: المشروع الفكري لمولود قاسم نايت بلقاسم.

تناولنا فيه الذات التاريخية، ونظرته للأصالة والمعاصرة، مفهوم الإنية والذي اشتهر به وأصبح علما دالا عليه وعلى فكره.

الفصل الثالث: تطرقنا فيه لسؤال المواطنة والمشكل الثقافي في فكر مولود قاسم نايت بلقاسم من خلال ذكر المواطنة من منظور مولود قاسم نايت بلقاسم.

ومشكل التنوع الثقافي وجدلية الأنا والآخر.

أما **الفصل الرابع:**مسألة الإنتماء والمواطنة في الخطاب الفكري الجزائري المعاصر- ذكر جمعية العلماء المسلمين واهتمامهم بالإصلاح من خلال التعليم والتدريس، ومالك ابن نبي نظرته للثقافة، ولإنسان الحضارة، والذي يعد حلا تجاوزيا لمفهوم الثقافة عند مولود قاسم، وكذلك محمد أركون ونقد العقل الإسلامي الذي من خلاله قام بنقد التراث ومحاولة تطبيقه للمناهج الغربية عليه.

ثم خاتمة التي تتضمن أهم الإستنتاجات المتوصل إليها والتي تخص فكر شخصيتنا مولود قاسم.

-من بين أهم الأسباب التي دفعتني لإختيار موضوع المواطنة والتنوع الثقافي عند "مولود قاسم نايت بلقاسم" هناك دوافع ذاتية وأخرى موضوعية:

أ-أما الذاتية: فهو تأثري بهذه الشخصية ومنذ الصغر خاصة لما كانت تعقد مؤتمرات الفكر الإسلامي وكانت توزع لدى المساجد، وكنت أطلع عليها وأنا صغير، وأتعجب لمدى تأثيرها وجمعها للعدد الكبير من المفكرين من جميع أنحاء المعمورة، وكذلك لخطابات مولود قاسم الثائرة، والتي كانت تعرض في التلفزة الجزائرية بعضا منها.

ب-الأسباب الموضوعية:

وهو خصوصية ومكانة شخصيتنا في الفكر الجزائري خاصة والإسلامي عامة، خصوصا لما له من بصمات في هذا الفكر من إنية، والتي اشتهر بها حتى أصبح يلقب بفيلسوف الإنية في الفكر المعاصر، والذي من خلالها حاول التعمق في تاريخ الأمة الجزائرية من خلال أهم كتبه باحثا عن شخصيتها الضاربة في عمق الزمن على اختلاف وتنوع ثقافتها وأعراقها، لكنها توحدت وذابت في هوية وغنية واحدة وهي الدين، التاريخ المشترك وحب الوطن.

-أهمية الموضوع:

تتجلى في كون ما للمواطنة من أهمية في وقتنا المعاصر، والذي أصبحت فيه قضية مهمة تعقد لأجلها المؤتمرات والندوات، وأضحت المواطنة تتمتع بأهمية كبيرة، من خلال جمعها لكل الطوائف والأعراق تحت راية واحدة، ووطن واحد يعيش فيه جميع المواطنيين أحرارا يتمتعون بنفس الحقوق والواجبات.

أما الأهمية التي تكتسيها الأطروحة نظرا لموقع مولود قاسم قبل الثورة وبعدها، كقائد وثوري ثم وزير، ودفاعه المستميت عن إنية الشعب الجزائري وهويته بلا كلل أو هوادة.

- الأهداف:

-معرفة الأهمية التي يكتسيها مفكرونا في الوقت المعاصر وتأثيرهم الكبير في استقلال الجزائر.

-أهمية الإنية في تثبيت وترسيخ حب الجزائر والإعتزاز بهذا الوطن، الذي ضحى من أجله رجال بذلوا النفس والنفيس لتحريره فكريا وجسديا.

-تنوير وتذكير بأهمية حب الوطن، وإرساء قيم المواطنة لدى شبابنا وأجيالنا.

-المنهج المتبع:

لقد اتبعت في هذا البحث: المنهج التحليلي التاريخي النقدي، الذي يحقب لمفهوم المواطنة والثقافة وتطورهما عبر الزمن، من خلال تحليل النصوص وتفكيكها، وكذلك لمفهوم الإنية والذي يعد التاريخ جزء منها عند مولود قاسم، وفي بعض الأحيان المنهج المقارن بين فكره وفكر غيره للخروج بنتائج وأفكار.

-الدراســـات السابـــقة:

كانت هناك عدة أطروحات ورسالات والتي أصبحت تهتم بفكرمولود قاسم، منها ماهو في التاريخ، وحتى الفلسفة وعلم الإجتماع ومن بينها مؤخرا نجد:

1-أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع بعنوان: "تمثلات المثقف للمواطنة في الجزائر" إعداد:خالدي عمار، إشراف:أ.د:بلخضر مزوار، سنة:2016/2015، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان)، وقد أشارت لمفهوم المواطنة عند المثقف الجزائري بصفة عامة، وليس كنموذج معين، عكس ما يميز أطروحتنا وهو نموذج لمفكر تميز بمرجعيات مختلفة وكمفكر مهم في تاريخ الجزائر المعاصر.

2-أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة (ل.م.د) الموسومة ب: التأصيل الثقافي لدى مولود قاسم نايت بلقاسم، من إعداد الباحثة:فارس خيرة، إشراف:د.حموم لخضر، جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم، من خلال طرح الباحثة لمفهوم التأصيل الثقافي ومبادئ الإنية عند مولود قاسم نايت بلقاسم، وكذلك لأهم المرجعيات التي كونت فكره، وكذلك لمفهوم

الأصالة والمعاصرة، وما نختلف عنها به هو اهتمامنا بالمواطنة من خلال تحقيبها وكذلك محاولة تتبع وتلمس لهذا المفهوم عند مولود قاسم من خلال استنطاق كتاباته ومحاضراته.

وقد كانت في بداية الأطروحات التي تهتم بفكر مولود قاسم:

3-"مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الجزائرية1992/1927 "لتاحي اسماعيل" مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ تخصص:حركة وطنية إشراف الاستاذ:خمري الجمعي 2006-2007 تضمن أربعة فصول الفصل الاول:أضواء على حياة مولود قاسم الفصل الثاني: دور مولود قاسم في الحركة الوطنية الفصل الثالث:دور مولود قاسم في الدولة الوطنية الفصل الرابع:الهوية الجزائرية في نظر مولود قاسم وفيه ذكر لمفهوم الهوية وعناصرها:أ/الدين الإسلامي،ب/اللغة العربية،ج/التاريخ المشترك،د/الوطن الجزائري.

4-"البعد الدعوي في أعمال مولود قاسم نايت بلقاسم"(دراسة في الأصول الفلسفية لمدرسته الإصلاحية والدعوية): للأستاذ بوعلام جوهري وهي رسالة لنيل ماجستير 1999/1998.

-أما عن أهم الصعوبات والتي واجهتنا في بحثنا هذا هو التنوع الذي يتميز به مفكرنا كمؤرخ ومفكر اجتماعي وفيلسوف، بحيث لا نستطيع أن تفصلها عن بعضها البعض وكذلك لتنوع وتعدد مرجعياته الفكرية ومراحل حياته، وهو ما يخلق نوعا من الصعوبة تتطلب تحدي وإصرار وعزيمة، وذلك لم يمنعنا من مطالعة كتبه والبحث فيها تنقيبا وتفتيشا، من خلال المراجع التي اهتمت به، للإطلاع على زبدة فكره والخروج بأهم ماتميز به هذا الفكر في وقتنا المعاصر.

الفصل الأول:

-مدخل تاريخي مفاهيمي-

المبحث الأول: ماهية المواطنة

المبحث الثاني: ماهية التنوع الثقافي

المبحث الثالث: المرجعية الفكرية لمولود قاسم نايت بلقاسم

المبحث الأول: ماهية المواطنـــــــــة:

تمهيـــــــد:

يعد لفظ الموطنة من الكلمات المتعددة المفاهيم في اللغة فتارة بمعنى سكن الإنسان وموطنه الذي ولد وترعرع فيه، وتارة بمعنى مكان الإقامة والعمل ومكان كسب القوت والأماكن التي يأوي إليها الإنسان وتأتي بمعنى المشاركة في الوطن والعيش المشترك.

ولقد إهتمت الدراسات الحالية بالمواطنة، لما لها أهمية في تربية المواطنين على الإندماج مع غيرهم، ومعرفة حقوقهم وواجباتهم، لذلك قبل أن نتطرق لإيضاح معاني هذا المصطلح في الفكر الغربي، وكذلك في الفكر العربي الإسلامي، علينا أولا وقبل كل شيء أن نظبط هذا المصطلح من الناحية اللغوية، ومعرفة جذوره وأصله وكذلك التطرق إليه إصطلاحا، وفهم التحقيب التاريخي له يؤدي بنا لمعرفة معناه، والإطلاع على أصل المعنى وجذوره والتي كان لها الدور الأساسي في بلورته ووصوله إلى ما هو عليه في وقتنا الحالي.

1.مفهوم المواطنة:

1.1.في اللغة العربية:

يعد لسان العرب من أهم المصادر التي ذكرت كلمة وطن وإهتمت به، لذا سنحاول معرفة معنى الكلمة لغويا لتحليلها، بعد أن نفهم معناها سيسهل علينا معرفة المعنى الإصطلاحي، جاء في اللسان:

"إن وطن:الوطن:المنزل تقيم به، وهو موطن الانسان ومحله.. والجمع أوطان، وأوطان الغنم والبقر:مرابضها وأماكنها التي تأوي إليها، قال الاخطل:

كروا إلى حرتيكم تعمرونهما..كما تكرإلى أوطانها البقر"[1].

فهي عبارة عن أماكن الإيواء والإقامة وليست مواطن البقاء المستديم ولها معاني أخرى أيضا:فتطلق على الإقامة ومكان ميلاد الإنسان وإقامته: فمواطن مكة:مواقفها، وهو من ذلك وطن بالمكان وأوطن أقام به، وأوطنه:اتخذه وطنا يقال:أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيها"[2].

وكل ما يتحدث عن محل إقامة ووجود الإنسان والبلد الذي يعيش فيه من الصغر يسمى موطنا سواء ولد وبقي فيه أو حل به قادما من مكان آخر.

أما المواطنة بالمعنى الحاضر والذي أصبح مصطلحا تعرف به الدول مواطنيها على أساس أداء حقوقهم وإلتزامهم بواجباتهم وتوفير الحياة المدنية ورفاهية العيش فلم تتطرق قواميس اللغة العربية للمفهوم من منظور سياسي،إجتماعي أو حتى إقتصادي، جاء في القاموس الجديد"الوطن:هو مكان إقامة الانسان ومقره ولد به أو لم يولد وفي الحديث الشريف:(حب الوطن من الايمان)، وكذلك يطلق على مربط المواشي(جمع)أوطان".

---

[1]–ابن منظور، لسان العرب، قدم له، عبد الله العلالي، أعاد بناءه يوسف خياط، دار الجيل، بيروت1988، ج6، ص949.

[2]–المرجع نفسه، ص:949.

"وطن: يطن وطن الرجل بالمكان:أي أقام به[1]".

وطني:والوطني:هو نسبة الى الوطن الذي يتعلق بوطن فيدافع عن حقوقه ويضحي بحياته من أجله.

وفي معجم متن اللغة:"الوطن:المنزل تقيم فيه وربما سكن للضرورة..والموطن:المكان الذي تتخذه وطنا:وكذلك المشهد من مشاهد الحرب(ز)جمع:مواطن فالمواطن:المجالس ومواطن مكة:مواقفها(ز)".[2]

وبنفس المعنى في معجم مقاييس اللغة:

"وطن:الوطن:محل الانسان وأوطان الغنم:مرابضها، وأوطنت الأرض:اتخذتها وطنا. والميطان:الغاية[3]"،وهنا قد أضاف الغاية من الاستقرار والبقاء والمواطن التي يكون الغاية منها البحث عن مواطن الرعي والكلئ.

وكذلك في مختار الصحاح:

الوطن:موطن الإنسان..و(أوطن)الأرض(وطنها)و(استوطنها)و(اتطنها)أي اتخذها وطنا، و(توطين)النفس على الشئ كالتمهيد، و(الموطن) المشهد من مشاهد الحرب قال الله تعالى:" لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ [4]".

وفي اللغة الإنجليزية":citezen(أولا :المديني:أحد سكان المدن.ثانيا:المواطن:عضو في دولة بالولادة.أوثالثا:بالاختيارالمدني:من ليس بشرطي أو جندي.)

---

[1]–علي بن هادية,بلحسن البليش,الجيلاني بن الحاج يحي، القاموس الجديد للطلاب، تقديم محمود المسعدي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، طبعة السابعة، سنة: 1991م.ص333.

[2]–احمد رضا، معجم متن اللغة، مجلد الخامس، دار مكتبة الحياة، بيروت، سنة:1960م، ص:778.

[3]–أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط:غبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ج6، ص120.

[4]–سورة التوبة، الآية:25.

Citezenry: جماعة المواطنون، المواطنون قاطبة وهي تطلق على المواطنون الذين يتمتعون بالحقوق ويؤدون واجباتهم بالتساوي أمام القانون."[1]

CITEZENSHIP :"

المواطنية(أ)كون المرء مواطنا من مواطني دولة(ب)واجبات المواطن وحقوقه وامتيازاته".[2]

وفي اللغة الفرنسية فقد جاء في القاموس الفرنسي المنهل:"

Citoyen:مواطن.CITOYENNETE:مواطنية(صفة المواطن)."[3]

أي من يحمل صفة من الإقامة والجنسية ومكان الميلاد وهناك من حددها بالجنسية كالقانون الفرنسي وحدد سن البلوغ الذي يتحصل به الإنسان على جنسيته شرط عدم إرتكاب الجرائم التي يعاقب عليها القانون.

وقد تأتي بمعنى نوعية الشخص في المجتمع السياسي الذي يتمتع بجميع الحقوق السياسية: "

Citoyenneté: إسم مؤنث في اللغة الفرنسية وهو يدل على جودة ونوعية الشخص الذي يتمتع في مجتمع سياسي معين،بجميع الحقوق المدنية[4]".

والمواطنة في فرنسا تطلق على كل مواطن فرنسي بالولادة بلغ سن:21 عاما كاملة فإنه يملك حق الجنسية،وتفقد في حالة وقوع جريمة وبحكم قضائي فإنه يفقد كامل حقوقه ومن بينها جنسيته.

---

[1]–منير البعلبكي،المورد، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة:13،سنة:1973م، ص180

[2]–المرجع نفسه، ص:180.

[3]–سهيل ادريس،المنهل، دار الاداب،بيروت، طبعة:السادسة عشر،1995م،ص253.

[4]-cristaina a docte,grand dictioniare encyclopédique larouse,tome :3,1982,imprimé jean didier,lizy-sur,France,p :2273

"**Citoyenneté**:إسم مؤنث:تفيد كل فرنسي بالولادة هو مواطن يتمتع بحقوق كاملة عند سن 21 عاما، وتفقد حالة المواطن:"

1-بفقدان الجنسية الفرنسية.

2-دون فقدان الجنسية الفرنسية، كعقوبة إضافية إضافية.

الانحطاط المدني نطق به وجوباً في حالة وقوع جريمة، فهو يؤدي إلى فقدان بعض الحقوق المدنية والمدنية والسياسية التي يتم وقفها بالحظر القضائي وبحكم ولاية المدين ولا يرد إليه اعتباره[1]".

وفي السنة النبوية لم يرد مصطلح المواطنة كلفظ له حمولته السياسية والإجتماعية كما هو موجود حاليا، وإنما كمعنى لبلد الإزدياد والحنين إليه، فمن خلال لسان العرب ومقاييس اللغة وحتى في القرآن الكريم والسنة النبوية يظهر غياب لفظ المواطنة وما يحمله من دلالات في وقتنا الحالي، عكس لفظ الوطن والذي هو موجود في هذه المعاجم، فهو لفظ حديث في الفكر العربي الإسلامي بخلاف الفكر الغربي.

2.1.إصطلاحا :

هي تمتع الفرد بمجموعة من القيم من حيث الشعور والممارسة، هذه القيم هي أساس من أسس المواطنة مثل:الحرية والمساواة والعدالة، ويكفل القانون تجسيد تلك القيم بالإضافة إلى تمتع الفرد بمختلف الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية مقابل إلتزامه بالواجبات في إطار العيش المشترك داخل دولة ذات سيادة.

فالوطن:"بالمعنى العام:منزل الإقامة، والوطن الأصلي هو المكان الذي ولد به الانسان،أو نشأ فيه، والوطن بالمعنى الخاص هو:البيئة الروحية التي تتجه إليها عواطف الانسان القومية[2]".

[1]-a-des,nouveau dictionnaire pratique quillet,librairie aristide quilet,paris,france,1974,p :567.
[2]-جميل صليبا،المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت،1994م،ج2،ص:580.

وهذا ما يؤدي بنا الى أن نعتبر المواطنة من المفاهيم الأساسية المعاصرة في الفكر العربي، لكنه أخذ صفة العالمية مع تيار العولمة الخاصة بالمجال الفكري، لذا من الواجب أن نضعه في السياق الغربي ومعرفة تجلياته في هذا الفكر، وإرهاصات ظهوره، للوقوف على معناه الحقيقي والعميق في الفكر الغربي، وكيفية إنتقاله إلى الفكر العربي الإسلامي.

سنحاول إيجاد معنى وفهم دقيق لمفهوم المواطنة بمختلف تعريفتها:النظرية والتطبيقية على أرض الواقع، ولا يمكن فهم المواطنة دون المرور على تجلياتها وتحقيباتها في الفلسفة الغربية، وكذلك تطور هذا المفهوم عبر حقب زمنية مختلفة، خاصة عند اليونان الذين كان لهم الفضل في تأسيس هذا المصطلح، فإننا لا نستطيع فهمه من دون الرجوع إلى الغرب وقبلهم الرومان، بالإضافة إلى الخاصية أو العلاقة في هذا المفهوم للمواطنة من خلال إرتباطها بمجموعة من مفاهيم الفكرالسياسي عبر مراحله التاريخية.

"فقد كان مصطلح المواطنة إلى زمن غير بعيد يعني الاشتراك مع الآخرين في حيز جغرافي يسمى الوطن، بحيث يطغى على هذا الإشتراك طابع الشعور العاطفي الذي يحرك الإنسان في نشاطاته وعلاقاته مع الآخرين لكن مع مرور الزمن تغيرت النظرة إلى مفهوم المواطنة حيث أصبح مصدرا لنشأة أنواع من العلاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بين المواطنين"[1].

فانتقال المواطنة من المفهوم السياسي الذي تطور عبر مراحل زمنية الى مفهوم أكثر شيوعا وانتشارا يجمع المواطنة بالمفاهيم الأخرى كالديمقرطية، حقوق الإنسان والحقوق المدنية.

" والمواطنة لم تأخذ معناها الحديث إلا بعد ظهور وتكوين الكيانات السياسية أو ما يسمى بالدولة القومية، هذا ما ساهم في تطور معنى المواطنة من إشتراك المواطنين في الشعور العاطفي اتجاه الكيان، إلى الاشتراك في مجتمع سياسي وما ينتج عن ذلك من حقوق وواجبات"[2].

---

[1]–علي يوسف،المواطنون بين المواطنة الدينية والمواطنة السياسية، دار المعارف الحكمية،بيروت،م2013،ص16

[2]–حسين جميل، حقوق الإنسان في الوطن العربي،مركز دراسات الوحدة العربية، 1987م، ص:79

وأصبح يشمل الإلتزام أكثر بالواجبات مع تمتع الإنسان أكثر بحقوقه التي يضمنها له القانون مع كافة المواطنين على قدم العدالة والمساواة.

لهذا فقد اختلف مفهوم المواطنة حسب توجهات وتعبيرات الفقهاء وعلماء الاجتماع والسياسة:

فيعبر بها عن الوطن الأصلي وهو موطن الميلاد، أو يعبر بها عن وطن الإقامة والذي إرتحل إليه الانسان وأقام به، وكذلك قد يعبر به عن الجنسية التي يحملها الانسان بل وحتى عن الرابطة الاجتماعية والقانونية التي تجمعه بينه وبين أفراد مجتمعه، أو عن الرابطة التي تجمع بين الأفراد ودولتهم.

أما أهم المرتكزات التي إعتمدتها التعريفات الإصطلاحية والتي سنتطرق إليها:

-المفهوم المدني:من خلال الجمعيات والأفراد وتعلقهم بوطنهم والمحافظة عليه والذي يضم مجموعة من الأبعاد:"

-البعد الأخلاقي:القيم، التمثلات، التربية..

-البعد الاجتماعي: السلوكات السائدة في الحياة اليومية.

-البعد القانوني:القوانيين المنظمة لعلاقة الحقوق والواجبات.

البعد التربوي:السلوك المدني منتوج لعملية بنائية مستمرة تتطلب تدخل التنشئة.."[1]

والمواطنة تدل على مرتبة من الحرية مع ما يصاحبها من مسؤوليات، كحقوق المواطن السياسية مثل حق الإنتخاب وتولي المناصب العامة.

بالتالي ترتكز المواطنة على عدة معاني من خلال الإنتماء إلى دولة وما يترتب عنه من تمتع كافة المواطنين بالحقوق وإلتزامهم بالواجبات من دون تمييز بينهم.

[1]-قصير مهدي، مفهوم المواطنة في المدرسة الجزائرية بين التصور والممارسة، أطروحة دكتوراه علوم، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، سنة:2015-2016، ص:50

ولفهم أكثر لمعنى المواطنة علينا على الأقل قرائتها في سياقها التاريخي في الفكر الغربي ثم في الفكر العربي الإسلامي والذي عرفها متأخرا نوعا ما، وإن كانت أغلب الدراسات تشير إلى وجود كمفهوم وليس كمصطلح في الفكر العربي الإسلامي.

2.نبذة تاريخية عن نشأة المواطنة في الفكر الغربي:

1.2.المواطنة عند اليونان:

لم يظهر لفظ المواطنة للوجود فجأة كمصطلح له أبعاد سياسية وثقافية إجتماعية في الفلسفات الغربية، أو في الفكر الغربي، وإنما مر هذا المصطلح بمراحل منذ مطالبة الإنسان بحريته، بالعدالة، المساواة وبالديمقراطية عبر الزمن وعبر مختلف الحضارات وخصوصا في الفكر الإغريقي الروماني الذي كان النقاش فيه عن الديمقراطية ومن يجوز له الإنتخاب ومن لا يجوز له ذلك:"ويختار الإنسان وينتخب بناءا على فضائل ومزايا فإن الناس يؤثرون أن ينتخبوه إلى المناصب العامة الرفيعة لا إنعاما ولا تصدقا عليه، بل مكافأة على مزاياه الخلقية[1]".

وظهور الديمقراطية كان مقرونا ومتعلقا بما للإنسان في وطنه من حقوق، وما عليه من واجبات على أسس مبادئ الحرية والمساواة، فقد ولد هذا المصطلح كالطفل ثم ما لبث ينموا ويكبر عبر مختلف الأزمنة والعصور.

لقد كان اليونانيون من أوائل من حاولوا تأسيس الفكر الديمقراطي ولفكرة الوطن والمواطنة عبر مختلف النقاشات والحوار الذي كان يدور بينهم عن إختيار ممثليهم ومن لهم الحق في الإختيار وفي واجباتهم وحقوقه إتجاه وطنهم.

"وكان لابد من الحصول على أصوات الشعب الأثيني المجتمع في ساحة "الأغورا"وعلى هذا النحو ولتفادي العنف المسلح نشأت بين الأسر الأرستقراطية، رأت النور فكرة المواطن الذي يتمتع بصوت واحد معادل لصوت آخر كل مواطن آخر..ولكن رغم هذه المساواة إلا

[1]–مصطفى النشار، الحرية والديمقراطية والمواطنة، الدار المصرية السعودية، القاهرة، بتاريخ:2009، ص:21.

أن الديمقراطية كانت مقصورة على الذكور من مواطني آثينا دون الإناث وعلى الأحرار دون العبيد وعلى الأصلاء دون الأغراب[1]."

ورغم هذه النقائص في بدايات تكوين ما يسمى في وقتنا حقوق المواطن من تمييز وعدم إكتمال المفهوم إلا أنها كانت بدايات بما يسمى اليوم الديمقراطية، وحقوق المواطن، ومن مثاليات الديمقراطية:"إلا أن هناك بعض القصور في إستمرار نظام الرق حتى أبطلها ميثاق إبطال الرق سنة1793م[2] ".

"يعتبر النموذج الأثيني وإلى وقتنا الحالي النموذج الذي لا يمكننا الإستغناء عنه، فكما وقد سبق أن ذكرنا في تصريح **روبيرت دال** السابق في ذكره النموذج الأثيني للديمقراطية والذي يعتبره ذا رؤية سياسية سامية وجذابة لا يستطيع أي ديمقراطي مقاومته ولا يكون المواطن إنسانا كاملا إذا كان لا يرى في السياسة نشاطا اجتماعيا طبيعيا غير مفصول عن بقية شؤون الحياة، كما أنه لا يرى نظام الحكم أو الدولة أو على الأصح كيانا غريبا بل على العكس من ذلك، وإذا كان أيضا لا يرى الحياة السياسية إلا إمتدادا منسجما مع ذاته[3]".

فكما هو معلوم أن الديمقراطية اليونانية التي تشرع حكم الأغلبية عبر الإقتراع المباشر لإختيار ممثلي الشعب لها علاقة وطيدة بالمواطنة، فتطبيق القوانين وإلتزام المواطن بها عن طريق أداء واجباته كلها حقوق للمواطن وواجبات يؤديها، وبالتالي فكافة المواطنيين في أثينا لهم حقوق وواجبات، ولكن الديمقراطية الأثينية ليست للجميع فليس كل مواطني أثينا لهم الحق في الإقتراع، وفي إختيار ممثليهم كما أنه ليس لكل مواطن الحق في الترشح:

---

[1]–برا سنان، إشكالية المواطنة/الرعية في التراث السياسي الإسلامي، المركز الديمقراطي العربي للدراسات، برلين، طبعة أولى،2017م، ص:20.

[2]–ديوارنت ول وايريل، قصة الحضارة، ترجمة:د،عبد الرحمان عبد الله الشيخ، دار الجيل، بيروت،2002، كتاب الأول، مجلد11، ص:80.81.

[3]–روبرت دال، الديمقراطية ونقادها، ترجمة:نميرعباس مظفر، مراجعة:فاروق منصور، طبعة:ثانية،2005م، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان،ص:36.

"ورغم سبق أثينا في التعريف بالمواطن الأثيني الذي كان من شروطه ان يولد المرء لأبوين أثينيين ولم يكن من شروطها الغنى أو الثراء وإنما إتاحة الفرصة أمام الجميع للمشاركة بصرف النظر عن الفقر أو الغنى وبصرف النظر عن المكانة الإجتماعية لهذا الفرد أو ذاك[1]".

كما أن المواطنة الأثينية لم تكن متاحة لكل الناس، فالمواطنون كما سبق ذكره هم:"الذكور الاحرار مالكي الأراضي وأبناء الطبقات العليا بينما جرى إستثناء النساء والأطفال والعبيد من حقوق المواطنة، وأهم ماتمتع به المواطنون:

"–الحق في التعليم–الحق في القضاء–الحق في العضوية في الجمعيات والتنظيمات العامة.

–الحق في الإنتخاب والترشح للمناصب والحق في التمثيل النيابي[2]".

2.2.المواطنة في العصر الحديث:

أما المواطنة في العصر الحديث فقد ظهرت كمصطلح في:

"إعلان إستقلال الولايات المتحدة عام 1776م في إعلان حقوق الإنسان والمواطن الصادر عن هذه الثورة، وكذلك في الثورة الفرنسية سنة 1789م وجاء تعميم "المواطنية" في أول وثيقة رسمية أعلنت في وثيقة رسمية وهي:"إعلان حقوق الإنسان والمواطن":والذي صدر بعدها بسنتين سنة:1791م جاء في في مبادئها الحرية والمساواة والحق في التملك، لكن حقوق العمال لم تظهر في هذه الوثيقة إلا متأخرا بعد ظهور الثورة الصناعية في أوروبا وانتشارها سنة:1848م وظهور نقابات تأخذ على عاتقها شؤون العمل والعمال[3]".

وقد ركزت معظم المعاهدات على الحرية الفردية والمساواة، لما لهما من أهمية في حياة الفرد والجماعة ولمطالبة البشر بها منذ القدم، وكذلك بالديمقراطية والتي أسس لها

---

[1]–مصطفى النشار،الحرية والديمقراطية والمواطنة، الدار المصرية السعودية، القاهرة، طبعة:2009م، ص:16.

[2]–قصير مهدي، مفهوم المواطنة في المدرسة الجزائرية بين التصور والممارسة، أطروحة دكتوراة علوم، جامعة وهران2، السنة:2015–2016، ص:39.

[3]–بيلو روبير، المواطن والدولة، ترجمة رضا نهاد، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، طبعة ثانية ، سنة:1977م، ص:8.

اليونان كمطلب مهم يؤسس للحياة السياسية ويضع أولى اللبنات في بناء المواطن الذي يعرف حقوقه ويتلزم بها مقابل أداء واجباته إتجاه مجتمعه ووطنه.

ثم بعد ذلك في:

نهاية العصور الوسطى سنة 1689م بداية ظهور عريضة (حقوق الإنسان) في إنجلترا والتي كانت بدايتها جنينية غير مكتملة ثم ظهور وثيقة أخرى تاريخية وهي إعلان "حقوق الإنسان والمواطن" والتي تعد البذرة الأولى الحقيقة لإرساء حقوق المواطن وقد إقترح هذه الوثيقة **لافاييت** متأثرا بإعلان الإستقلال الذي أعلنته عدة ولايات أمريكية وكانت بعض المواد تتضمن تكرارا منها:

مادة1: يولد الناس أحرارا ويظلون متساويين في الحقوق–**مادة2:** ضمان الحقوق الطبيعية:وهذه الحقوق هي الحرية والملكية والأمن ومقاومة الجور.–**مادة4:**الحرية.

مادة6:قانون تعبير عن الإرادة العامة، والمواطنون كلهم سواء في شغل المناصب والوظائف العامة على وفق قدراتهم–**مادة7:**لا يجوز إتهام أي شخص أو القبض عليه أو سجنه وفق الطرائق التي يحددها القانون–**مادة9:**براءة المتهم حتى تثبت تهمته–**مادة10:**لا يضار أحد بإبداءه آراءه أو معتقداته من دون الإخلال بالنظام العام–**مادة11:**حرية تداول الأفكاروالآراء–**مادة17:**حق الملكية مقدس لايجوز انتهاكه أو سلبه الا لضرورة عامة مع التعويض العادل، وظهور النظام الديمقراطي لا يعني اكتمال المواطنة فقد هناك بعض القصور في استمرار نظام الرق التي أبطلها ميثاق إبطال الرق سنة1793م[1]".

وكذلك حقوق المرأة في الإقتراع والتي أعطيت حقوقها كاملة بداية القرن العشرين.

3.2.المواطنة في العصر المعاصر:

ما يميز المواطنة في عصرنا الحالي هو بعدها العالمي خاصة مع العولمة والذي أصبح فيه العالم قرية واحدة وإتفاق جميع مواطني المعمورة على مبادئ تجمعهم كقيم: (المساواة، العدالة، الحرية) وأصبحت الدول تتعامل مع المهاجرين كما تتعامل مع مواطنيها

[1]–ديوارنت ول وايريل، قصة الحضارة، مجلد:11، مرجع سابق، ص:81

على أساس الإقامة، أداء الحقوق والواجبات، كما انتشرت عدة نماذج لهذه المواطنة لحاجة هذه الدول لليد العاملة وللمهاجرين، فغيرت قوانينها وأصبح إكتساب الجنسية حسب مدة الإقامة، وعلى حسب العمل المؤدى وكذلك حسن السيرة، كما أن حيازة الجنسية أصبح سهلا في بعض الدول وصعبا في غيرها على حسب حاجتها، وعلى أساس التعاقد بين المواطن والدولة.

وأصبح نظام التشارك بدل نظام التعاقد، وكأن هناك شراكة بين المواطن ودولته يؤدي حقوقها وواجباته إتجاهها من حقوق سياسية، كالإقتراع وإختيار ممثلي الشعب، وكذلك الحفاظ عليها والدفاع عنها عند حدوث أي عدوان أو مكروه على أن توفر له فرص الحياة من عمل وسكن مناسب، يستطيع أداء مهامه بكل حرية والعيش في بيئة تتميز بالمساواة والعدالة الاجتماعية بين أفرادها.

وهذا ما يؤدي بنا إلى أن نعتبر مصطلح المواطنة من المفاهيم الأساسية المعاصرة في الفكر الغربي، لكنه أخذ صفة العالمية مع تيار العولمة الخاصة بالمجال الفكري لذا من الأهمية وضعه في السياق الغربي للوقوف على معناه الحقيقي.

ويعود أصل هذا المفهوم:"لآثينا المدينة التي هي المعلمة الأولى للديمقراطية وفي ذات الوقت المعلمة الأولى للمواطنة بمعناها الأدق والأشمل في تاريخ العالم الغربي[1]"

فلا يمكن فهم المواطنة ومعرفة معانيها النظرية وفي الواقع إذا لم يأخذ في الحسبان تطور هذا المفهوم عبر حقب زمنية مختلفة، ولن نستطيع معرفة معناه الحقيقي والذي أدى لظهوره، بالإضافة إلى الخاصية أو العلاقة بين هذا المفهوم للمواطنة وغيره من المفاهيم، من خلال إرتباطها بمجموعة من مفاهيم الفكر السياسي عبر مراحل تاريخية مختلفة.

فقد كان مصطلح المواطنة إلى زمن غير بعيد: يعني موطن ميلاد الإنسان، ثم أصبح يعني موطن الإقامة والإشتراك مع الآخرين في حيز جغرافي يسمى الوطن، بحيث يطغى

[1]–مصطفى النشار، الحرية والديمقراطية والمواطنة، مرجع سابق، ص:14.

على هذا الإشتراك طابع الشعور العاطفي الذي يحرك الإنسان في نشاطاته وعلاقاته مع الآخرين.

لكن مع مرور الزمن تغيرت النظرة إلى مفهوم المواطنة حيث أصبح مصدرا لنشأة أنواع من العلاقات:المدنية، الإقتصادية والسياسية بين المواطنين.

والمواطنة لم تأخذ معناها الحديث إلا بعد ظهور وتكوين الكيانات السياسية أو ما يسمى بالدولة الوطنية، هذا ما ساهم في تطور معنى المواطنة من اشتراك المواطنين في الشعور العاطفي إتجاه بلدهم، ثم إلى الإشتراك في مجتمع سياسي وما ينتج عن ذلك من حقوق وما يترتب عليه من واجبات.

4.2.المواطنة في الفكر العربي الإسلامي:

لم يظهر مصطلح المواطنة في الفكر العربي الإسلامي، إلا في وقت متأخر فهي كلمة مستحدثة جديدة وغريبة، بإعتبار أن التاريخ الإسلامي لم يعرف هذا المصطلح فيما يخص العلاقة التي تجمع وتحدد ما للحاكم والشعوب من حقوق وإمتيازات وعن كيفية الإختيار الديمقراطي:والذي يعتبر غريبا عن الجسم الإسلامي،ومن أنصار هذا الرأي:" **بارنارد لويس** والجابري هذا الأخير الذي يعتبر مفهوم الوطن والمواطنة ليس في مخزون العرب اللغوي والفكري والوجداني:فما يعنونه اليوم باللفظين:المواطنة والمواطن وكلمة موطن هنا تفيد النكرة وقد وضعناها بين مزدوجتين:لتقوية معنى النكرة فيها[1]":ففي الإسلام مصطلحات وكيفيات أخرى في إختيار الحاكم: كنظام الشورى، فالمواطنين يعتبرون رعايا في الإسلام يتمتعون بنفس الحقوق والواجبات.

[1]–سنان برا، إشكالية المواطنة/الرعية في التراث السياسي الإسلامي، المركز الديمقراطي العربي للنشر، برلين، المانيا، ط: أولى،2017، ص:69.

كما أن هناك فريقا آخر ذهب مذهب من يرى بأن المواطنة كمصطلح، وإن لم تكن موجودة ولكنها كمفهوم قد وجدت منذ زمن مبكر في البيئة الإسلامية، وهم يستندون على وثيقة المدينة المشهورة:"بدستور المدينة"ومن هؤلاء:(**سليم العوا،محمد عمارة،فهمي الهويدي،الغنوشي** الذي يحاول تبيئة المفهوم وتجديد التصورات النظرية للعديد من المفاهيم التي تقف عائقا أمام التحديث السياسي والإجتماعي وعلى سبيل المثال المفكر الإسلامي سليم العوا الذي يرى بأن الفقه الإسلامي متخلف)[1].

يرون أن تشكل المفهوم قد بدأ منذ القرن الأول الهجري في صحيفة المدينة، والتي أقرت مبادئ العدالة والمساواة ومبدأ الحرية في الإسلام وهو ما يجعل لهذه الصحيفة أصولا أولى تتحدث عن المفهوم والمصطلح، وإن لم تشر إليه صراحة، وسنقف حول أهم مبادئها لمعرفة تقاطعات بين المفهوم في الفكر العربي الإسلامي والفكر الغربي.

فصحيفة المدينة كدستور يتكون من إثنين وخمسين بندا:خمسة وعشرون خاصة بأمور المسلمين، وسبعة وعشرون بالعلاقة بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى خاصة مع غير المسلمين، على أساس قاعدة المساواة في الحقوق والإلتزامات بين اليهود والمسلمين والنصارى وغيرهم ولأهميتها، قرر النبي:-صلى الله عليه وسلم-كتابتها ليكون لها قيمة النص الملزم لجميع مكونات المجتمع المدني فيما يخص التعامل فيما بينهم وبين غيرهم وكذلك ما تشمله من بنود تهم المجتمع المدني وعلاقته بدولته.

وقد جاء في نصها:"هذا كتاب من محمد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-بين المؤمنين من قريش وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم، وأنهم أمة واحدة من دون الناس ثم بدأ بذكر القبائل المكونة للمدينة بأسمائها من قبائل اليهود على إختلافهم مع أمة المؤمنين وقد ذكرت المساواة فيما بينهم وأنه لهم مالهم، وعليهم ما عليهم من نفقة ومحاربة الأعداء والذود عن حمى المدينة والدفاع عنها الخ[2]".

---

[1]-سنان برا،إشكالية المواطنة/الرعية في التراث السياسي الإسلامي،مرجع سابق، ص:8.

[2]-صحاوي مقلاتي،فقه المواطنة في أصول الشريعة ومقاصدها،إعداد:عبد الحق حميش وآخرين،أوراق ثقافية للنشر،طبعة أولى،2017م،ص:67.

وما يلاحظ في صحيفة المدينة تركيزها على الحرية الدينية لغير المسلمين، وكذلك على المساواة في الأمور الدنيوية بغض النظر عن معتقداتهم وهو ما يسمى بمبدأ المسؤولية وتساوي المواطنين أمام أحكام القضاء.

وهو ما يضمن العدل والمساواة لجميع مواطني المدينة، وعدم الظلم أو التعدي على أحدهم وحتى ضد أي عدوان خارجي والتشجيع على التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع بغض النظر عن ديانتهم أو إعتقاداتهم.

وهو ما يعكس المبادئ التي دعى إليها القرآن من شورى، عدالة ومساواة بين المسلمين وغيرهم لقوله تعالى:"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ [1]".

فالعدالة:مبدأ عالمي حتى بين المسلم وغيره وهي قاعدة أصل لها الإسلام منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا فلا ظلم ولا ضيم في الإسلام.

وكذلك قوله تعالى:" فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ [2]".

ومبدأ الشورى بين الحاكم والرعية في الأمور الدنيوية مبدأ ثابت في الشريعة الإسلامية ولقوله أيضا:" وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾.[3]"

[1]–سورة المائدة، الآية:8.

[2]–سورة آل عمران، الآية:159.

[3]–سورة الشورى، الآية:38.

فهو يذكر بمبدأ طاعة الحاكم ولكن في غير معصية مع حق الرعية في مراقبة المسؤول وإعانته على أداء مهامه.

وبهذا تعد صحيفة المدينة ذات بعد عالمي، وأول وثيقة تأسس للتعايش ولمبادئ المواطنة، حتى وإن لم تذكر صراحة ولكنها أسست لهذه المبادئ ولدولة المدينة، والتي يعدها البعض أول مبادئ ذات بعد عالمي للتعايش بين مختلف الأفراد والعلاقة التي تجمع بينهم وبين دولتهم.

فالذين يعتبرون المصطلح غريبا وذلك بسبب غياب إستعماله في الفكر العربي قديما وحديثا، وكذلك دلالاته كفكرة، وكعملية مشاركة للجميع من حاكم ومحكوم في العملية السياسية للدولة الإسلامية عبر مراحلها.

فالطهطاوي يعد من أبرز المفكرين في العصر الحديث الذي كان لهم أثر في توطيد مفهوم حب الوطن، وقد كان له الدور الكبير في ذلك وفي النهضة العربية المعاصرة، ونستنتج من خلال قراءة في كتابه مناهج الألباب إهتمامه الكبير بحب الوطن، والإستدلال عليه من خلال آيات القرآن الكريم والسنة النبوية بل وحتى من أشعار العرب مستخدما ملاحظاته خلال رحلته لأوربا: "فقد تعرف على أوضاع الحياة الاجتماعية في فرنسا،وقارن بين هذه الحياة وماتركه في مصر فكانت هذه البعثة هي الإطلالة الهامة والحقيقية للعنصر المصري والعربي على الحضارة الأوروبية الحديثة في في مواطنها وديارها[1]".

فقد دون كل ما رآه من تقدم مدني لدى الغرب، وكيف كان للقيم السياسية من مواطنة وتحضر الدور الكبير في هذا التمدن، وبهذا فقد بنى ملاحظاته على فكرة أن القيم السياسية من ديمقراطية، ومواطنة لا تخالف الإسلام بل بالعكس فالعقل والإسلام يدعوان للتمدن والتحضر ولا يكون ذلك إلا بتطبيق هذه القيم في المجتمعات العربية والإسلامية،

[1]–رفاعة الطهطاوي، المرشد الأمين للبنات والبنين، تقديم:منى أحمد أبو زيد، دار الكتاب المصري، القاهرة، طبعة:2012م، ص:24

فالعيب ليس في الإسلام بل في المسلمين الذين لم يتمثلوا هذه القيم في حياتهم السياسية لهذا عليهم تطبيقها حتى يلتحقوا بدرب الحضارة والتقدم.

وعن غلبة الإشكالية السياسية للدولة والوطن والرعية في مختلف عصور الحكم فقد اهتم الطهطاوي بذلك وتحديدا في كتابيه:"تخليص الإبريز في تلخيص باريز"و"مناهج الألباب المصرية في مباهج الأداب العصرية"و"المرشد الأمين للبنات والبنين".

وبهذا يعد من أوائل رواد النهضة والإصلاح في الفكر العربي الحديث لإهتمامه بالتراث القديم بجميع روافده العلمية والدينية والتاريخية والفكرية، مع مواكبة التطور الحديث والتنويري للحضارة الغربية من خلال ربط الحاضر بالماضي وبالتالي فقد حقق ثورة في عدة ميادين فكرية وتعليمية وسياسية.

5.2.المواطنة في الفكر العربي المعاصر:

يعد محمد عابد الجابري من أهم المفكرين المعاصرين الذين إهتموا بالتراث والتنقيب فيه، وإعادة تجديده وذلك من خلال مشروعه سلسلة نقد العقل العربي،ومن بين المصطلحات التي توقف عند إستعمالها لدى العرب قبل الإسلام وبعده:مصطلح المواطنة الذي لم يجد له أصول في استعمالاتهم له قديما ولا حديثا، فلم يجد اللفظ حاضرا من منطلق اللغة أو حتى من خلال التنقيب في التراث، حيث يعتبر لفظ":state المدينة في العصر الروماني يعبرعن la cité الذي إنتقل من معنى الحي إلى معنى المدينة ثم أخذ مصطلح المواطنة: la citoyenité والذي يجمع بين أفرادها وحدة تاريخية، ونمط من العبادات والشعائر حيث أن هناك علاقة حميمة بين الهيئة والعضو فيها:المدينة الحقة تنجب العضو الحق."[1]

ما يلاحظه محمد عابد الجابري أن مصطلح المواطنة باللغة الأجنبية يعبر عن المواطنة والمواطن، وحتى المدينة فهو يحمل الدلالات نفسها لهذا كان حاضرا منذ عهد اليونان وحتى وقتنا الحالي، عكس المفهوم في التراث العربي والذي لا يحمل نفس المدلولات ولا يؤدي نفس المقصود، لأنها تحيل لمعنى الوطن والذي يتشارك فيه الجميع وتجمع بينهم

[1] –سنان براء،إشكالية المواطنة/الرعية في التراث السياسي الإسلامي،مرجع سابق،ص:70.69.

قطعة من الأرض، عكس كلمة cité التي يراد لكلمة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويؤدي واجباته إتجاه وطنه، وحتى معنى المواطنة للدلالة عليه والتي لا تعني فقط المشاركة في قطعة من الأرض بل تتعداه إلى ما ذكرنا سابقا من حقوق وواجبات في جو من الرفاهية والتمتع بالحرية مع الإمتثال لقوانين الوطن.

لهذا فشعار:"مواطنون لا رعايا يذكر بأنها للمفكر الفرنسي **ألان** تلخص الموقف كله فما يميز المواطن هو الإمتثال والمقاومة الذي يضمن بهما النظام والحرية[1]".

كما أنه قد وصل إلى نتيجة مفادها أن لفظ الراعي والرعية هو ما كان مسيطرا على الثقافة العربية، وحتى أن أصلها في اللغة العربية نفسها:"الماشية، القطيع من الأكباش والنعاج، وقليلا ما ننتبه إلا أن الراعي الواحد الأحد، كثيرا ما يعتبر تعدد الرعاة على رعية واحدة، حتى لوكان قليل العدد، بمثابة تعدد الآلهة، وبالتالي:فكما أن الشرك في ميدان الدين غير مقبول ولا معقول فكذلك ينظر الحاكم إلى المشاركة في الحكم:أنها ما زالت عندنا كفرا وإلحادا في السياسة على الرغم من شعار التعددية الذي يلوح به هنا وهناك، إن التعددية لا قيمة لها إذا لم تكن مؤسسة على المقاسمة، مقاسمة السلطة وتداولها.[2] "

ومفهوم الرعية حسب الجابري قد أدى الدور المناط به لأن الحاكم لا يقبل المشاركة أو التعددية فهو كالراعي لقطيع الغنم، وأن أي تعددية ربما تهدد حكمه وقد شبهها بالشرك أو التعدد في عبادة الله ليخلص بالقول:"بوحدة البنيتين التحتية والفوقية في هذه المجتمعات..وعلى دور القرابة التي ترقى إلى دور وأهمية علاقات الإنتاج في المجتمعات الرأسمالية..وكذلك على دور الدين كعقيدة وتنظيم إجتماعي سياسي.."[3] قد ساهم في تبلور هذه المفاهيم والرؤى.

---

[1]–المرجع نفسه، ص:70.

[2]–محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الرابعة،2000 م، بيروت، ص:42.

[3]–محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته، مرجع سابق، ص:43.

فجميع العرب هم مواطنون في بلدانهم، ولا يمكن أن تؤدي هذه اللفظة ما تؤديه لدى الغرب لأن ما تؤديه لديهم بغض النظر عن الإنتماء للقبيلة أو القوم، عكس العرب الذين تتغلب لديه هذه الإنتماءات، وحتى وقتنا الحالي وبهذا فيبطل معناها وما يؤديه كفكرة ومشاركة مع مجموعة من الأفراد تتغلب لديهم تقديم الحقوق، وأداء الواجبات عن الإنتماء الديني أو القبلي أو حتى الطائفي، والذي ما يزال قائما حتى وقتنا الحالي لدى الغالبية من العرب.

وبالتالي فالمواطنة في الفكر العربي الإسلامي، وخصوصا في العصر الحالي قد أخذت مفهومها من خلال الفكر الغربي، وإن غاب هذا المفهوم عن فكرنا في عصره القديم وحتى الحديث، فقد إنتقل عبر حقب زمنية مختلفة تطورت عبر الزمن ليصل إلينا كاملا من خلال مفهومه في الفكر الغربي، واتضحت معالمه بين مفهوم الوطن، المواطن والمواطنة، من خلال اليونان وإثرائهم له، عكس العرب الذين لم يكن حاضرا لديهم إلا من خلال كلمة الوطن: الذي هو عبارة عن قطعة من الأرض، يتشارك فيها مجموعة من الأفراد وتجمع بينهم إنتماءات قبلية وطائفية، وحتى هؤلاء القوم كانوا ينتقلون من مكان لآخر بغية البحث عن الكلئ والمراعي لحيواناتهم فكان:الإنتقال من مكان لآخر، ولم يكن مفهوم الوطن كما هو حاليا من موطن له حدوده السياسية وقوانينه التي تحكم مواطينه، والتي يجب الإلتزام بها حفاظا ودفاعا عليه، وقد وجد هذا المصطلح مبكرا لدى اليونان والفكر الغربي عموما، وبعدها إنتقل حتى وصل إلى ما عليه في عصرنا الحالي كمفهوم له دلالات سياسية وقانونية إلى الدول العربية والإسلامية، وأصبح المفهوم ذا دلالات كفاحية وثورية خصوصا بعد المد الإستعماري، كما هو معلوم وأصبح لمعظم هذه الدول حدود سياسية مع غيرها من الدول، عكس ما كان سائدا سابقا من خلافة في المشرق والمغرب، والتي أصبحت كيانات فيما بعد لها إستقلالها الذاتي والذي يجمع بين أفرادها مجموعة من القوانين لتنظيمها، وإن إختلفت إنتماءاتهم وطائفاتهم عكس ما كانت عليه في السابق من حكم الخليفة الواحد وإتساع الرقعة الجغرافية من دون حدود جغرافية أو سياسية.

المبـــــــــــحث الثاني: التنـــــــــوع الثقافي

1.مفهوم التنوع:

لتحديد ماهو التنوع الثقافي؟ علينا أولا تحديد ما معنى التنوع، ومعنى الثقافة، وما أهمية الثقافة بالنسبة للأفراد والشعوب، وهل يسهم التنوع في غنى وتنوع الثقافات، وتماسك الشعوب أو هل هو عنصر مشتت للأمم؟ وهل الشعب ذو الثقافة الواحدة أكثر تماسكا من الشعوب ذو الثقافات المتنوعة؟ للإجابة عن هذه الأسئلة علينا تحديد معنى التنوع ومفهوم الثقافة ثم بعد ذلك نحاول الإجابة عن أهمية التنوع الثقافي.

يقصد بالتنوع الإختلاف تارة في الثقافة ومرة في الدين واللغة وما إلى ذلك، كما تسعى دول العالم للمحافظة عليه وتعزيزه، والإستجابة بشكل إيجابي للاختلافات بين المجموعات، داخلها واتخاذ الإجراءات لمعالجة ومواجهة أسباب التفرقة والتعصب بكل أنواعه سواءا كان ديني مذهبي أو عرقي.

1.1.المعنى اللـــــغوي:

"النوع:أخص من الجنس، وهو أيضا الضرب من الشيء، قال ابن سيده:وله تحديد منطقي لا يليق بهذا المكان، والجمع:أنواع قل أو كثر، قال الليث:النوع والأنواع جماعة، وهو كل ضرب من الشيء وكل صنف من الثياب والثماروغير ذلك وحتى الكلام، وقد تنوع الشيء أنواعا وناع الغصن ينوع:تمايل، وناع الشيء نوعا:ترجح، والتنوع: التذبذب"[1].

فالتنوع إجابي إذا كانت نتائجه وعوائده كثيرة ومفيدة كالثمار وتنوعها وبالنسبة للمجتمعات والشعوب كذلك فهو مفيد في إظهار الإختلاف والتنوع الذي تتميز به ومحاولة الإستفادة منه في الغنى الحضاري والثقافي للأمم وتطويره سياحيا وثقافيا.

2.الثقافـــــــة:

تعد الثقافة من المصطلحات التي إختلف في مفهومها المفكرين والمثقفين، فالتراث منه ماهو مادي وما هو معنوي، والثقافة تجمع العناصر كلها والتي إنتقلت للشعوب وأصبحت

[1]–إبن منظور،لسان العرب،ج:(13،14)،مرجع سابق،ص:386

جزءا من حياتهم وعاداتهم هذا بالمجمل العام، أما الثقافة إن ذكرت مع هذه العناصر مجتمعة فهي تعني أسلوب الحياة لمجتمع معين وما يجمع بينهم ويؤثر فيهم من لغة وتاريخ وعادات وتقاليد اعتادوا عليها وأصبحت جزءا من ثقافتهم.

1.2.المفهوم اللغوي:

يأخذ عدة معاني منها الحذق وسرعة التعلم والفطنة والذكاء الخ... ومن الحذاقة والفهم.

جاء في لسان العرب لابن منظور:"ثقف:الشيء ثقفا وثقافا وثقوفة:حذقه، ورجل ثقف" وثقف" وثقف":حاذق فهم، وأتبعوه فقالوا ثقف لقف..عن اللحياني:رجل ثقف لقف وثقف لقف وثقيف لقيف بين الثقافة واللقافة، فهي تأخذ نفس الصيغة..قال:ابن السكيت:رجل ثقف لقف اذا كان ضابطا لما يحويه قائما به، ويقال:ثقف الشيء وهو سرعة التعلم أي أن الثقافة تعتبر عملية تعلمية وتعليمية[1]".

وكذلك تأتي بمعنى الذكاء والفهم والفطنة:فعند ابن دريد:"ثقفت الشيء حذقته من الحذاقة والذكاء، وثقفته اذا ظفرت به قال الله تعالى:" فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾[2]"

وثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقا خفيفا ذو فطنة وذكاء وحتى العزيمة والقوة والجلد مثل:

"ضخم، فهو ضخم، ومنه المثاقفة وثقف أيضا ثقفا مثل:تعب تعبا أي صار حاذقا فطنا فالمؤمن فطن كيس كما جاء في الحديث الشريف، فهو ثقف وثقف مثل حذر وندس، ففي حديث الهجرة: وهو غلام شاب ثقف لقن:أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه، وفي حديث أم حكيم بنت عبد المطلب:"إني حصان فما أكلم وثقاف فما أعلم"، وثقف الخل ثقافة وهو ثقيف، و ثقيف بالتشديد، الأخيرة على النسب:حذق وحمض جدا

[1]–ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص28

[2]–سورة الأنفال، الآية،57.

مثل:بصل حريف، قال وليس بحسن، وثقف الرجل:ظفر به وثقفته ثقفا مثال بلعته بلعاً أي صادفته، وقال: فإما تثقفوني فاقتلوني فإن أثقف فسوف ترون بالي[1]".

وهي بمعنى التمكن من الخصم والقدرة عليه ومصدرها ثقف والثقافة:العمل بالسيف، قال:وكأن لمع بروقها، في الجو أسياف،..فثقف:"ثقف الشيء ثقفا وثقافا وثقوفة:حذقه، ورجل ثقف" وثقف" وثقف":حاذق فهم، وأتبعوه فقالوا ثقف لقف، فالثقافة بصيغة اللقافة قال ابن السكيت:رجل ثقف لقف إذا كان ضابطا لما يحويه قائما به.

"وثقفنا فلان في موضع كذا أي أخذناه، ومصدره الثقف وفي التنزيل العزيز:" وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ [2]".

الثقافة:العمل بالسيف قال: وكأن لمع بروقها في الجو أسياف المثاقف، والثقاف إلى أن تقوم الساعة يعني الخصام والجلاد، والثقاف:"حديدة تكون مع القواس والرماح يقوم بها الشيء المعوج[3]".

وبالتالي فالمفهوم اللغوي لكلمة ثقافة من الفعل الثلاثي "ثقف" بمعنى حذق أو مهر أو فطن،أي صار حاذقا ماهرا فطنا، فهو ثقف وقد ثقف وثقافة، وثقف الشيء أي قومه وسواه، وتثقف الإنسان تأدب وتهذب وتعلم وتكون من الفطنة والكياسة والذكاء وتعني أيضا الحذاقة، المهارة والشطارة وكذلك الفطنة.

والتهذيب أيضا تقويم الإعوجاج:أي صار حاذقا ماهرا فطنا، وتأتي أيضا بمعنى القوة والجلد لأن المثقف يكون لديه من القوة الفكرية ما يكفي فهو ثقف وثقافة، وثقف الشيء أي قومه وسواه، وتثقف الإنسان تأدب وتهذب وتعلم.

1– ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص28

2–سورة البقرة، الآية:191.

3–ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص28

فالثقافة هي كل ما يملكه الأفراد من من معارف وعلوم وفنون، وما يحدد سلوكهم ويبني شخصيتهم في التعامل مع الآخرين فرديا وإجتماعيا وحضاريا، والمفهوم اللغوي قد أشار لعدة معاني منها:

- الحذق،المهارة والشطارة.

- الفطنة والذكاء.

-التهذيب وتقويم الإعوجاج.

فصار حاذقا ماهرا فطنا، وتأتي أيضا بمعنى القوة والجلد لأن المثقف يكون لديه من القوة الفكرية ما يكفي، فهو ثقف وثقافة، وثقف الشيء أي قومه وسواه، وتثقف الإنسان تأدب وتهذب وتعلم.

2.2.إصطلاحا:

اختلف جل المفكرين، وعلماء الإنتربولوجيا حول مفهوم الثقافة نظرا لتعدد إستعمالاتها، فمرة تستعمل بمعنى الذي يحوز ثقافة في كل شيء:"ذلك الذي إستطاع أن يجمع معلومات متعددة أو متنوعة، أو بتعبير القدماء ذلك الذي يأخذ من كل شيء بطرف[1]".

ومنهم من يرى أنها ما اكتسبها الأفراد من سلوك عبر حقب زمنية، وأصبحت جزءا من حياتهم، كما أن البعض الآخر يرى بأنها أفكار ومعارف تنعكس على سلوك المجتمعات لتصبح جزءا من معيشتهم، كما أن البعض الآخر يرى بأنها الأدوات والملابس وحتى المساكن داخلة في إطار الثقافة.

تتضمن التعريفات:الجانب النظري الفكري والإبداعي لأسلوب حياة المجتمعات فهو نوع من أنواع أساليب الحياة السائدة في مجتمع بشري معين، والإستخدام العلمي للكلمة لا يتضمن التهذيب أو تقدم المعرفة، ومنذ البدايات الأولى للجنس البشري:

[1]–مخلوف عامر، متابعات في الثقافة والأدب، منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين، دار هومة، الجزائر، طبعة:2002، ص:109

"والثقافة أهم ما يميز المجتمع الإنساني عن التجمعات الحيوانية، فعادات الجماعة وأفكارها وإتجاهاتها تستمد من التاريخ وتنتقل تراثاً إجتماعيا إلى الأجيال المتعاقبة، واللغة هي العامل الرئيس لنقل الثقافة، وإن كانت بعض أنماط السلوك والإتجاهات تكتسب بوسائل أخرى غير اللغة، ويشير اصطلاح"الثقافةالمادية"إلى الجانب الذي تمثله أشياء:كاللآلات والأسلحة والملابس وأشغال الفن، ودرجة تعقد التنظيم الثقافي تساعد على التمييز بين تحضر المجتمعات"[1].

فثقافة كل أمة جزء من الثقافة العالمية وكل ثقافة لها خصوصياتها، فمنهم من يربط بين الثقافة والتربية، فيقول إن الثقافة تشترط التربية وتتوقف عليها، وتتكيف بتكيفها وبطبيعتها، ومنهم من يربط بينها وبين اللغة وهناك أيضا من ربطها بالإبداع في مختلف العلوم.

كما أن هناك من يعد الثقافة بأنها كل مظهر من مظاهر التقدم العقلي وحده فقط، دون بقية المظاهر.

فالثقافة هي أسلوب حياة وهي الأفكار والإتجاهات ومنظومة القيم، وطريقة التفكير والعمل والسلوك التي تحكم جماعة من الأفراد، وكذلك التاريخ الذي ينقلها، واللغة التي يتكلم بها أفراد المجتمع ويتواصلون بها، ونمط العيش وما يتضمنه من مأكل ومشرب ومسكن، والعلاقة التي تربط بين الأفراد أنفسهم وبينهم وبين المجتمع، بذلك تشمل الجوانب المادية كالعمران واللباس والصناعات المختلفة، والجوانب المعنوية كأساليب العيش والتفكير، والمعتقدات المختلفة، حيث تكون ثقافة عامة يشترك فيها كل أفراد المجتمع، كما يمكن أن تكون ثقافة خاصة تتميز بها طبقة عن غيرها، أو جماعة عن غيرها داخل المجتمع نفسه.

فثقافة كل أمة جزء من الثقافة العالمية وكل ثقافة لها خصوصياتها، وهناك أيضا من ربطها بالإبداع في مختلف العلوم.

[1]–محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار الجيل، مصر،1995م، ص:581.

فهي تعني القوة الإبداعية في الفن والعلم والفكر بصفة عامة فتعرف بأنها:"قوة التاريخ الإبداعية في العلم والفن والأدب[1]".

وكل هذه المظاهر نتاج الفكر الإنساني الذي يتميز به جميع البشر لهذا يعدها جميل صليبا نتاجا له ومظهرا من مظاهر العقل الإنساني:"الثقافة كل مظهر من مظاهر التقدم العقلي وحده[2]".

أما **إدوارد تايلور** وهو من علماء الأنثربولوجيا في العصر الحديث:فيرى بأنها ذلك الكل المركب الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين:

"إن كلمة الثقافة أو الحضارة، بمعناها الإثنوغرافي الأوسع، تشير إلى هذا الكل المعقد الذي يضم في الوقت نفسه العلوم والمعتقدات والفنون والأخلاق والقوانين والعادات وغيرها من الملكات والعادات التي يكتسبها الإنسان في وضع إجتماعي [3]".

وتردد **تايلور** بين إستخدام إصطلاح الحضارة وإصطلاح الثقافة، وهذا إن دل فإنه يدل على تداخل المفهومين من ناحية كل ما هو مكتسب سواءا كان فكري أو مادي، ومن ناحية التطور الحاصل في المجتمع نتيجة الحضارة، وما خلص إليه تايلور في إستعماله هو إستعمال مصطلح الثقافة عكس مصطلح الحضارة الذي يعني التطور أو التقدم في أعلى الدرجات التمدن.

فالثقافة كل ما توصل إليه المجتمع الإنساني من فكر وقوانين وأخلاق إلخ..ويرى:"بأنها ذلك الكل المركب الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين"[4]

---

[1]-علي عبود المحمداوي، خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح، منشورات الإختلاف، الجزائر، طبعة:1، سنة:2019م، ص:32

[2]–المرجع نفسه، ص:32

[3]-Edward B.Taylor, la civilisation primative,traduit,Pauline Brunet,Paris,Libraires-editeurs,C.Reinwald et Ce, 1876,page : 22.

[4]–علي عبود المحمداوي، خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح، مرجع سابق، ص:32.

وبالتالي فمختلف التعريفات تتضمن الإبداع ومحاولة الوصول للكمال في كل ما يتصل بالحياة والسلوك من قوانين وقيم وأخلاق على مستوى العلم والوجدان والتصوروالإدراك.

فيما ربط البعض الثقافة بالتراث والإطار الديني بأنها:"ذلك الكل الذي يعبر عن العناصر الأساسية للشخصية الفردية والإجتماعية، التي تتكون (كما نعتقد) من مثلث العلاقات الذي يتفاعل ويلخص النظرة إلى الله:(العقيدة والدين) وإلى الأخر:(الكون والطبيعة والمجتمع) وإلى الذات:(الرغبات والغرائز) والتي جاءت لتدل على:"ذخيرة مشتركة لأمة من الأمم تجمعت لها وانتقلت من جيل لجيل خلال تاريخ طويل، وتغلب عليها بوجه عام عقيدة دينية هي جزء من تلك الذخيرة المشتركة"[1].

وقد إهتم مالك ابن نبي كثيرا بمسألة الثقافة حتى أنه خصص لها أحد أهم كتبه وهو مشكلة الثقافة حيث ربط بين السلوك والأخلاق والتحضر وجعل الأخلاق هو المركب الذي يجمع بين كل عناصر الحضارة من تراب ووقت وإنسان.

كما أن المفهومين مترادفين ومتقاربي المعنى لدرجة أن إستعمال أحدهما يعبر عن الآخر وكل ذلك يرجع حسب ذوق الشخص أو حسب المدرسة التي يتبعها، فمنهم من يجعل الثقافة:خاصة بالجوانب الروحية الذاتية كالدين والفلسفة والفن.

ومنهم من يجعل الحضارة: في الجانب المادي وما يحققه من تطور وإزدهار، كما أن أهم المدارس التي إهتمت بذلك كانت بين:

"الإنجليز والأمريكان، فالإنجليز إهتموا بالحضارة والمجتمع كالمؤرخ الإنجليزي الشهير **توينبي** الذي يفضل إستعمال الحضارة ولا يستخدم الثقافة إلا نادرا، بينما يفضل الأمريكان إستخدام إصطلاح الأنثربولوجيا الثقافية[2]".

---

[1] –المرجع نفسه، ص:33.

[2] –سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، طبعة: ثانية،1983م، ص:31.

وهذا واضح لأن الإنجليز كونوا حضارة لمدة طويلة من الزمن حتى أصبحت تلقب بالإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس عكس أمريكا وهي دولة حديثة نسبيا لم يكن لها حضارة في السابق وإنما في العصر الحديث فقط.

فمختلف التعريفات تتضمن الإبداع ومحاولة الوصول للكمال في كل ما يتصل بالحياة والسلوك من قوانين وقيم وأخلاق على مستوى العلم والوجدان والتصور والإدراك.

والثقافة من هذا المنظور هي كل ما يربط بين الفرد ومجتمعه والفرد وخالقه وكيف ينظر للكون وعلاقته بالدين وبنفسه وربه وبغيره من أفراد هذا المجتمع.

وما نلاحظه أن هناك عدة إتجاهات في تعريف الثقافة، فمنهم من يربط بينها وبين السلوك المكتسب والمتعلق بمجموعة أفراد أوالمتعلق بالجماعات، ومنهم من يربط بينها وبين الإنسان وعلاقته بخالقه وبذاته وبالآخرين، ومنهم من يرى بأنها مجموعة أفكار تنعكس على سلوك الأفراد والجماعات وما يتوارثونه من عادات وتقاليد، ومساكن وطريقة الملبس ومنهم من يجعلها في الجانب الروحي دون المادي ومنهم من يجعلها في المادي دون الروحي، وإذا اختلفت هذه التعريفات في معنى موحد للثقافة فقد إتفقت على أنها نتاج العقل الإنساني وما كونه من فكر إنعكس عليه ماديا أو تأثر به روحيا عبر الزمن.

3.خصائص الثقافة:

تختلف الثقافة من مجتمع للآخر كما أن الإنسان يشارك جميع المخلوقات في العيش داخل مجتمع فيمكن أن يكون هناك تشابه بين عدة مجتمعات من ناحية الثقافة كما أنه يمكن أن يكون لكل مجتمع ثقافته الخاصة به، والتي لا يشاركه فيها غيره من المجتمعات بل وحتى في المجتمع الواحد يمكن أن تكون هناك عدة إختلافات وبالتالي هناك سمات عدة تشترك فيها هذه الثقافات:

1.3.الثقافة إنسانية مكتسبة:

يختلف الإنسان عن بقية المخلوقات في الإدراك العقلي والذي ميزه الله به عن بقية الكائنات وقدرته على التكيف مع مختلف الظروف المعيشية وذلك عن طريق إختراعه

للملابس المناسبة لكل فصل ومناسبة، وكذلك بناءه للمساكن المقاومة للبرودة والمتكيفة مع الأحوال السائدة في كل منطقة، وإنتقاله من طور الزراعة والرعي إلى طور الصناعة وذلك بتغيير ثقافته وأفكاره، عكس بقية الكائنات والحيوان الذي تتحكم فيهم الغرائز والدافع الفطري للتكاثر والعيش، والإنسان يكتسب ثقافة مجتمعه منذ مولده، لذا فإنه يكتسب هذه الثقافة منذ نعومة أظفاره ويتعلم لغة مجتمعه وعاداته وتقاليده:

"فيستطيع أن يلتقط ثقافة أي مجتمع بشري مهما كانت السلالة التي يرجع إليها..فمثلا لو أخذنا طفل زنجي من قبيلة في نيجيريا ووضعناه في أسرة لبنانية منذ الصغر فإنه سيتكلم العربية، وكذلك الحالة بالنسبة للنظم الثقافية الأخرى"[1]، فالطفل يولد صفحة بيضاء يكتسب ويتعلم من الآخرين لغته وسلوكه وحتى ثقافته.

2.3.الثقافة إجتماعية:

نظرا لإرتباط الفرد بغيره من أفراد مجتمعه ولحاجته في العيش المشترك فالإنسان ابن بيئته ومجتمعه، والثقافة هي ذلك الكل المشترك بين أفراده من سلوكات وأفكار وعادات وتقاليد وحتى المساكن والملبس وطريقة الأكل والعيش فهي كلها عادات بين مجموعة من الأفراد وما يربطهم ببعضهم البعض.

3.3.الثقافة متنوعة ومتغيرة:

يتغير المفهوم الثقافي من مجتمع لآخر فما يكون في مجتمع عادات مقبولة وجزء من ثقافته يمكن أن يكون جريمة في مجتمع آخر فمثلا كشرب الخمر والعلاقات قبل الزواج في المجتمعات الإسلامية:محرم هذا الأمر ويعاقب عليها القانون والشرع، عكس المجتمعات الغربية التي تعتبره عادة وجزءا من معيشتها وحياتها اليومية وكذلك للعلاقات قبل الزواج والذي يعتبر جزءا من حريتهم وحياتهم اليومية.

وما يلاحظ في المجتمعات المسلمة أن الدين والنظم الثقافية تلعب دورا مهما في ضبط سلوكات الأفراد فالدين ينظم العلاقات العائلية ويكمل الأخلاق التي جاء بها الإسلام:

---

[1]–عاطف وصفي، الأنثربولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت، سنة:1971م، ص:83.

"وكذلك يؤثر في حياة أفراده من عادات المأكل والملبس ونظام الميراث والوصية، وما ينعكس في حياتهم من تردد لإسم الجلالة أو في مآذن الجوامع عند دعوة المسلمين للصلاة."[1]

بل وربما يجد الإنسان هذا الإختلاف حتى في المجتمع الواحد، تجد إختلاف الديانات واللغات والعادات والتقاليد ولا يؤثر ذلك في إلتزامهم وقيامهم بواجباتهم وتعايشهم مع بعضهم البعض.

4.3.الثقافة إنتقالية تراكمية وتكاملية:

تنتقل من جيل لجيل، فالإنسان لا يبني ثقافة من فراغ أو يبدأ في تكوين ثقافة من جديد فمثل اللغة والعادات والتقاليد تنتقل من جيل لآخر ومحال أن تتكون ثقافة أي بلد أو مجتمع من فراغ، فالثقافة تراكمية مثلها مثل المعرفة، ويكمل بعضها بعضا وممكن أن تتحد لتكون كلا متكاملا يرى **سمنر**:

"من أن العادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية تتعرض لضغوط من أجل أن تتكامل ويتسق بعضها بعضا وهذا التكامل كما يرى يتعرض لضغوط لأن الأحداث التاريخية تفرض تأثيرا مزعجا ومعوقا للتكامل"[2].

ودائما ما يحتاج التكامل وقتا حتى يندمج مع بقية الثقافات أما في بداياتها تكونها فإن لكل ثقافة خصائصها التي تتميز بها.

فالثقافة متغيرة من مجتمع لآخر ومن وقت لآخر، كالمجتمعات الصناعية والتطور المعاصر، من حيث الذكاء الإصطناعي وسرعة هذا التطور، كما أن هناك مجتمعات ما زالت بدائية ومنغلقة على نفسها فيكون بطيء في تغييرها وانتقالها من حال لآخر.

هذا بالإضافة إلى خصائص أخرى منهم من يرى أنها من خصائص الثقافة، ومنهم من يرى أنها داخلة في مجموع هذه الخصائص مثل:

---

[1]–عاطف وصفي، الأنثربولوجيا الثقافية، مرجع سابق، ص:85.

[2]– سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، مرجع سابق، ص:79.

كونها أفكار وأعمال، ونسيج متداخل ومتنوعة المضمون، وأنها متشابهة من ناحية الشكل:كاللغة أو من المركبات المادية: كالعادات والفن والأساطير والمعارف العلمية أو حتى التصرفات الدينية، وفي مجال الأسرة والنظم الاجتماعية، والملكية التجارية والفردية، وأشكال الحكومة والحكم السياسي، وحتى في الحرب"[1].

بالإضافة لعنصر التكيف الذي تتميز به أيضا على حسب البيئة الجغرافية التي تصنع تلك العادات أيضا تتميز بعنصر التكيف حسب هذه المستجدات والظروف.

4.أهمية الثقافة:

من خلال التعريفات السابقة تظهر لنا أهمية الثقافة: كتراث وكسلوك فهي عبارة عن حجر الأساس للعلوم الاجتماعية وأهم موضوعاتها ومنها يمكن القول أنها تلعب دورا أساسيا في تفرد الشعوب عن بقية الكائنات، بفضلها عكس ما يشترك فيه مع غيره:كالبيئة والحياة فهو لم يتغير تكوينه منذ ألاف السنين عكس التراث والثقافة التي تكون دائما في دينامية وحركة.

لهذا يعبر **أوجبرن ونيمكوف**:"عن الحياة الاجتماعية بوصفها دراما إنسانية لها أربع ممثلين:الوراثة، البيئة الجغرافية، الحياة الاجتماعية والثقافة، هذه الأخيرة هي التي تلعب دورا أساسيا في الدراما الإنسانية.[2]"

وقد عبر عنها بالعمل الدرامي وكأنها سلسة متصلة تعيشها الشعوب في حياتها وكجزء من سلوكها والذي لاتستطيع التخلي عنه وكأنه الدور الأساسي من الدراما الإنسانية.

وتتمثل أهمية الثقافة في كونها تغرس قيم التعايش بين مختلف الطوائف بالإعتزاز بها والمحافظة عليها ويعود على الدولة بالغنى الثقافي، كما أنه يساهم أيضا في تطورالسياحة ونمو الإقتصاد من الجانب السياحي، إذا وفرت الإمكانيات ووفرت الدولة الإهتمام بهذا الجانب وهو ما يعود عليها بالنفع وفي الوقت الحالي مختلف الدول والمجتمعات استغلت

[1]–سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، مرجع سابق، ص:93.

[2]–سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، مرجع سابق، ص:29.

هذا الجانب ووضعت لأجله المشاريع الضخمة لتهيأته لجلب السياح والمهتمين بالجانب الثقافي.

المبحث الثالث:المرجعية الفكرية لمولود قاسم نايت بلقاسم:

تتشكل المرجعية الفكرية لمولود قاسم من عدة روافد إكتسبها منذ صغره مرورا بشبابه الذي كرسه للقضية الوطنية، من خلال دفاعه عنها داخليا وخارجيا كممثل لجبهة التحرير الوطني في الدول الإسكندنافية، وهو ما جعله يطلع على وثائق مهمة لصالح قضيته.

ولمعرفة أهم المراجع الفكرية لمفكرنا علينا الإطلاع على نشأته، مرورا بسيرة حياته لمعرفة أهم المحطات التي تزود منها مولود قاسم والتي تعد اللبنات الأولى في تكوين شخصيته، والتي بنت لنا مفكرا إستفادت منه الجزائر فيما بعد، الذي يعد من مؤسسي وبناة الدولة الجزائرية والذي لاتزال شخصيته تثير جدلا في جزائر ما بعد الإستقلال، رائد المؤتمرات الفكرية الإسلامية والتي يقترن إسمه بها كلما ذكرناها، لما كان لها من بعد عالمي للتعريف بالإسلام واهتمامه بالتعايش السلمي ووسطيته وكذلك بالنسبة للتعليم الأصلي والذي تعد بصمته واضحة في هذا النوع من التعليم .

1.المرجعية الدينية:

تعد الكتاتيب في القرى الجزائرية مدارس خاصة كان يتعلم فيها أبناء الجزائر اللغة العربية وعلومها وكذلك حفظ القرآن الكريم، وقد بقيت محافظة على دورها رغم تضييق الإستعمار الفرنسي لها وإغلاقه الكثير منها بدعوى نشرها لأفكار التطرف والعنف، ورغم ذلك فقد بقيت محافظة على دورها الريادي في تعليم المسلم الجزائري لدينه ولغته، **ومولود قاسم*** كغيره من أقرانه من شباب الجزائر قد إستفاد منها أيما استفادة لصقلها في شخصية مفكرنا المبادئ الأولى لهويته، والأساس المرجعي الذي بنى عليه فكره وآراءه، فقد درس مولود قاسم اللغة العربية في مسجد القرية حيث بدأ بحفظ القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية والتي كان لها الدور الكبير في تكوين شخصيته فيما بعد خصوصا لدى مشايخ لهم الوزن

*-ولد المؤرخ والفيلسوف مولود قاسم نايت بلقاسم يوم 6 جانفي 1927 في قرية أقبو بولاية بجاية, وهو ينحدر من أسرة فقيرة جدا شأنه في ذلك شأن سكان منطقة القبائل، وقد توفي مولود قاسم يوم 27 أوت 1992 بالعاصمة, بعد مرض مفاجئ أودى بحياته بعد أيام قليلة جدا(أحمد بن نعمان، مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف، شركة دار الأمة، الطبعة الثانية،الجزائر،1997،ص15)

والثقل الكبير على الساحة الجزائرية من مشايخ الجمعية الذي كان لهم الدور الكبير في تحفيظه، وتلقينه لمولود قاسم المبادئ الأولى والتي ستنعكس عليه فيما بعد وتشكل لنا واحدة من أهم الأفكار على الساحة الجزائرية وهي التمسك بالهوية أو بالإنية كما يحلو لمولود قاسم تسميتها وبعد هذه التنشئة والبدايات الأولى في تعلمه سينتقل فيما بعد ويلتحق بالمدرسة الابتدائية الفرنسية والتي سيكون له:"موقف مع أستاذها فيما يخص نبينا (صلى الله عليه وسلم) لرده على أستاذه وانتقاده له، ما سيعرضه للمسائلة والتحقيق من طرف الدرك الفرنسي يستجوبونه عن هذه الأفكار الكبيرة التي ترهب الطغاة المستبدين.[1]"

وهو ما يدفعه للهجرة فيما بعد للدراسة في أحد الدول العربية نظرا للتضييق الذي كان يعاني منه أغلب الشباب والطلبة الجزائريين.

ففي كتاب القرية حفظ مولود قاسم القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية ومبادئها على أيدي قامات من قامات التعليم هناك، ولحسنه حظه كان القائمون على هذه المدارس من ممثلي جمعية العلماء المسلمين والذي سنتطرق إليهما في المرجعية الثانية من المراجع التي استفاد منها مولود قاسم وساهمت في تأسيس وتكوين فكره، والذي سيصبح فيما بعد راية من رايات الفكر الجزائري المعاصر فيما يخص خطابات الإنية والهوية الجزائرية وبالتالي فالقرآن الكريم واللغة العربية: كانتا المنطق الفكري الذي إنبثق منه فكر مولود قاسم، واللذان جعلهما عنصرا من عناصر الهوية يجب المحافظة عليها إذا أرادت الأمة البقاء وعدم التلاشي أو الزوال.

2.المرجعية الوطنية من خلال جمعية العلماء المسلمين:

لا يخفى على من له إطلاع بحياة مولود قاسم الدور الكبير الذي لعبته الجمعية في صقل فكره خصوصا في الصغر بأن كان لك شيوخ يدرسون في كل نواحي الوطن تقريبا وخصوصا من أعضاء جمعية العلماء المسلمين، الذي تعلم مولود قاسم على يديهم مبادئ الدين الإسلامي وحفظ القرآن الكريم ولم يكن دور جمعية العلماء تحفيظ الشباب القرآن

[1]–محمد الصالح الصديق، خواطر وذكريات عن الأستاذ الراحل مولود قاسم نايت بلقاسم، دار البعث، قسنطينة، بتاريخ:1993م، ص:18

وتعليم اللغة العربية فحسب بل كان توعية الشباب بالقضايا التحررية والتمسك بالدين الإسلامي وتحفيظ القران الكريم وتعليم اللغة العربية والتمسك بوطن إسمه الجزائر، ومن هنا بدأت تتضح معالم الطريق الذي رسمته الجمعية لمتبعيها وتلامذتها وهو طريق تحرري يتمسك بالهوية ولا يحيد عنها، ومن من كانوا على الدرب نجد مولود قاسم الذي رضع من هذه القيم وتربى عليها لتعود علينا فيما بعد على شكل خطابات وحوارات إمتاز بها ودافع عن الأمة الجزائرية بكل ما أوتي من قوة وعزم.

وبعدما واصل تعليمه بالمدارس التعليمية المحلية التقليدية حيث ختم القرآن الكريم كما قلنا تحت إشراف جمعية المسلمين والذي كان لها الدور الكبير أيضا في تشكيل مرجعيته الدينية والفكرية، فمن هذا المعتقل الإصلاحي –قلعة السنة–كما كان يسميها الشيخ عبد الحميد بن باديس، إستلهم مولود باعا وفيرا، وأخذ مبادئ واسعة في اللغة العربية والفقه الإسلامي.

" فقد ختم القرآن سنة: 1944م بمدرسة التربية والتعليم بقرية آيت عباس التي كانت تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم سافر مولود قاسم متجها نحو تونس سنة: 1946م لمواصلة مشواره الدراسي مع مجموعة من الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة كان سفره شاقا للغاية بعد قطعه للحدود الشرقية الجزائرية بين مدينتي تبسة وتالة في تونس ليلا على البغال مع تجار السوق السوداء،وبعد التحاقه بجامعة الزيتونة كان أحد المسؤولين الستة على إتحادية حزب الشعب الجزائري للطلبة وذلك حتى جوان 1949،وبذلك فقد وزع جهوده بين الدراسة والنضال السياسي[1]".

دخل المدرسة القرآنية بقريته أين حفظ القرآن الكريم كما أشرنا سابقا و "تلقى مبادئ العلوم اللغوية والدينية على يد الشيخين محمد أمقران الشقار ومحمد أكسوح، كما دخل المدرسة الأهلية الفرنسية لكنه طرد منها وعمره لايتجاوز العشر سنوات ويعود سبب الطرد الى إنتفاضة معلمه الأوروبي الذي إنتقد الإسلام وكذب نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) وقد:"إستدعاه البوليس الاستعماري للتحقيق معه وهو طفل فاكتشفوا أن أغلب أطفال منطقته

[1]–أحمد بن نعمان، مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف، شركة دار الأمة، الجزائر، الطبعة الثانية،1997م، ص15.

ومنهم مولود قاسم قد تشبعوا بالفكرة الوطنية نتيجة احتكاكهم بمشايخ الجمعية وكذلك إحتكاكهم بآبائهم المهاجرين أثناء عودتهم الى أرض الوطن أثناء العطل الصيفية والذين كانوا ينشرون الفكرة الوطنية بحكم نضالهم في نجم شمال افريقيا الذين كان أغلب أعضائه من المهاجرين القبائل في فرنسا[1]".

وفي جامع الزيتونة تحصل هناك على الشهادة الأهلية ليرسله أبوه فيما بعد الى مصر أين التحق بكلية الآداب بجامعة القاهرة فتخصص في الفلسفة حيث حاز على شهادة الليسانس في هذا التخصص عام 1952م.

3.المرجعية العربية الإسلامية:

يبدو أنه في فترة دراسته في مصر قد تأثر مولود قاسم بالفيلسوف المصري الكبير عثمان أمين أستاذه في مادة الفلسفة الحديثة في الجـــامعة، في سنواته التي كان يدرس فيها الليسانس فأخذ عنه الحماس والفضول، وحب اللغة العربية و التفتح على اللغات و الثقافات الأجنبية، و منه إســـتمد شعار الإنية الذي غدا بمثابة الورد يردده مولود قاسم في كل مجلس و يكرر التذكير به في كل محفل وموقف و قـــد آخذه مترجما مـــن المؤلف المشهور بالجوانية، وأشار إلى ذلك مترجمنا بقوله:"ندين لأستأذنا الكبير باهتمامنـــا بمفهوم الإنية بمبناها و معناها و هي الواردة في الإشارات و التنبيهات لأبي علي ابن سينا، و قد كان استأذنا و هـــو الذي كتب ما كتب عن ديكارت و فلسفته لا يفتأ يذكرنا بأن ديكارت لم يأخذ ذلك المبدأ الـــذي جعلـــه محـــور فلسفته إلا من إنية ابن سينا[2]".

وتأثره بالفلسفة العربية الإسلامية لا يخفى على أحد فقد إهتم بأطروحات للدكتوراه عن المعتزلة والتي لسوء الحظ ولظروف معينة لم يكملها، كانت حول الحرية عند المعتزلة، وفيما يخص الإنية وتأثره الكبير بالشيخ إبن سينا في كتابه الإشارات والتنبيهات، والتذكير

[1]–مريم سيد علي مبارك، مثقفون خلال الثورة، دار المعرفة، الجزائر، تاريخ الطبعة 2012، ص200.

[2]–مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصالية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، طبعة:1، سنة:1991م، ج:2، ص:326

دائما بسبق الحضارة العربية الإسلامية على الغربية فكرا وثقافة رغم الإنحطاط الذي تعاني منه والوهن وكل ذلك بسبب البعد عن دينها.

وقد خصص محاضرة لنعي وفاة شيخه عثمان أمين بعنوان:"مات عثمان أمين فيلسوف الجوانية ومفند الخواجات" بمجلة الأصالة العدد: 61/60 بتاريخ سبتمبر 1978م والذي قد سبق وأن قلنا بأنه درسه في جامعة القاهرة، وكان له الفضل في صقل فكره وتذكيره لأمجاد الأمة، والسبق عند فلاسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا والمعتزلة أو الغزالي وإبن رشد على ديكارت وكنط وغيرهما من فلاسفة أوروبا، وأن أصل الكوجيتوا الديكارتي مستمد من نظرية الرجل المعلق في الفضاء التي إستمدها من ابن سينا.

لقد كنا في صميم حركتنا الوطنية المنادية بضرورة إبراز شخصيتنا والتذكير بأمجادنا وفصل ذاتيتنا عن الوجود الفرنسي ولذا اهتممنا بهذا الأساس الفلسفي وتحمسنا وظللنا نشتغل وتركزهـــا في أنفسنا حتى بعد استرجاع الاستقلال.

كل هذا يشير إلى تكون شخصية مولود قاسم من حفظ القرآن وتعلمه مرورا بالزيتونة ثم جامعة القاهرة، والتي تبرز لنا المبادئ واللبنات الأولى لبناء مفكر ثائر، تأثر بالثقافة الدينية منذ نعومة أضافره وحتى شبابه في أهم منارات التعليم الديني في العالم العربي وحتى الإسلامي قاطبة ولكن لا نجد ذكر للتعليم أو الثقافة الأمازيغية في الكتب التي أشارت لمسيرته وحتى هو لا يذكر تعليمه وثقافته الأمازيغية رغم أنه يفتخر بها كثيرا؟ "فقد كان مهتما بتاريخ يوغرطا وكيف سلمه صهره للرومان..وكيف ألقي به في السجن، حتى مات صبرا، وكان الأخ مولود معجبا بيوغرطا وشجاعته، ومواقفه مما جعله يسمي ولده بإسمه[1]"

ووضعه لصورته في غلاف الفكر الإسلامي لما كان مسؤولاً عن هذه الملتقيات، وهذا لكون الثقافة الامازيغية يتعلمها أطفال القرى عن طريق تعليمها للأبناء في الصغر في البيت الأسري، وعن طريق المحافظة على العادات والتقاليد والتي ما زالت باقية ليومنا هذا بنفس الوتيرة مع تعليم القرآن لأبنائهم والمحافظة على ذلك.

[1]–محمد الصالح الصديق، خواطر وذكريات عن الأستاذ الراحل مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ص:125.

وقد كان في نفس الفترة ينشر بعض المقالات في بعض الصحف الجزائرية كالمنار والبصائر وعمل على شرح القضية الجزائرية في المشرق العربي.

4.المرجعية الثورية التحررية:

لقد إنضم مولود قاسم ومن البدايات الأولى لشبابه لعدد من الأحزاب التحررية والتي تدعوا لإستقلال الجزائر، فقد تأثر بما تدعوا إليه وحارب من أجل ذلك بنفسه وبقلمه ولسانه، ومن بين هذه الحركات والأحزاب والتي كان عضوا نشيطا فيها:"الحركة من أجل الانتصار للحريات الديمقراطية والتي كلفته بتوزيع مطبوعات الحزب في هذه منطقته بالإضافة الى تحمله مسؤولية فرع الطلبة التابع للحركة في تونس ثم في القاهرة".[1]

وتعد المرحلة الأولى:وهي مرحلة الإنضمام والمشاركة في النضال الطلابي في سن الشباب والتي بدأت تتكون فيها شخصيته وهي مرحلة الإنضمام للحركات التحررية وعلى رأسها الحركة من أجل الإنتصار للحريات.

"وقد كان أحد المسؤولين الستة على إتحادية حزب الشعب الجزائري للطلبة، وذلك حتى جوان 1949، وبذلك فقد وزع جهوده بين الدراسة والنضال السياسي، بعد عودته من مسقط رأسه في العطلة الصيفية سنة 1947 كانت أحداث 8 ماي 1945 شديدة الوقع ودامية:"فأخذ يتصل بالناس ويتحدث عن مجازر سطيف وعموشة حديثا مؤثرا كما كان يقوم بتعليم أبناء قريته الأناشيد الوطنية في الصيف ألقي عليه القبض بعد إبلاغ القايد بأقبو، فحوكم في بجاية بسبب هذه التصرفات وأدين بعشر سنوات سجن وغرامة مالية مقدرة بـــ500 ألف فرنك فرنسي'موقف أبيه يرجع له الفضل بإبراز عصاميته وعبقريته بفضل تشجيعه له ووقوفه معه، حيث كلف محامين للدفاع عنه إلى جانب محامين كلفها حزب الشعب الجزائري(PPA) الذي كان من أبرز مناضليه فاستأنف الحكم وحصل على البراءة من المحكمة العليا في الجزائر."[2]

---

[1]- مريم سيد علي مبارك، مثقفون خلال الثورة، مرجع سابق، ص:201

[2]–أحمد بن نعمان، مولود بلقاسم نايت بلقاسم رمز كفاح أمة، دار الأمة، الجزائر، سنة:1993، ص10.

ثم تأتي المرحلة الثانية:وهي مرحلة النضال السياسي والعمل على:"تمكين المسلمين الجزائريين على من الحقوق الاقتصادية والسياسية والتي ظلوا محرومين منها لفترة طويلة والتطلع إلى إسقاط النظام الكولونيالي الذي أقامته البرجوازية الفرنسية في الوطن الأم الجزائر[1]."

وفي هذه المرحلة تتميز بنشاطه في الدول العربية، على غرار تونس ومصر لدعم القضية الجزائرية، وما كان يحز في نفس مولود جهل بعض المثقفين بقضيتنا، حتى أن البعض كان يعتقد بإعتقاد السلطات الفرنسية بأن الجزائر تابعة لفرنسا وهو ما حاول نفيه وإثبات أصالة وإستقلالية الأمة الجزائرية في العصر القديم والحديث وقد وجد الحرية التامة لعرض قضيته الوطنية وإسماع صوت الجزائر في المحافل الثقافية والصحافية في تلك البلدان.

المرحلة الثالثة مرحلة الإنضمام للثورة التحريرية الكبرى:

وتمثيل جبهة التحرير الوطني في الخارج، فقد كان ممثلا لها في الدول الإسكندنافية، وهو ما ساعده في جمع كم كبير من الوثائق التاريخية والإطلاع عليها، لإثبات جزائرية الصحراء فيما بعد في إتفاقيات إيفيان.

5.المرجعية التاريخية ودراسة تاريخ الجزائر:

لقد إهتم مولود قاسم نايت بلقاسم وبحث عن تاريخ الجزائر القديم، والمتوسط، و الإسلامي، في كتب و دراسات غير فرنسية ومن الكتب التي أنارت له الطريق دراسات عميد المؤرخين الجزائريين المؤرخ أحمد توفيق المدني في مصنفه: كتاب الجزائر وهذه هي الجزائر إلى جانب هذه الدراسات إطلع مولود قاسم على كتابات الشيخ مبارك الميلي خصوصا في مؤلفه المشهور:تاريخ الجزائرفي القديم والحديث، ويعود إهتمامه بكتب تاريخ الجزائر إلى الصدمة التي تعرض لها في صغره عندما قام بالرد على أستاذه الفرنسي والذي كان يشكك في نبوة النبي(صلى الله عليه وسلم) وكذلك في تاريخ الجزائر وأنها صنيعة

[1]– تاحي إسماعيل، مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري بقسنطينة، سنة:2007/2006م، ص:43

فرنسية ليس لها تاريخ، فانكب مولود قاسم على قراءة كتب التاريخ والإطلاع عليها ليعود فيما بعد ويؤلف أهم كتبه وعلى رأسها:شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل:1830م، وكذلك ما يثبت هوية وإنية الشعب الجزائري في كتابه:إنية وأصالة، و أصالية أم إنفصالية.

وكذلك مجلة الأصالة والتي كان يصدرها وما لعنوانها من ثقل تاريخي وقد كان إهتمامه منصبا على تاريخ الجزائر وإثبات أصالة وقدم الأمة الجزائرية.

وحتى في كتابه:ردود الفعل الأولية على غرة مآثر نوفمبر، وما قدمه من تحليل للمؤيدين والمعارضين للثورة المجيدة داخليا وخارجيا يثبت رسوخ قدم مولود قاسم وإهتمامه بالثورة والتاريخ.

6.المرجعية الغربية:

لقد كان معظم جيل مولود متأثرا بالإشتراكية ومتشبعا بها، كونها كانت تدعم الحركات التحررية في الوطن العربي ودعمه بالمال والسلاح ضد القوى الغربية الغاشمة والتي كانت ترى فيها الدول الإشتراكية كممثل للشر في العالم، وحتى الأحزاب والجمعيات في الجزائر كانت متأثرة بالإشتراكية وتدعوا إليها:"وأن أصول الإشتراكية موجودة منذ أربعة عشر قرنا، وذلك في روح الإسلام ونصه، وهو دين العدالة، والإنصاف والتضامن..وذلك ما نود أن نسميه:بأصالة مجتمعنا الإشتراكي[1]"، ونحن لا نبرر للإشتراكية فهي لها ما لها، وعليها ما عليها ولكنها كانت حتمية تاريخية في فترة من الفترات، فرضتها الظروف العالمية والواقع الذي كان يعيشه الوطن العربي زمن الإستعمار الغربي الليبرالي، الذي كان في إصطدام معها، وبالتالي فإن الشعوب ستلجأ حتما للمعسكر الشرقي الإشتراكي العدو اللدود للرأسمالية الغربية والذي كان يساعد دول الإستعمار ويمدها بالدعم المادي والمعنوي.

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر،1975م، ص:115.

وحتى مولود قاسم لا يخفي إشتراكية الدولة، بل والدفاع عنها ويسميها إشتراكية الإسلام والعدالة الاجتماعية، ومرة بالتكافل أو بالتكافل الإجتماعي، وهي كلها مسميات للعدالة الإجتماعية:

"والقول أنه ليس في الإسلام إشتراكية ينطوي على جهل بحقيقة الإشتراكية، وعلى قصور في فهم الإسلام وتعاليمه، وأهدافه وبعد عن معرفة أحكامه المتعلقة بهذا الموضوع[1]".

وبحديث النبي:(صبى الله عليه وسلم)"الناس شركاء في ثلاث:الماء والكلاء والنار."

على أن الإشتراكية يجب أن تشرك الناس في كل شيء فلا يبقى غني يتفاخر على الناس ولا فقير بائس وهي عدالة إجتماعية ويستدل أكثر بما حدث في وقت عمر عندما رفض توزيع أراضي سواد العراق والشام على الأفراد وأبقاها ملكا للأمة خوفا من أن يأتي بعدهم من يتملكها وتصير للأفراد بدل الأمة.

"ويستدل بقول الشيخ أبو زهرة في ذلك:ونرى عمر يبني رأيه على ثلاث أمور مصلحية:

-منع الملكية الكبيرة

-إن خراج هذه الأراضي إذا منعت قسمتها يكون لصالح الدولة والجهاد في سبيل الله.

-إنها لو قسمت ما كان مال ينفق منه على الضعفاء من اليتامى،والأرامل والمساكين ونراه أقام الرأي على المصلحة.."[2]

كل هذا تحت عنوان له في كتابه أصالية أم إنفصالية:

بمفهوم العدالة الاجتماعية في الإسلام وهو لا يخفي مفهومه للعدالة بمفهوم الإشتراكية في الاقتصاد، والعدالة في التوزيع بين أفراد المجتمع، وأن هذا العدل نظرية من نظريات أحد الفرق الكلامية التي هي المعتزلة والتي لا يفهم العقاب والثواب بدونها ولقد كان له رسالة دكتوراه حول الحرية عند المعتزلة لكنه لم يكملها، لإستدعائه من قبل جبهة التحرير

[1]-مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصالية، ج:1، مصدر سابق، ص:334.

[2]-المصدر نفسه، ج:1، ص:330.

الوطني كممثل لها وهو مالم يرفضه وجعله لا يكمل رسالته في الدكتوراه، وأن ما يهم في نظره هو العدالة الإجتماعية التي هي العدالة الاقتصادية والعدالة الإجتماعية مع العمال وللإسلام في نظره وسائل عدة لتحقيق هذه العدالة من بينها:"

أ-الزكاة وما في حكمها.

ب-باب الحق سوى الزكاة وهو ما فضل على الأغنياء يوزع على فقرائها.

ج-ملكية الأمة:وذلك بنزع الملكية الكبيرة في حالة وجودها لتعود للدولة إذا اقتضت مصلحة الأمة إنتزاعها..وبذلك يتحقق العدل بمنع تكدس الثروات في أيدي فئة قليلة من الأغنياء.."[1]

أما الإشتراكية السياسية وما يدور حولها من علاقة الحزب الواحد وتحكمه في مفاصل الحياة في الدولة، وإن لم يشر إليها مولود قاسم، ولكنه كان جزءا من هذا الحزب، وهذا ما يدل على تزكيته له، ووقوفه مع الوحدة دون التعدد السياسي فقد كان محاضرا متمكنا وسياسيا محنكا، وهو ما جعله يعطي صبغة توافقية على الإشتراكية في بداية نشأتها، خصوصا بعد الخروج من الحرب التحريرية وقد كان مدافعا شرسا على شقها الإقتصادي في كل المحاضرات التي يذكر فيها العدل أو العدالة الاجتماعية، وهذا ما يعني ضمنا موافقته على الإشتراكية السياسية التي أقرها الرئيس ومجلس الثورة، لكونها كانت تعكس ثورات المضطهدين ومطالبتهم بحريتهم التي فقدوها لسنين طويلة، وحتى في مذكرات تخرجه نجد أن مولود كان يركز على الحرية حول المعتزلة أو حول العقل عند كانط.

كما أشرنا أن مولود قاسم كان ممثلا جبهة التحرير الوطنية للدول الإسكندنافية، وهو ما مكنه من الإطلاع على كتب تاريخية باللغات الأجنبية وإحتكاكه بقناصلة ومفكري هذه الدول، محاولة منه جلب تأييد للقضية الجزائرية وقرائته لديكارت وكانط، وتأثره بها وكذلك محاولته وضع أطروحة عن العقل عند ديكارت، وعدم إكمالها بسبب إستدعائه لتمثيل القضية الوطنية في الخارج وهو مالم يرفضه إلا أن أكثر شخصية أثارت إنتباهه وأثرت عليه الفيلسوف الألماني **فيخته:** الذي كان مناضلا ومتمسكا بوحدة ألمانيا ولغتها، لأنه كان يرى

[1]-مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصالية، ج:1، مصدر سابق، ص:326،325.

أن هناك تشابه بين الأمة الألمانية والأمة الجزائرية في تشابه الإحتلال، وفي تمسكهم بلغتهم رغم إحتلال نابليون للألمان لمدة قصيرة، ولكن ذلك لم يثني عزمهم في الدفاع عن عناصر هويتهم، حيث كان بعض أنصار وأدعياء الإندماج يدعون لترك اللغة الألمانية لأنها لم تعد تصلح في نظرهم ويجب تعلم لغة الغالب: التي هي الفرنسية لهذا وجه **غوتليب فيخته** نداءه للأمة الألمانية:"(إن وجود أمة من الأمم بوجود إنيتها التي هي شخصيتها،وأن هذه الشخصية تتكون من عناصر ثلاثة:الدين،واللغة،وحب الوطن).ويقول أيضا:(إن اللغة هي رمز وجود الأمة،وبقدر أصالة اللغة والمحافظة على اللغة الأصلية أوفقدانها تكون المجموعة البشرية أمة وشعبا أصيلا أو مجرد أشتات فحسب).

"وأن هؤلاء لو نسي الألمان لغتهم فلن يعودوا ألمانا رغم وجودهم في ألمانيا عكس الذين هاجروا إلى دول أخرى لكنهم حافظوا على لغتهم فسيبقون ألمانا لأن اللسان هو هوية الإنسان."[1]

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصالية، مصدر سابق، ص367..369.

الفـــــــصل الثاني:

المشروع الفكري لمولود قاسم نايت بلقاسم

المبحث الأول:الذات التاريخية

المبحث الثاني:الأصالة والمعاصرة

المبحث الثالث:الإنية

المبحث الأول: الذات التاريخية:

تمـــــــهيد:

تعتبر شخصية مولود نايت بلقاسم من الشخصيات المهمة في تاريخ الجزائر سواء قبل الثورة أو بعد إستقلال الجزائر، لما له من أثر في ترسيخ الهوية أو الإنية كما يصفها من خلال التمسك باللغة، الدين والثقافة، هذه الأخيرة التي تجمع عناصر ومكونات الوطن الواحد وإن إختلفت ثقافاتهم وقومياتهم.

فلقد حمل مفكرنا على كاهله مشروع فكري حاول تجسيده والقيام به، لكنه إصطدم بعراقيل لم يكن ليتصورها في جزائر ما بعد الإستقلال، فمنها ما تجسد حقيقة ولكن بعد مدة طويلة ومنها ما بقي مشروعا حاضرا وقد ألف ونادى بأعلى صوته ليثبت إنية هذا الشعب وذاتيته التاريخية، وأنه متأصل في القدم موجود في الحاضر، فالتاريخ ليس قصصا وروايات تحكى للأجيال وإنما هو جزء من هوية الأمة التي لا يمكن الإستغناء عنه، فما هي الذات التاريخية التي تكلم عليها مولود قاسم؟ وكيف حاول المحافظة على أصالة الشعب الجزائري متوافقا مع العصر وحاجياته؟ من خلال إثبات إنية الشعب الجزائري وحضوره؟

لقد إهتم مولود قاسم بإثبات تاريخ وذات الشعب الجزائري وأنه تاريخ ضارب في القدم، وليس وليد الإستعمار الفرنسي كما يدعي أبواقه الذين يروجون لهذه الفكرة ولأجل ذلك فقد ألف كتابه الشهير بعنوان:" شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل:1830م "في جزئين وسنحاول التطرق لكتابه بمزيد من التحليل لمعرفة الذات التاريخية كما يراها مولود قاسم.

1-شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قيل 1830م:

يتكون الكتاب من جزئين بمجموع صفحات:651 صفحة،الجزء الأول:عدد صفحاته:256 صفحة،والجزء الثاني:395 صفحة.

يصدر عنوان كتابه شخصية الجزائر بمقدمة يظهر فيها مولود قاسم أنه قد غير عنوان كتابه بعد أن كان يريد تسميته ب:"فصل المقال وحد النصال،"فيما بيننا وتاريخنا من الإتصال أو الإنفصال[1]"، وما نلاحظه في هذه التسمية الشبه بينها وبين كتاب إبن رشد:"فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من إتصال" وهذا إن دل فإنه يدل على الشبه بين الشخصيتين من حيث الدعوة إلى استخدام العقل،التحري والبحث عن الحقيقة، والتي لم يفتر كليهما، ولو لدقيقة واحدة في البحث عنها، وكذلك لتشابه ظروفهما، فابن رشد كان قبل مولود كان مفكرا حرا يحاول إثبات الحقيقة والرد على من ينكر ذلك، وكذلك مولود قاسم فقد كان خطيبا مفوها يدعوا لإثبات الحقائق، ضد أبواق الإستعمار ودعاة الإندماج والذين يرون أنه لا تاريخ للجزائر ولا ماضي لها، والذي هو نفسه قول فرنسا وأدعياءها: بأن ماضي الجزائر هو ماضي فرنسا وقد بدأ مع الدخول الفرنسي لشواطئ سيدي فرج، وقبل ذلك لم تكن دولة ولا شعب، وإنما مجرد قبائل وأفراد متناثرين هنا وهناك.

ويبين أن القصد من كتابه شخصية الجزائر هو إبراز ما كان لها من شخصية ووجود متميز ووجود دولي بارز وهيبة عالمية أطبقت الآفاق.

[1]-مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة:1830م، ج:1، مصدر سابق، ص:9

وأن ذاتنا التاريخية التي حاول الآخرون إنكارها وما تشمله من صفحات ذهبية طيلة ثلاث قرون من تاريخ مجيد وطويل لازال هؤلاء ينكرون حتى مجرد الوجود كأمة بين الأمم وحتى كمجرد شعب بين الشعوب، وقد ذهبوا في إنكارهم لذاتنا التاريخية غير مترددين أمام تزييف التاريخ إلى حد:"الإدعاء لأن المغرب(الكبير) ومنه الجزائر وهي القلب والمقصودة بالذات لم يستطع تكوين دولة يضمن لها الدوام، ويستدل بقول جوليان غوتيي وهو من المؤرخين الفرنسيين الذين يدعمون المقولة الفرنسية بحداثة الدولة الجزائرية:"أن فمن الصحيح أن المغرب الكبير لم يتوصل أبدا إلى تحقيق وحدة سياسي[21]".

أما أهم ما تناوله في كتابه بجزئيه حول تاريخ الجزائر: فقد خصص الجزء الأول حول عظمة الأمة الجزائرية قبل الإستعمار الفرنسي، وعلاقة الجزائر بالدول الأوروبية، وأهم المعاهدات معها خصوصا علاقتها بالخلافة العثمانية، وإستقلالها بالقرار السياسي عنها، وتسيدها للبحر الأبيض المتوسط، وإبرامها لعدة معاهدات حتى مع الولايات المتحدة الأمريكية وهي موجودة حتى يومنا الحالي، وقد صكت في نقود ما زالت تحمل هذه المعاهدات، أما في الجزء الثاني ويعتبر مولود قاسم أن الجزء الثاني من الكتاب هو بيت القصيد خاصة فيما يتعلق بالعلاقات بين الجزائر وفرنسا قبل الإستعمار الفرنسي سنة:1830م وأن هذه المعاهدات قد وجد بعضها في قنصليات الدول الأوروبية وهي مكتوبة بلغات هذه الدول نظرا لإطلاعه وتمكنه من لغات هذه الدول فقد ترجم بعضها، ولكن الكثير منها مازال يحتاج للبحث فيها وترجمتها، ويتكلم عن واقع الجزائر وعدم إهتمام أبنائها بالتاريخ وتدوينه وجمع مادته، عكس الدول الأوروبية وحتى الدول الأقرب إلينا مثل الدول المغاربية ومصر كمثال، وذلك لأننا أعداء الوثيقة وقد ركز مولود قاسم على مسألة الإنية وإعتبار التـــاريخ مهم وجزء من هوية أي أمة لإثبات ذاتها، وجل محاضرات مولود كانت موجهة لفئات متعددة، بغرض التوعية وتهيئة الشباب لتحمل مسؤوليته، وأن لا يكون مشوها لقيطا كما يحلوا للأعداء أن يكون، وفي نفس الوقت موجها الدعوة للمثقفين والطبقة السياسية، وأيضا

[1]-مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل:1830م، شركة دار الأمة، الجزائر ،2012م، ج:1، ص:10.

للعلماء والشباب للإهتمام بتاريخ وطنه الذين هم النخبـــة فيجب عليهم أن يكونوا حسب المسؤلية المنوطة بهم.

فهذا الكتاب جمع فيه مولود كل ما يثبت الهوية التاريخية من وثائق مصورة ومعاهدات، للإجابة عن إشكالية الهويـــة والتاريخ، وهي المسائل التي اهتم بها مولود وحاول غرسها من خلال محاضراته وكتبه:"وإنني كنت أبحث، بل أنقب في المصادر بكل حرص وإنني أثناء بحثي وتنقيبي، لم أكن أقل حرصا ولا شرها من المنقبين عن البترول والأورانيوم"[1].

إن التمسك والتشبث بتاريخ الجزائر والذي هو الذاكرة الجماعية للشعب، فلا أمة بدون تاريخ كما أنه لا وجود لتاريخ بدونها، فحالنا اليوم هو حصيلة موروث إستعماري عاث في الأرض فسادا من جهل وتفقير للشعب الجزائري، والذي يشهد له التاريخ بالأصالة والحرية منذ القدم وحتى عصرنا الحالي، فالخطر ما زال موجودا وهو يهدد كيان أمتنا محاولا طمس معالم شخصيتنا وذاتيتنا الوطنية بدعوى التمسك بالقيم الإنسانية وإحترام حقوق الإنسان المشترك.

فالذات الجزائرية قد واجهت الآخر محاولة منه لتشويهها، وفسخها عن أصلها حتى تبقى بلا ذات تابعة للآخر، وهو ما يستدعي أن تكون ذا حس تاريخي في مواجهة الآخر الذي هو الإستدمار، وليس إستعمارا كما يحلوا لمولود قاسم التعبير عنه، فعدم معرفة التاريخ هو كان تقصير في هذا حب هذا الوطن، فإذا كنا للتاريخ جاهلين فكيف نصنع بالتاريخ ونحن غير قادرين على دراسته وإستيعاب ما فيه من إيجابيات وسلبيات وتوجيهها بما يخدم الصالح العام، فالإنسان يتعظ بغيره وبأحداث تاريخه حتى لا يكرر ما وقع من أخطاء ويتمسك بإيجابياته ليوجه أحداثه بفاعلية، فإما أن نكون في قلب الحدث والفعل نوجهه، أو متفرجين على حافته وعلى هامش الحياة في موقع ردة الفعل.

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل:1830ج:1، ص:20

2.التاريخ جزء من هوية الأمة:

لا يمكن لأي أمة أن تشعر بوجودها بين الأمم إلا عن طريق تاريخها الذي يمثل أحد عناصر هويتها:

"فالتاريخ هو السجل الثابت لماضي الأمة وديوان مفاخرها وذكرياتها، وهو آمالها وأمانيها، بل هو الذي يميز الجماعات البشرية بعضها عن بعض، وهو مادفع مولود قاسم للدفاع عن تاريخ بلده لأنه يعتبر مرآة للماضي ومنهاج لإستخلاص التجارب، وهو بالنسبة للأمم بمثابة:(العقل للأفراد) ولهذا يتوجب تعلمه فيورد كلمة عبد الحميد ابن باديس:"والنسبة للوطن توجب علم تاريخه[1]".

وهو الإسمنت الروحي للأمم والعقل للأفراد لهذا نجده في كل الملتقيات يركز عليه، وكثيرا ما يغضب عندما يجد الشباب غير ملم بتاريخ وطنه، وظل هذا الموضوع يشغله رحمه الله إلى أن لحق بربه –عز وجل– فإلى جانب كتابه (الجزائر) المنشور بالألمانية، والذي عرف فيه بجوانب من شخصية الجزائر وتاريخها، وكذلك تكريسه لكتابين كاملين عن تاريخ الجزائر ومكانتها الدولية وعظمة ثورتها التحريرية.

التاريخ عند مولود قاسم يمتد لأزمنة ضاربة في القدم منذ عهد يوغرطة وماسينيسا، اللذين يعتبرهما مكافحين ضد الظلم الروماني، وأن الجزائر كانت موجودة منذ القدم، وليست صنيعة إستعمار فذاتنا ضاربة في أعماق التاريخ وفي القدم وحتى الخلافة العثمانية في العصور الوسطى، يرى بأن هناك إختلاف عنها في المشرق فالجزائر كانت لها سيادتها وكلمتها في البحر المتوسط وفي قرارتها، عكس الدول الأخرى التي كانت تأتمر بأوامر الخليفة وتنتهي بنهيه، ويضرب بعض الأمثلة عن تلك القرارات التي كان دايات الجزائر يرفضونها بكل حرية وإستقلالية، وحتى في النقود المصكوكة ذلك الوقت يعطي أمثلة: عن وقوف داي الجزائر بجانب الخليفة العثماني والملوك الأوروبيون الند بالند، وهو مالم يكن موجودا في الدول الأخرى التابعة للخلافة العثمانية، وهو ما يصدر به كتابه شخصية الجزائر

[1]-محمد الهادي الحسني، مولود قاسم فيلسوف رابط في جبهة التاريخ، الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم المفكر الموسوعي والوطني الثائر:1927 م–1992م، شركة دار الهدى، عين مليلة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،قسنطينة،2007م،ص:100

الدولية وهيبتها العالمية قبل:1830م:عن دور البحرية الجزائرية التي يعتبرها أعظم بحرية في ذلك الوقت، وعن أولوية العلاقات بين الجزائر والعثمانيين وأوروبا وأمريكا، أما فيما يخص العلاقات بين الجزائر والخلافة العثمانية كما أشرنا سابقا بأنه يعتبرها علاقات تضامن واستقلال تام للطرفين.

"وهكذا فبينما بعض الدول الشقيقة كالعراق ومصر وليبيا وغيرها، لا تستطيع عقد أي معاهدة إلا برخصة كتابية من الباب الأعلى وتمضي المعاهدة باسم الخليفة العثماني كانت الجزائر تعلن الحرب، وتعقد السلم، وتجري المفاوضات وتمضي المعاهدات، باسمها وباسم غيرها بدون أية رخصة من أحد ولا حتى إستشارة، بل بإسمها فقط بعنوان جمهورية الجزائر ومملكة الجزائر"[1].

3.التشويه الذي تعرض له تاريخ الجزائر:

من أكثر الدول التي تعرض تاريخها للتشويه هو تاريخ الجزائر حتى أن السلطات الإستعمارية مباشرة بعد إحتلالها الجزائر قامت بحرق الوثائق المدنية للجزائريين وتغيير ألقابهم وحتى تاريخهم، حتى تثبت تبعية الجزائر لها إقليميا وجغرافيا، ولهذا فقد تصدى رجالات الجزائر لهذا التاريخ المشوه، ومحاولة إثبات تاريخ الجزائر الحقيقي بالأدلة والوثائق، وكان من بينهم: توفيق المدني ومبارك الميلي الذي يعد من أوائل من ألف وإهتم بتاريخ الجزائر ثم جاء بعدهم من خصص مؤلفات هامة وغزيرة في هذا الشأن مثل:أبو القاسم سعد الله، الذي كان إختصاصه تاريخ الجزائر ولانغفل إن قلنا أن مولود قاسم كان يناضر ويدافع عن تاريخ أمته بمحاضراته في هذا الشأن وكان من بينها على سبيل المثال لا الحصر محاضرة بعنوان:"إنماالأمم..": يتكلم عن تقسيم التاريخ في المقرر الدراسي بعد الإستقلال مباشرة فيقول أنه مع الأسف حتى في برامج التعليم عندنا، لو راجعتم برنامج التعليم لسنة 1962-1963 فستجدون بالخصوص أن برنامج التاريخ كان كما يلي:

أ.العصر الروماني:l'époque romaine

ب. الغزو العربي:l'invasion arabe

[1]-مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل:1830م، مصدر سابق، ج1، ص:82.

ج. التسلط التركي: la domination turque

د. وصول الفرنسيين:l'arrivée des français

لهذا يلح على تغييره مباشرة بعد الإستقلال وبعد أن إطلع عليه بعض المهتمين بالتاريخ لإصلاح التعليم كان يشدد على أن نمحوا هذه الأفكار الشادة، هذه الأفكار الفاسدة هذه الآراء المزورة على تاريخنا"[1]...

كما أنه يركز على الاهتمام بتاريخ الجزائر وأهميته ومعرفة تضحية الأجداد الذين دافعوا عن هذا الوطن منذ القدم وإلى عصرنا الحالي، فأصدر أهم كتب التي تتحدث عن تاريخ الجزائر، وردود الفعل الأولية على غرة نوفمبر الذي يتحدث فيه عن مآثر الثورة التحريرية في المؤتمرات والملتقيات للتعريف بثورة الأجداد وبتاريخ الامة وأمجادها.

عندما يتكلم مولود عن الإنية الممتدة في تاريخ أمته في كل محاضراته، فهو يشير إلى الذات التاريخية ويحاول إثباتها بكل ما يمكن من كتابات أو ملتقيات وفي مجلة الأصالة يتكلم عن هذه الإنية والذات التاريخية بقوله:"إبق من أنت وصادق غيرك على أساس المعاملة ووسع آفاقك، وافتح نوافذك، ولكن إبق أنت أنت، فتتمتع بعدم إنفصام شخصيتك، وتتشبع بمطلق إنيتك، فتفيد نفسك، وتثري غيرك، وتأتي له له بمكسب جديد، وتشارك في الحضارة العامية والفكر الإنساني بمساهمة أصلية"[2].

ما ساعد مولود قاسم في فهم تاريخ الجزائر في القديم والحديث أنه أعاد دراسته والإطلاع عليه من خلال الوثائق والمخطوطات التي كانت موجودة في الدول الإسكندنافية والتي كان فيها مبعوثا وممثلا من طرف جبهة التحرير الوطنية وذلك من أجل إثبات وحدة التراب الجزائري، وكانت هذه الدراسات مهمة من أجل إحكام الصلة بين حلقات سلسلة تاريخ أمتنا الجزائرية العريقة، وإبراز ماكان لها من شخصية دولية متميزة، ووجود دولي بارز وهيبة عالمية أطبقت الآفاق ثم يقول:"ولولا أنهم –أي من تعلمون !–أنكروا لنا فعلا–

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، شركة دار الأمة، الجزائر،2007م، ص:509.

[2]–المصدر نفسه، ص:17.16.

بل ولا يزالون ينكرون حتى اليوم !–ذلك الوجود المتميز البارز، بل وحتى مجرد الوجود كأمة بين الأمم، بل وحتى كمجرد شعب بين الشعوب"[1].

4.التحريف وتشويه التاريخ بسبب قلة التأليف في تاريخ الجزائر

ما يدل على إهتمام مولود قاسم بالذات التاريخية للجزائر، وما يغضبه قلة الإهتمام به وخصوصا في:عدم تدوين تاريخ الجزائر منذ القديم لقلة المهتمين بذلك وفي هذا المجال يقول:"هذا كله لأننا أعداء الوثيقة، أعداء الارشيفات، أعداء التسجيل نترك الأمور هكذا سبهللة" !.

"نعم، نستشهد، نضحي كأكثر ما يضحي غيرنا، في الوقت المناسب، ثم ننسى بسرعة، ونترك الأمور سبهللا بعد ذلك بدون تدوين ولا تسجيل ولا تخليد، ليستفيد بها من يأتي بعدنا...مما يتنافى واستمرارية الأمم، ولا يخدم تاريخية الأمم."[2]؟

ثم بعد ذلك يستشهد بقول الرئيس الفرنسي:جيسكار ديستان في المطار لدى وصوله لزيارة رسمية:"إن فرنسا التاريخية لتحيي الجزائر المستقلة":أي الناشئة من العدم:المتكونة بعد مدة طويلة من الحمل والمخاض ...وليست أمة عريقة تاريخية، مثل فرنسا أو غيرها من أمثالها، ويقول في نفس السياق أن هذه المقولة قد قالها قبله سلفه ديغول الذي كان يكرر دائما بأن:"لا وجود لأمة إسمها الأمة الجزائرية،وإنما هناك مزيج مزركش من عشائر ...متنافرة"[3]؟.

وهذا مازال يكرره رؤساء فرنسا وحتى وقتنا الحالي، فمازال يكررها الرئيس الفرنسي الحالي ماكرون عندما قال في تصريح رسمي خلال لقائه مع مجموعة من الطلبة الجزائريين ومزدوجي الجنسية في باريس:

"فقد قالها جيسكار ديستان:إنها ولدت أخيرا ووزير الخارجية في عهد بومبيدو، أن الجزائر ولدت يوم 5 جوان1962م[4]"

---

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل:1830م، ج،1، مصدر سابق، ص:9.

[2]–مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصالية، ج:1، مصدر سابق، ص:416.

[3]–المصدر نفسه، ص:416،417.

[4]–مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل:1830م، مصدر سابق، ص:34

لهذا لما كتب الأستاذ **محمد الصالح الصديق** كتابه:**الرافضون عبر التاريخ** سنة 1984 كتب عنه الأستاذ **محمد الهادي الحسني** مقالا نشره بصحيفة (الشعب) وجاء في مقدمة المقال ما نصه:"يقال أن الجزائريين لا يكتبون وإن كتبوا فمقلون، وهو قول لا يخلوا من الحقيقة إلا أن قلة من الجزائريين كتبوا كثيرا وما زالوا يكتبون[1]"..

ومن أوائل الذين كتبوا عن تاريخ الجزائر نجد أحمد توفيق المدني في كتابه:"هذه الجزائر" والذي ذكر فيه تاريخ الجزائر منذ العصر الحجري وحتى عصره، وكذلك مبارك بن محمد الميلي وقد ألف في ذلك كتابا بعنوان: "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" وفي ذلك يقول بأن تاريخ الجزائر قبل الإسلام كان مبعثرا في الكتب اليونانية واللاتينية، وقد اعتنى به كتاب فرنسيون فأخرجوه من بطون تلك الدفاتر ووسعوه بما حفظته الأرض من أثار وكتابات.

"ولم يزل حتى اليوم مجهولا لدى الجزائريين الذين لا يقرؤون غير العربية–وهم جل القراء:أما بعد الإسلام فقد أكثر العرب الكتابة عن الجزائر ملوكها وعلمائها أو بيوتاتها...الخ، ولكن جلها محفوظ في خزائن خاصة لا تصل إليها يد محب الإطلاع"[2].

وكان هذ دافعا لتأليفه كتابا عن تاريخ الجزائر منذ العصر القديم وحتى وقتنا الحالي وفي ذلك لا يخفي إعجابه بالشيخ **أحمد توفيق المدني**، وكثيرا ما كان يشكره على ما قدمه في كتابه السابق الذي كان من أوائل الكتب كما أشرنا، والذي اهتم بتاريخ الأمة الجزائرية وقد قسم الشيخ **مبارك الميلي** كتابه عن تاريخ الجزائر إلى:أربعة كتب كل كتاب يحمل حقبة زمنية إهتمت بتاريخ الجزائر خلال تلك الحقبة، فكان تقسيمه كما يلي:

أولا:(الجزائر قبل الإسلام).

ثانيا:(الجزائر العربية).

ثالثا(الجزائر البربرية الإسلامية).

---

[1]-محمد الصالح صديق، خواطر وذكريات عن الأستاذ الراحل مولود قاسم نايت بلقاسم، دار البعث، قسنطينة،1993م، ص:63.

[2]–محمود أبو عبد الرحمان، آثار الشيخ مبارك الميلي، مكتبة دار الرشيد، الجزائر،2015م، ج:1، ص:185.

رابعا(الجزائر تحت الأجانب).

وقد ضمن كتابه هذا جغرافيا الجزائر الطبيعية، أمة العصر الحجري..وفيه أيضا تبيين لمراكز القبائل البربرية في القديم.

وفي ذلك:"يطلب ويرجوا من أبناء الجزائر وعشاق التاريخ أن يقبلوا عليه أو على تاريخهم الذي به حياتهم، إقبالهم على ما هو مادة غذائهم في الحياة الاجتماعية، لأرواحهم وعقولهم"[1].

لأن تاريخ الجزائر مازال يحتاج للدراسة وللبحث لكون أغلب هذا التاريخ إما غيب لقصد ما، وإما لأن الإستعمار الفرنسي ما زال يحتفظ ببعض الأرشيف والمخطوطات التي لايريد للجزائريين الإطلاع عليها أو تم تزييفه وكل ذلك لا يخفى على عاقل فالإمام عبد الحميد ابن باديس يقول في هذا الشأن:"وما زال الفكر الإسلامي في الجزائر يتطلب الدراسة والتنقيب، ولا شك في أن البحث عنه يكشف عن كنوز يمكن الإفتخار بها...وكل ذلك برغم عوادي الزمن، وفجائع التاريخ ومحاولات الفصل، والمحو، وافتعال الفروق"[2].

وفي هذا السياق نجد أيضا أن مولود قاسم قد إهتم بكتابة التاريخ وركز عليه وشدد على تنقيته من الشوائب، وكأن التاريخ يعيد نفسه فمازال المشككون في كل الأوقات وفي كل الأزمنة وأفضل رد إن لم نقل أحسنه، كان ومازال بما يحتويه من وثائق ومخطوطات من معاهدات واتفاقيات أبرمتها الدولة الجزائرية في مختلف الأحقاب مع الدول سنجدها في كتاب مولود قاسم (شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل م1830).

والتي قد جمعها من عدة شخصيات وقنصليات في الخارج:وما جمعها بيسير، لما قد عاناه من جمع هذه المادة العلمية التي تبقى للأجيال، هذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرصه ووطنيته التي كان يتمتع بها مولود قاسم وكثيرا ما كان يتأثر بالفلاسفة الألمان وخصوصا "**فيخته**":في هذا المجال وينقل دائما كلامه للإستشهاد والذي يقول فيه:"وفي هذا السياق تتحتم علينا كتابة تاريخ أمتنا، تاريخ يلهب، ويحمس، ويدفع بنا للأمام، تاريخ يكون لدينا مثل الإنجيل، ويقرأ بنفس الحب، والتقديس، والإجلال، تمجيدا للأجداد، وحثا لأنفسنا

[1]–محمود أبو عبد الرحمان، آثار الشيخ مبارك الميلي، ج:1، مرجع سابق، ص:186.

[2]–عمار الطالبي، آثارإبن باديس، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر،2016م، ج:1، ص:15.

على اقتفاء أثرهم، لنكون جديرين بالإنتساب إليهم، ولنترك شيئا للأجيال المقبلة يضمن استمرارية شخصيتنا"[1]!.

ودائما ما يكرر على أهمية التاريخ وتدريسه وتنقيته، ينقل إهتمام الأمم والدول بتاريخها فها هي روسيا مثلا تهتم بتاريخها حتى من عهد القيصرية.."كتماثيل بطرس الكبير، ومعالم كوتوزوف، وغيرها في قلب موسكو، وهل خربت الصين جدارها وهو الذي يرجع لألفي وخمس مائة سنة(2500 سنة)؟وهل بدأت تاريخها مثلا بقيام جمهوريتها الشعبية سنة 1949م؟ وألم يسم جمال عبد الناصر سيارته الأولى باسم فرعون مصر رمسيس؟ وألم يثني عليه الرئيس "المؤمن" أنور السادات اليوم والكتاب المصريون خاصة هذه الأيام، بالتذكير بحضارة مصر الفرعونية منذ 7000 آلاف سنة"[2].

ثم بعد أن يستشهد باهتمام الأمم بتاريخها وأنه سجل وجودها فبدونه كما لو أنها نشئت من عدم.."وهل بدأ تاريخنا سنة 1962م؟ ألم يسبق يوغرطا تاريخنا فرنسا نجيتوريكس بأكثر من نصف قرن..ومن هنا نجد عضوة اكاديمية الفنون الجميلة في روسيا ناتالياسوكولوفا تكتب أخيرا:"بصدد تحليل المادة 68 من الدستور السوفياتي الجديد، التي تؤكد على ضروة العناية بالآثار التاريخية والقيم الثقافية الأخرى:"وذلك أن الحاضر والمستقبل لا يتصوران إطلاقا بدون الماضي."[3]

يستنتج مولود قاسم أن كل الأمم العريقة تهتم بتاريخها إلا شبابنا ويسميهم بالشماريخ تشبيها لهم بالغصن الرطب الطري الرقيق لحداثة سنهم وقلة تجربتهم وسذاجتهم في بعض الأحيان، وذلك لأن بعضهم يطالب برمي التاريخ في سلة المهملات لذلك دائما ما يلح على التاريخ، فالتاريخ ثم التاريخ ثم التاريخ موجها لهم الخطاب يا شماريخ !، ولهذا يدخل التراث ضمن عناصر شخصية الأمم والتراث ليس الآثار التاريخية فقط أو الكتب أو المخطوطات بل حتى العادات الصالحة والتقاليد، التي تحفظ لها جزءا من كيانها والعرف العام والسلوك المشترك بين جميع أفراد الأمة والدستور غير المكتوب المتعارف عليه بينهم كإنجلترا التي تعمل بدستور غير مكتوب وهو محفوظ في أذهان وقلوب الجميع.

---

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصاية، ج:1، مصدر سابق، ص:30.

[2]–المصدر نفسه، ج:1، ص:31.

[3]–المصدر نفسه، ج:1، ص:32.

فالأمم إذن بتاريخها وأصالتها الذي يعكس شخصيتها أن الأمم بالوعي بذاتها والشعور بنفسها والإعتزاز بقيمها والتمسك بما يميزها عن غيرها مع الإستفادة من تجارب الجميع وكل ما عدا ذلك فهو الإنفصالية والتي معناها عند مولود قاسم:

"القبول بالتبعية في أي ميدان كان، وبالانفصال عن القيم، والتهاون في تعزيز مكونات تلك الشخصية، وعدم العض بالنواجذ على عناصر تلك الأصالة، والإسترخاء في التشبث بمقومات تلك الإنية[1]"

والتهاون في التشبث بعناصر الهوية وتقليد الآخرين كل ذلك هو ذوبان وانفصام للشخصية،وانعدام الأصالة والذي هو موت الأنا، وانفصال عن الذات الذي هو الإنفصالية على حد تعبير مولود قاسم.

5.الذات التاريخية المتأصلة في القدم:

لعل من بين النقاط الفكرية التي خالف فيها مولود قاسم غيره، هو تاريخ الجزائر وبدايتها، ففي الوقت الذي ذهب البعض إلى اعتبار استقلال البلاد بداية لقيام الجزائر، وقال أخرون إن الفتح الإسلامي أو وصول العرب إلى الجزائر هو بدايتها في ذلك الأثناء خرج مولود قاسم على الناس ببحث تاريخي سماه (بشخصية الجزائر الدولية قبل م1830)عاد فيه إلى الأصول القديمة لهذه الأمة التي كان لها دور في التاريخ .. وحين قال الرئيس الفرنسي الأسبق جيسكار ديستان للرئيس الراحل هواري بومدين:

"فرنسا التاريخية تمد يدها للجزائر الفتية":غضب مولود قاسم وقال للرئيس بومدين:"إنه يشتمنا" كما أسهم من خلال ملتقيات الفكر الإسلامي على إبراز ماضي الجزائر وإسهامها في الحضارة الإسلامية"[2].

وصل مولود قاسم نايت بلقاسم من خلال أبحاثه التاريخية إلى وجوب الاهتمام بأمجاد الأمة الجزائرية وكان منهم الملك يوغرطة، ولشدة إعجابه به وبدوره إختار أن يكون هذا الملك ملف لعدد الأول من مجلة الأصالة التي أصدرها حين كان وزيرا للشؤون الدينية،

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصاية، ج:1، مصدر سابق، ج:1، ص:70.

[2]–المصدر نفسه، ج:1، ص:202

وقد سبب له هذا الملف بعض المتاعب كان بعضها بحسن نية وبعضها الآخر لحاجات في نفوس أصحابها، لقد اعتبر مولود قاسم أن يوغرطة هو واحد من أبطال الجزائر الذين لايمكن أن نتخلى عنهم واعتبر الإعتزاز بهم لا يناقض الإنتماء إلى الإسلام، وفي كتابه "شخصية الجزائرالدولية وهيبتها العالمية قبل 1830م" قال مولود قاسم أن إن كفاح الأبطال السابقين هم مصدر فخر زمن الشدة، تأثر مولود قاسم بيوغرطة فاختار أن يمنح إسمه لإبنه البكر، ولما سئل عن سبب الإختيار قال:"إنه أعظم ملك في تاريخ الجزائر".

يروي الأستاذ محمد الهادي الحسني في مقال نشره بعنوان:"للتاريخ":

الإنزعاج الذي ظهر لدى الكثير من المتتبعين لقطاع الشؤون الدينية–وهو واحد منهم–ولكنه أكد أن اطلاعه على محتوى المجلة وافتتاحية مولود قاسم اطفأت الغضب الذي كان، ويذكر عثمان شبوب مدير الأصالة أنذاك أن موضوع الغلاف أثار حساسية كبيرة حتى الرئاسة استفسرت عن سبب الإختيار، ولم يستسلم مولود قاسم طوال حياته عن أي مضايقات"[1].

فلقد كان يرى بأن التاريخ مهم وهو مرآة لاستخلاص العبر والتجارب ووسيلة مهمة لغرس حب الوطن، ولتقوية وحدة الأمة، وتعزيز تماسكها، وكل هذا لايتم من دون تاريخ مجيد، أما إذا كنا لقطاء للتاريخ كما يريد أعدائنا أن يصوروه ويرسموه، فما أحوجنا اليوم لمثل قوة وعزيمة مولود قاسم والثبات من أجل الدفاع عن أراءه وعن قضية يرى فيها الحق والصدق حتى وإن أدى ذلك لعزله وتوقيفه.

[1]–مريم سيد علي، متقفون خلال الثورة، مرجع سابق، ص:203

المبـــــــحث الثاني: الأصـــالة والمعاصرة

تمـــــــهيد:

لقد إهتم مولود قاسم بقضية الأصالة حتى أنه سمى أحد أهم كتبه:"بأصالية أم إنفصالية"، "وإنية وأصالة" فماذا يقصد بالأصالة؟

وهل الأصالة إنقطاع عن الحاضر وعدم مواكبة المستقبل؟ أم هي أصالة ومعاصرة؟ وقد سمى بها أهم كتبه، كما أنه يركز عليها لترسيخ وغرس قيم السلف والأجداد الذين دافعوا عن هذا الوطن منذ القدم وإلى عصرنا الحالي، فأصدر مجلة الأصالة وساهم في مؤتمرات الفكر الإسلامي وكانت تقام كل مرة في مدينة من المدن الجزائرية للتعريف بها وبتراثها وتاريخها.

أما"الأصالية:والتي هي عنوان لأحد كتبه وهي:"أصالية أم انفصالية"و"إنية وأصالة":التي اقتبسها من ابن سينا في كتابه "الإشارات والتنبيهات":والتي شبه لها بذلك الإنسان المعلق في الهواء، بين السماء والأرض، والذي يعتبر وجوده الجسمي معدوما، ولم يبق له في تلك اللحظات الحرجة من وجود إلا شعوره بذاته، وهو ما يسميه بالإنية، وعبر عنه ديكارت بالكوجيتو"[1]."

وقد إستخدمها مولود قاسم في إثبات إنية الشعب الجزائري والذي برغم محاولات فصله عن تاريخه وهويته وإنيته إلا أنه مازال يحس بوجوده وانتمائه ويعتز بذلك.

يتكلم عنها ويشير إلى أصالية الأمة الممتدة منذ تاريخ طويل في كل محاضراته كما كان له الفضل قي تأسيسه لمجلة الأصالة، وعن سبب إهتمامه بلفظ الإنية وإختياره لها لما لها من مدلول مهم يؤدي المعنى المراد منه وخاصة فيما يخص حالة الشعب الجزائري الذي حافظ على هويته وكينونته فيرى:

"بضرورة إبراز شخصيتنا، والتذكير بأمجادنا، وفصل ذاتيتنا عن الوجود الفرنسي، وإنكار جزئيتنا التي لا تتجزأ من الوطن الأم..فرنسا ولم يقولوا من الأب؟ ولذا اهتممنا طبعا كل الإهتمام بهذا الأساس الفلسفي لفكرة الوجود المستقل بل هو وحدة الوجود للأمم وإلا فلا

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصالية، ج:2، مصدر سابق، ص:327.

وجود–وتحمسنا لها تحمسا لا فلسفيا فحسب..ونرى أنها ضرورية لنا–ولكل من في وضعنا–اليوم أكثر من أي وقت مضى ويظن البعض خطأ أنه إنقضى."[1].

فالأصالية إستقلالية وإمتداد لهذا يعبر مولود عن كل ذلك بالأصالة والعراقة التاريخية سواءا كذات مقابل الغيرية التي أرادت أن تشوه تاريخ الأمة ولغتها ودينها.

1.الأصـــــــالة:

"أصلي، أصيل (الذي يفعل بأمر،أو الذي يصنع بيد أصيلة)حول أصلي،أصيلAUTHENTIQUE

بالمعنى المتداول:والملتبس:شرعي، أصلي،صحيح، طبق مظهره، يستحق الإسم الذي يطلق عليه حتى ليقال أحيانا بالتوسع حقيقي(خبر حقيقي) يمكن للأصالة أن تكون الحد الذي ينحو الصدق نحوه، يكون مصحوبا بالصدق مع الذات، والذي يفترض فوق ذلك، أكثر من الإستبطان النزيه، يفترض دراسة المسلك، تناغم الأقوال والأفعال[2]".

فهو تعبير عن الذات وإستقلالها والرأي وجودته والشيء المبتكر عكس التقليد والتبعية، فكل وعي بالذات واستقلالها التاريخي المستقل والوحيد غير المقلد.

2.الأصـــــــالة وشخصية الأمة:

يعبر بالشخصية عن الذات الفردية كما يعبر عن الذات الجماعية للأمة فذات الإنسان هي صفاته وما يتميز به عن غيره فلكل إنسان سيمات ومميزات لا يمكن أن تكون هي نفسها في غيره، وكذلك بالنسة للأمة فذاتها هي صفاتها وما تتميز به عن غيرها من الأمم والشعوب ولكل أمة خصائصها وملامحها التي تكونت وأصبحت جزءا منها عير سنسن طويلة من الزمن ومن خلال إحتكاك الأفراد ببعضهم البعض فتكونت لديهم سيمات تجمعهم كما أنها تفرق بينهم وبين غيرهم لهذا كما ان هناك فرق بين الشخصية والذات.

3.الشـــــخصية:

"أ/بالمعنى المجرد:سمة الكائن الذي يكون شخصا معنويا أو شخصا حقوقيا، إعتباريا:

---

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصالية، ج:2، مصدر سابق، ص:328.327.

[2]-أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب، خليل أحمد خليل، تعهد وإشراف:أحمد عويدات، دار عويدات للنشر والطباعة، لبنان، طبعة:2012، المجلد الأول،(A-G)، ص:118.117.

–وظيفة نفسية، بها يعتبر الفرد نفسه على أنه أنا واحد ودائم.

ب/بالمعنى الملموس: شخص معنوي، وبنحو خاص شخص يحقق في أعلى درجات الصفات الرفيعة التي يتميز بها الشخص من الفرد البيولوجي العادي.

–إنسان يلفت أنظار المجتمع إليه بكيفية معينة: بحكم الوظائف التي يشغل أو النفوذ الذي يمارس، أو يحيله بحنكته، أو حتى فقط بحضوره العادي في الأماكن التي يكون فيها الإنسان منظورا وتضعف الكلمة حتى تدل على أي فرد عادي."[1]

فهي عبارة عن صفات وسمات تميز الشخص عن غيره:

وتتحكم بتصرفاته وكل الصفات النفسية والجسدية المكتسبة والموروثة، وما يهمنا هو المعنى المجرد باعتبار الشخص معنويا، يحس بإنيته وذاتيته، والسمات الذي يتميز بها شخص معين والتي يعرف بها أمام الآخرين.

كما أن مسميات عدة تطلق على الشخصية منها النفسية والجسدية وحتى الاجتماعية وكلها سمات تميزه عن الآخرين.

4.الـــــــذات:

"ضمير عاقل للشخص الثالث، للغائب الأطروحة ونقيضتها لمقولة الشخصية التي يكون توليفها هو الوعي أو الشخص، كأنه فكرة تكفي ذاتها بذاتها على المنوال الديكارتي"لا يعطى الذات والغير إلا بنسبة أحدهما إلى الآخر وفي نطاق توليفهما[2]"

الذات تعبر عن الإنسان وشخصيته من حيث وجوده وإنتماءه، حتى أنه يقال عن الجماعة وما يربطهم بذات جماعية، والفرق بينها وبين الشخصية فهي أشد إشارة للداخل من للشخصية ومدلولها، وما يراه الشخص عن ذاته وهويته، فالذات أقرب للفرد من الشخصية، والمجتمع نستطيع أن نطلق عليه الشخصية الجماعية، ولا يقال الذات الجماعية رغم ما يتشارك فيه هؤلاء الأفراد من صفات وسمات تميزهم عن غيرهم، ويدركونها.

---

[1]–أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، (Q،H)، ص:961،962

[2]–المرجع نفسه، ص:1309.

يعتبر مولود قاسم أن أصالة الأمة لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال التمسك بهويتها، تاريخها واستقلالها اللغوي، لهذا يرى بأن هناك صلة بين اللغة والشخصية، وحتى يثبت ذلك دائما ما يضرب مثال بألمانيا من خلال التمسك بهويتها اللغوية من خلال أعظم فلاسفتها على الإطلاق، والذي ما تزال ألمانيا محافظة على شخصيتها وهويتها لوقتنا الحالي وأن الأساس:

"في وجود شخصية الأمة الألمانية عناصر ثلاثة هي:الدين واللغة وحب الوطن[1]".

فالتمسك الكبير الذي نلمسه من غوتليب حول مسألة اللغة وإهتمامه الشديد بها ويفضلها حتى على الأرض والتراب للدولة الألمانية وذلك لأن هناك:"ألمانا هاجروا لأمريكا ومازالوا محافظين على لغتهم عكس بعض الألمان الذين غيروا لغتهم عندما تغلب عليهم المحتل الأجنبي فأنساهم لغتهم فهم لن يعودوا ألمانا رغم أنهم بقوا في ألمانيا[2]".

5.الأصالة أم المعاصرة:

يعتبر موضوع الأصالة من المواضيع التي شغلت بال المفكرين العرب والمسلمين قديما وحديثا، وقد طرحت قضية حول موائمتها لروح العصر ومواكبته له، ولا تزال هذه الإشكالية قائمة حتى وقتنا الحالي وقد كان من بين هؤلاء المفكرين الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني، محمد عبده، شكيب أرسلان بسؤاله المشهور سؤال النهضة:

لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟

ثم بعد ذلك بدأت تتوالى النقاشات في هذا الشأن، من بين مبرر سبب التخلف للتراث والتقاليد، ومنهم يجعله بسبب الدين وهلم جر، كل يدلي بدلوه فظهرت مشاريع تنتقد العقل العربي ومنها من ينتقد العقل الإسلامي.

ويمكن أن نجمل ما جاء به المفكرون إلى جعل التمسك بالأصول والدين هو سبب من أسباب التخلف، ومنهم من يجعل البعد عن الأصول والعقيدة، والتأثر بالغرب سبب من أسباب البعد عن التقدم والحضارة، ولكلا الفريقين يدافع عن قضيته بالأدلة التي يراها

[1]–مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية،السنة الأولى، رقم العدد:17،18،بتاريخ:أوت 1971،ص:49.

[2]–المصدر نفسه، جزء:18/17، مرجع سابق، ص:51

مناسبة فمن جهة نجد أنصار التقليد وعدم التجديد في التراث والتمسك به، من فقهاء ومحدثين، ويقابلهم من يريد محو الأصل وحتى اللغة والتاريخ، لأنه يرى بأنه سبب التخلف والرجعية الذي نعيشه ومن بين هؤلاء الليبراليين والعلمانيين المتأثرين بالغرب، والذي يرى أن سبب ما من نعانيه هو الدين والتمسك به من عقائد وأخلاق، وأن أوروبا عندما فصلت الدين عن الدولة تحررت وتقدمت، عكس ما نعيشه نحن في وقتنا الحاضر، متناسين أو ناسين أن الدين في أوربا كان ضد الفكر والعقل، عكس الدين الإسلامي الذي كان يدعوا للتأمل واستخدام العقل، فلكل بيئة ظروفها الخاصة بها، وأن الدين في أوروبا كان يكبل البحث العلمي والحرية، عكس الدين الإسلامي الذي منح الحرية في التفكير، التدبر والتأمل في الكون للإنسان والتي لم تكن ممنوحة له من قبل.

ولمولود قاسم رأي يجمع فيه بين الأصالة والمعاصرة فهو من أنصار التوفيق بينهما والإشكالية التي يطرحها دائما ويكررها:

-"**كيف نكون أبناء عصرنا، مع البقاء على أديم مصرنا،دون أن نصبح نسخة من غيرنا؟**"[1]

يجيب مولود قاسم بنفسه عن هذه الإشكالية فهو يطرح خريطة طريق للمحافظة على الأصالة ومواكبة روح العصر وبذلك تكون:

الأصالة حسب تعبيره هي التفتح على الغير دون الذوبان والإنمحاء، وكذلك التطور والتقدم للأمام وعدم الإنغلاق والتجمد، فالإنسان بحسب مدنيته محكوم بالإحتكاك بالغير ومسايرة الركب الإنساني، وكل هذه المواكبة بشرط أن تكون متناغمة مع شخصية الإنسان، وهذا التميز هو الذي يجعل منه محورا من محاور الفكر الإنساني ومن دون شخصيته فهو زائل لا محالة.

الحضارة الإنسانية والفكر مجتمعان ومنسجمان وهو يشبهها:" بلوحة فنان تشارك فيها ألوان مختلفة، تعطيها ريشة فنان عبقري سمة الوحدة والإنسجام، بحيث تكون واحدة مع تمايز ألوانها وانعكاسات ظلالها، أو سيمفونية تعزفها فرقة موسيقية بآلات متعددة

[1]–مولود قاسم، إنية وأصالة، مصدر سابق، ص:9.

متنوعة..فلولا الوحدة لكانت نشازا متنافرة، وبالتالي فهذا التنوع يمتع النفس ويصقل الذهن وتسموا بالروح إلى المدارج العليا[1]".

فكل هذه الآلات والسيمفونية وقائد الجوق ومساعديه والمستمعين، فالكل ضروري لتحقيق الكل، فهذا التمايز هو الذي جعل تعدد الثقافات يظهر لنا إبداعات مختلفة ويكون لنا ثراء في البشرية.

"وبقدر بروز إنيتنا وقوة أصالتنا تكون شخصيتنا بين الأمم ويتضح تميزنا بين الدول وتبرز مساهمتنا في المجهود البشلري العام."[2]

لكن بشرط:الإجتهاد والإبتكار والتجديد وعدم التقليد والجمود أو الإنغلاق على النفس، وكل ذلك يكون بالمحافظة على الأصل ورفع الراية عاليا لمزاحمة الدول المتطورة والمتقدمة، فالأصالة: تفتح وعالمية وتجديد ومعاصرة والعكس غير صحيح، فالتفتح والعالمية إذ لم يقوما على:"الإنية والأصالة يكون صاحبهما ضائعا معلقا في الهواء مجتث الأصل، بدون جذور ولا شخصية، معرضا للزوابع والرياح، ومصيره التبعية بل حتى الشحوب والضمور كما هو مصير كل أمة ضعيفة وهزيلة[3]".

6.تقسيم مولود قاسم المتعصبين للأصالة والمنكرون لها:

-الفريق الأول:المتعصبين للأصالة:

الذين يرون كل دعوة للتجديد والإجتهاد بدعة في الدين، ويرد عليهم بمجموعة من الأدلة القرآنية وكذلك من السنة، يستدل بإجتهاد عمر-رضي الله عنه-في القرآن والسنة، وكل هؤلاء يفضلون الركود والتخلف والموت.

-الفريق الثاني:المنكرون للأصالة المقلدون للغرب:

فهم يعتبرون كل تذكير" بالماضي رجعية وتخلف ويدون لنا الإنسلاخ فالإمساخ"[4]

---

[1]- مولود قاسم، إنية وأصالة، مصدر سابق، ص:10.

[2]- المصدر نفسه، ص:11

[3]-المصدر نفسه، ص:12.

[4]-المصدر نفسه، ص:13.

ويتسائل هل الأمم والشعوب والثقافات تنشأ عن عدم؟

فكل الجمهوريات والدول المتقدمة لا تنكر أصلها، بل وتجدهم يتناقشون حول فيلسوف عاش منذ ألف سنة، وحتى الصين التي هي في تطور مستمر لم تكل أو تمل من إقامة تماثيل لأباطرتها وتماثيلهم التي وجدت قبل ألاف السنين.

فالأمم بأصلها وتاريخها هو أصالتها و"لا ينكر أصله الا من لا أصل له وفصل وليس له في كتاب الإنسانية أو سجل الخلود من باب ولا فصل[1]".

وكما سبق وأشرنا بالنسبة للذات التاريخية، فمولود قاسم مولع بإثبات عراقة الأمة الجزائرية، وضربها في جذور التاريخ، عكس من يروجون للشعوب الفتية والشعوب القديمة، فهم يتلذذون بكل مازوخية وعنصرية عند وصف الشعوب بالفتية للحط من قيمتها، وهذا ما دأبت عليه السلطات الإستعمارية: في وصفه للجزائر وللدول المستعمرة، وهي نفسها النظرية العرقية التي تغنى بها **أرنست رينان** في تقسيمه للشعوب إلى آرية وسامية، وقد وصف الآرية: بالتقدم والإجتهاد والتركيب والتعقيد والعقل، عكس الشعوب السامية التي لا تجيد ذلك بل هي شعوب مقلدة يسهل إستعمارها.

ليرد مولود على كل افتراءات الإستعمار ومنظريه، بأن الشعوب لم توجد من العدم، بل الحضارة في تطور وانتقال من حال إلى حال ومستمر، فلا توجد أمة ولدت اليوم من دون تاريخ مثل الأمة الجزائرية:والتي تتهم دائما بأنها فتية عند خروجها من الإستعمار، وهذا لايعني أنها أمة غير تاريخية بل هي عريقة استرجعت استقلالها بعد أن فقدته مدة من الزمن، ثم إستعادته من جديد.

فلا يجب على كل أمة أن تبدل جلدها وتنسلخ عن مبادئها، حتى تصبح متقدمة وبالتالي قد لا تكون: ذاك القديم الأصيل، أو الجديد المتقدم، فتجمع بين السوأتين.

فليس بتغيير حروف لغة الأمة أو بإستبدال لباس، نلحق بمستوى دول متقدمة كالسويد أو كندا، وليس بالإنفصال عن الجماعة أو بالتبني نتقدم ونتطور:

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم،أصالية أم إنفصالية،ج،2،مصدر سابق،ص:68

"إبق من أنت وصادق غيرك على أساس المعاملة بالمثل، وبتوسيع الأفق وفتح النوافذ لكن أن تبقى أنت أنت، فتتمتع بعدم إنفصام شخصيتك وتتشبع بمطلق إنيتك، فتفيد نفسك وتثوي غيرك، وتشارك في الحضارة العالمية والفكر الإنساني بمساهمة أصيلة."[1]

فالإنسان يحتاج للهواء حتى يجتنب الإنخناق، فيتجدد الهواء باستمرار مع المحافظة على سقف بيته وأساساته وبذلك يتقي الزوابع والهزات، وينجوا من الحر والبرد.

فيجمع الإنسان بين الحسنيين، ويحافظ على أصالته مع عدم إغفال روح العصر، وله في ذلك مقولة وخلاصة يكررها دائما عن التجديد الذي هو الأخد بإيجابيات العصر أو المعاصرة السليمة:

"بحيث يكون الإنسان إبن عصره، مع البقاء على أديم مصره، ودون أن يصبح نسخة من غيره وهي الأصالة"[2].

فهو يعترف بالحل الوسط والذي يتمثل بفتح النوافذ والأبواب، مع المحافظة على السقوف والأعمدة، فالأصالة حسب تعبير مولود قاسم تتضمن التفتح لا الإنفتاح على كل شيء، فهناك فرق بين المعنيين ونحن من أنصار الحوار مع الجميع، وحتى الملتقيات التي كان يشرف عليها كانت الغاية منها: الحوار فإذا لم يكن هناك حوار ووسطية فيه فلا داعي لهذه الملتقيات، وإذا كنا كلنا في اتجاه واحد فما الفائدة من هذه الملتقيات، فالناس متنوعون ومتعددوا المذاهب والطوائف، والله سبحانه وتعالى خلقهم شعوبا وقبائل لغاية التعارف والتكامل، فهم يكمل بعضهم بعضا فلا مجال للعنصرية والتعصب للرأي الواحد.

يظهر إهتمام مولود قاسم بالأصالية لدرجة أنه كان يحاضر كثيرا عنها، وعن تمسك الأمة بهويتها، فهو يرى أنه لا مناص ولا إنية من دون أصالة وهذه الأصالة متعلقة بالحاضر الذي هوالتفتح على الآخر وتقبله والإستفادة منه مع عدم نسيان الأصل أو التنكر له.

ففي محاضرة له في أعمال الملتقى الثامن للفكر الإسلامي في بجاية ربيع:1394هجرية، الموافق ل1974م ألقى أيضا بمحاضرة بعنوان:

---

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، مصدر سابق، ص:17.

[2]–المصدر نفسه، ص:17.

"الإنية والأصالة مع التفتح والعالمية":لوضع تصوره ورؤيته في هذا المجال كما سبق وذكرنا ولو جمعنا كل محاضراته في هذا المجال نجد كذلك كلمة افتتاح الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الإسلامي في قسنطينة يوم8جمادى الثانية1390هجرية الموافق 10أوت 1970م بعنوان الإنية والأصالة وأن الأصالة تفتح لا إنفتاح، وهي تركز على الروح أكثر من الجسد، عكس من يعتقدون أن الرقي يبدأ بالنصف البهيمي للإنسان، وهم بذلك يعرضون أنفسهم وأسرهم للتفكك والإنحلال والإختلال، وشتان بين التفتح والإنفتاح، مستشهدا بمقولة للرئيس الراحل هواري بومدين في الذكرى التاسعة لاستقلال الجزائر:

"بأقدام راسخة على أساسنا الثابت فقط نستطيع أن نتطلع إلى آفاق أخرى، ومع الإنغماس في أصالتنا فحسب، يمكن لنا ذلك بل يجب علينا الإنفتاح على مختلف ثقافات وحضارات الشعوب كما فعل أجدادنا من قبل، وأنتجوا أخصب الثقافات وأرقى الحضارات، وكما فعلت بالأمس وتفعل اليوم جميع الشعوب التي تعتبر ما تأخذه من الخارج بمثابة مكملات لأصولها، وفروع لجذورها"[1].

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، مصدر سابق، ص:126.

المبـــــــحث الثالث: الإنـــــــــية

حتى نحيط على الأقل بمفهوم المواطنة، وحب الوطن لدى مولود قاسم نايت بلقاسم علينا فهم والإنية والهوية من الناحية اللغوية والإصطلاحية، ومعرفة الفرق بينهما، ومكونات الإنية لدى مولود قاسم نايت بلقاس، وما الذي دفعه لإختيار وتفضيل الإنية على الهوية؟

1. الإنيـــة:

1.1. مفهومها عند ابن سينا:

الإنية مصطلح فلسفي قديم معناه تحقق الوجود العيني والذاتي، وقد اشتهر إبن سينا بهذا المصطلح كثيرا وأصبح يعرف به عن غيره خاصة في كتابه:"الإشارات والتنبيهات" التي أخذ منها مولود قاسم هذا المصطلح، وأصبح فيما بعد يطلقه على هوية الشعب الجزائري الضارب في أعماق التاريخ، رغم محاولات التشويه والمسخ والفسخ على حد تعبيره.

يتكلم ابن سينا عن الإنية التي هي الذات وأكثر ما يركز عليه النفس حتى وإن انسلخت عن بدنك فستبقى أنت أنت:"أتحصل أن المدرك منك، أهو ما يدرك البصر إهابك؟لا فإنك إن انسلخت عنه، وتبدل عليك، كنت أنت أنت[1]".

فهو يرى أن الإنسان بروحه لا بجسده حتى تتحقق إنيته، فالجسم مجرد إهاب يغلفه فما تدركه ليس بحواسك ولا بدماغك بل بإنيتك التي تتميز بها:"فبين أن أنه ليس مدركك حينئذ عضوا من أعضائك، كقلب أودماغ، وكيف يخفى عليك وجودهما إلا بالتشريح، ولا مدركك جملة من حيث هو جملة، وذلك ظاهر لك مما تمتحنه من نفسك، ومما نبهت عليه، فمدركك شيء آخر غير هذه الأشياء التي قد لا تدركها وأنت مدرك لذاتك، والتي لا تجدها ضرورية في أن تكون أنت أنت، فمدركك ليس من عداد ما تدركه حسا بوجه من الوجوه، ولا ما يشبه الحس مما سنذكره[2]".

---

[1]–أبو علي إبن سينا، الإشارات والتنبيهات، قسم الفلسفة الإسلامية، مرجع سابق، ص:346

[2]–المرجع نفسه، ص:364.347

2.1.تعريف لالاند للأنا:

إستدل لالاند بالأنانية على وجود الأنا سواءا كانت ذاتية جسدية أو عقلية:

"أ/عند بالدوين، تستعمل كمرادف للأنانية، مفردة استعملها ستاندال مقابل الأنانية في السلوك للتدليل على الدراسة المفصلة التي يقوم بها كاتب حول فرديته الذاتية، الجسدية والعقلية.

ب/ نزع إلى التفكير بالأنا وإلى ربط كل الحياة العقلية به"إن الأنانة الشبابية..هي هذه الإحالة الدائمة إلى الذات التي نشاهدها في هذه الفترة، في الصداقة، في الحب، في الأحلام، في العلاقات بالمحيط، في درك القيم، وحتى في المجادلة التي تبدو في ظاهرها لا شخصية إلى حد بعيد"[1].

وما يفصح ويعبر عن الذات هي الميول والرغبات وكل انفعال فهو يعبر عنها:

"فهو يعتبر تتجلى الميول الذاتيوية التي تفصح عن الأنا، عن الشخص بوصفه وعيا لذاته، وعبرت عن نفسها في إنفعال الكبرياء (أو في نقيضه)[2]".

2.الهوية:

1.2.المفهوم اللغوي:

لفظة:"**الهو**" في اللغة العربية من الألفاظ التي تدل على الشخص وذاته، وقد استعملت أيضا للدلالة على الهوية الجمعية لمجموعة من الأفراد تجمع بينهم عدة روابط يشتركون فيها عبر الزمن، ومن خلال العادات والتقاليد التي اكتسبوها عبر هذه الفترات، وهو ما اصطلح على تسميته بالهوية، وحتى نغوص في معاني هذا المصطلح علينا معرفة مفهومه اللغوي ثم الإصطلاحي.

"**هو هو**": لفظة مركبة نحتت للدلالة على الوحدة في الذات بإزاء التعدد في الإشارة إلى هذه الذات الواحدة وبإزاء تعدد أحوالها، مثل أن الزهرة ونجمة الصباح، ونجمة المساء، أسماء

---

[1]–أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ص:330،331

[2]–المرجع نفسه، ص:331

متعددة لكوكب واحد هو بالنسبة إليها، وتدخل عليها الألف واللام فيقال:"**الهو هو**" أي الواحد من خلال تعدد وضعه، وهو أحد تصورات الفكرة الأساسية، ويرادفه:المماهي"[1].

فهي إشارة للذات الواحدة، وللوحدة دون التعدد فكل فرد له ذات واحة تسمى بالهو وفي اللغة هو ضمير إشارة.

هو:مبدأ للهوية هو أحد مبادئ المنطق الأساسية وفحواه:أن الشيء:"**هو هو**" بمعنى أن الفكر عندما يحمل معنى على معنى فإنه يبقى كلا منهما على ما هو عليه وقت الحمل ولا يتحول عنه إلى غيره وقت وقوعه، وإلا تعذر الفكر ذاته.

مثال ذلك:"أن من يحكم أن هذا القلم أحمر، فإن معنى القلم لا يصير في ذهنه آنذاك معنى المسطرة، وأن إثبات الحمرة للقلم لا يتحول إلى نفيها عنه في نفس الوقت، ومعنى كل هذا أن مبدأ الهوية القائل بأن:**أ** هي:**أ** :يتمتع الفكر من أن يتصور موضوعه موجودا ومعدوما في آن واحد ومن نفي الجهة، ومتصفا بما هو متصف به وغير متصف به في آن واحد من نفس الجهة فكل معنى مكافئ لذاته بسيطاً كان أو مركباً: **أ=أ وق=ق**، ويسمى أيضا مبدأ الذاتية"[2].

فالهوية بمعناها اللغوي تدل على حقيقة الشيء وجوهره، الذي يشتمل على مختلف الخصائص المميزة له، فهي بذلك عبارة عن بطاقة تعريفية يعرف بها الشيء وتميزه عن غيره من الأشياء فلكل شيء هوية خاصة به سواءا من الناحية الشكلية أو حتى الذاتية.

2.2.المفهوم الإصطلاحي:

مصدر صناعي من كلمة(هو) للدلالة على أن الشيء **هو هو**، وليس غيره أو بأنه **(هوهو)** لم يصر شيئا آخر.

"هي الذات الثابتة من خلال تغير أحوالها مثل هوية الأنا"[3].

---

[1]–محمود يعقوبي، معجم الفلسفة، الميزان للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة: 1973م، ص174.

[2]– المرجع نفسه، ص174.

[3]–محمود يعقوبي، معجم الفلسفة، مرجع سابق، ص174.

وعليه فالهوية تشمل أبعادا نفسية للفرد، إجتماعية للجماعة، معنوية ومادية متكاملة فيما بينها، لتعبر عن مجموعة من الخصوصيات العامة والمشتركة للفرد وللمجتمع الواحد، تميزه عن غيره.

فالهوية هي المبادئ الأصلية السامية، والذاتية النابعة من الأفراد والشعوب، وتلك الركائز التي تمثل الكيان الشخصي والروحي والمادي للإنسان، بتفاعل صورتي هذا الكيان الثابت الهوية أو شخصية الفرد أو المجتمع أو الشعوب.

3.الإنية عند مولود قاسم نايت بلقاسم:

يرى مولود قاسم وهو من الشخصيات المهمة في تاريخ الجزائر سواء قبل الثورة أو بعد الإستقلال أنه يجب ترسيخ الهوية والإنية، كما يصفها من خلال التمسك باللغة، الدين والهوية، هذه الأخيرة التي تجمع عناصر ومكونات الوطن الواحد وإن اختلفت ثقافاتهم وقومياتهم وأنه من الأحسن التعبير عن الهوية **بالإنية** لأنها تعبر أكثر على إنية الشعب الجزائري، وفي التعبير عن نفسيته وإنتمائه لأمته، وكثيرا ما كان يهاجم ما يروج له الاستعمار الفرنسي: بأن هذه الأمة لا أصل لها ولا فصل، وأنها كانت أجزاءاً مجزأة قبل الإستدمار الفرنسي للجزائر وليس الإستعمار، لأن الإستعمار من التعمير والبناء أما ما فعله فكان غير إستدمار الشعب وتشويه صورته وهويته ومحاولات فسخه ومسخه عنها.

ودائما ما يشير إلي الإنية الممتدة في تاريخ الأمة، في كل محاضراته كما أشرنا إلى تأسيسه لمجلة الأصالة والتي تدل:"على شعور الإنسان أو اقتناعه العميق بإنتسابه إلى مجموعة بشرية هي أمته، وإلى أديم هي بلاده، وتشبعه بتصورات ومفاهيم وأفكار إنحدرت إليه من الأسلاف في أعماق التاريخ، ويبلغها إلى الأجيال عبر مر الزمن...وهذه الأصالة إذ تفرض على الإنسان أن يكون "هوهو"، غير مجتث الأصول، بل يضرب بجذوره في الأعماق..أي أنه يبقى متعلقا بأصله محافظا على عناصر ذاتيته، ومكونات شخصيته، يواكب الوجود في الوقت ذاته، ويساهم في المسيرة الإنسانية"[1].

[1]- مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، مصدر سابق، ص:10.

فالهوية هي ما يجمع بين مجموعة الأفراد، أو مايسمى بالرابط الجوهري والمشترك الذي فيه مجموعة من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة أي أمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية الوطنية أوالقومية طابعا تتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الاخرى.

أي أن الهوية تعبر عن مجمل العموميات الثقافية التي يشترك فيها أفراد المجتمع الواحد وتعبر عنه، وتميزه عن غيره من المجتمعات بغض النظر عن الخصوصيات الثقافية، التي تختص بها الجماعات المشكلة لهذا المجتمع، فالثقافة عامة واحدة ومشتركة، بينما إذا توغلنا في عمق هذه الثقافة نجد إختلافات نمطية تميز بعض الجماعات المكونة للمجتمع الكبير، فنجد عادات وتقاليد مختلفة في المأكل والملبس واللهجات لكنها لا تؤثر على النموذج العام للهوية.

ما تم طرحه من تعريفات للهوية بشكل عام يظهر أنها تتميز بخصائص واحدة لدى جميع المجتمعات بما فيها الجزائر، وتتمثل هذه المميزات في التالي:

-أنها خاصة بكل فرد من أفراد المجتمع.

-تعبر عن المجتمع وتميزه عن غيره من المجتمعات.

-أنها مزيج من العناصر المادية واللامادية.

-تحافظ على تماسك المجتمع ووحدته والإعتزاز بأصوله وبهويته.

-"أنها ثقافة جماهيرية، ومزودة بوقود الوعي العلمي.

-الوعي بعلاقة الإنسان بالإنسان وعلاقته بالطبيعة وبالتناقضات التي تحرك المجتمع[1]".

فالهوية الجزائرية تتميز عن غيرها من الهويات الاخرى في محتوى العناصر المكونة لها من:(دين، لغة، تاريخ، عادات وتقاليد ولهجات)، وكذلك في اختلاف التراث بكل أنواعه سواءاً كان ماديا أم معنوياً.

[1]-مخلوف عامر، متابعات في الثقافة والأدب، مرجع سابق، ص:121.

4.الإنية أم الهوية؟

الهوية كما يفضل مولود قاسم تسميتها بالإنية، قد إستمدها من الشيخ ابن سينا في كتابه:"الإشارات والتنبيهات" لإثبات وجود النفس وخلودها وهي متميزة عن الجسم مستقلة عنه، وهو ما كان يطلق عليه بالرجل المعلق في الفضاء بين السماء والأرض.

"إرجع إلى نفسك وتأمل هل إذا كنت صحيحا، بل وعلى بعض أحوالك غيرها بحيث تفطن للشيء فطنة صحيحة هل تغفل عن وجود ذاتك ولا تثبت نفسك، ما عندي أن هذا يكون للمستبصر حنى أن النائم في نومه، والسكران في سكره لا يعرف ذاته وإن لم يثبت تمثله في ذكره، ولو توهمت أن ذاتك قد خلقت، أول خلقها، صحيحة العقل والهيأة، وفرض أنها على جملة من الوضع والهيأة، لا تبصر أجزائها، ولا تتلامس أعضاؤها، بل هي منفرجة ومعلقة لحظة ما، في هواء طلق، وجدتها قد غفلت عن كل شيء إلا عن ثبوت أنيتها[1]". وهو ما يسمى ببرهان الإنسان الطائر والذي هو أيضا:"موجود عند القديس **أوغسطينوس** الذي أخذه عن أباء الكنيسة الشرقية وهو شديد الشبه ببرهان ديكارت الذي عبر عنه بقوله:أنا أفكر إذن أنا موجود[2]."

فإبن سينا حاول البرهان على إثبات الذات ببراهين عقلية وكما هو معلوم أن الإنسان في الفضاء الخارجي الذي تنعدم فيه الجاذبية، لا يحس بجسمه لأن ثقل الجاذبية غير موجود، لهذا فهو يحس بذاته فقط ورغم ذلك تحس بذاتك وإنيتك المتميزة، وقد إستخدمها مولود قاسم في إثبات إنية الشعب الجزائري:"لأن الأمم بأصلها وأصالتها، وأنه لا ينكر أصله وأصالته إلا من لا أصل له ولا أصالة"[3].

---

[1]– أبو علي ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، مع شرح نصير الدين الطوسي، تحقيق: سليمان دنيا، قسم:2،في الفلسفة الإسلامية، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر،بيروت،بتاريخ:1992م،ص:345.

[2]–حنا الفاخوري، خليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، الناشر: مكتبة التقوى ناشرون للطبع والنشر، دار العلم والمعرفة، القاهرة، سنة:2020م، ص:504

[3]–مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، مصدرسابق، ص:14

وكثيرا ما كان يهاجم ما يروج له الإستعمار الفرنسي، فكأنما يريد مولود قاسم ببرهان الإنسان المعلق في الهواء أنه مثل برهان الأمة الجزائرية في إثبات وجودها رغم محاولات التشويه والفصل والعزل، إلا أنها تحس بوجودها وبذاتيتها وإنيتها، وكأن الشعب الجزائري مازال يقاوم ويحس بإنيته وذاتيته، رغم فقدانه لكثير من أفراده، وكأن هذه الجاذبية التي أثرت على شكله الخارجي من تشويه وقتل لم تأثر على ذاتيته وهويته.

5.عناصرالإنية عند مولود قاسم:

كما أشرنا في المبحث الأول الذي هو الذات التاريخية، والتاريخ المشترك والذي يعد جزءا من إنية الأمة الجزائرية، فقد بقي ثلاث عناصر مكملة للهوية وهي اللغة العربية والدين الإسلامي وحب الوطن ، وسنتطرق لعنصرين آخرين من عناصر الهوية إهتم بهما مولود قاسم نايت بلقاسم بالإضافة للتاريخ وهما:اللغة العربية والدين الإسلامي وأيضا حب الوطن والذي سنتركه للفصل الثالث الذي سنخصصه للمواطنة عند مولود قاسم للتوسع فيه أكثر.

1.5.اللغة العربية:

"تعد اللغة رمز وجود للأمة وبقدر أصالتها والمحافظة عليها أو فقدانها تكون المجموعة البشرية أمة وشعبا أصيلا أو مجرد أشتات فحسب[1]"، وبالتالي فهي العنصر الأول في تشكل عناصر الهوية عند مولود قاسم، لأنها الوسيلة الأولى في إثبات وترسيخ التراث اللامادي، وباللغة تتناقل الأجيال هذا التراث لهذا تعتبر الوسيلة الأولى من عناصر الهوية، وهي أقدم تجلياتها وأحد الركائز الأساسية لكل الأمم والمجتمعات، ووسيلة مهمة في عملية التواصل والتعبير عن الأفكار وتوصيل المعاني أو التعبير عنها.

واللغة العربية ليست أداة لنقل الأفكار ووسيلة للتعبير عنها فحسب، بل هي لغة القرآن وهي من أقدم لغات العالم كما أثبت ذلك العلماء المختصون في تاريخ اللغات، وهي لغة علم و فكر أيضا، فهي بحق أعظم كنز وأعظم وعاء لحفظ التراث، لهذا وجب الإهتمام بها، حفاظاً على التراث المعنوي واللامادي للأمة العربية والجزائرية، خاصة وهي بهذا تشكل

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصالية، ج:2، مصدر سابق، ص:369.

عامل وحدة ورابط قومي، والذي يجمع بين أبناء الأمة العربية، بالرغم من تعدد الأوطان ومحاولات الإستعمار التفريق بينهم بالحدود المصطنعة، حتى لا يبقوا على دوام الصلة بهذا التراث الخالد ما بقي الزمان.

فاللغة:هي العنصر الأول والمهم في هوية أي أمة من الأمم، وهي ما يجمع هذا التنوع الثقافي في المجتمع، فالمحافظة عليها محافظة على تماسك المجتمع، واللغة العربية مكون من مكونات الهوية الجزائرية، ليست تميز الأمة الجزائرية فقط، بل تميز كل الدول العربية وتشترك فيها، فهي تعبر عن الهوية وعن الثقافة في بعدها اللغوي، وليس أدل على أهميتها من كونها لغة للقرآن الكريم.

لهذا اختلف الباحثون واللغويون حول مفهوم اللغة رغم تعدد الدراسات والجهود في سبيل ذلك، وكل ذلك راجع لأهميتها وللخصوصية التي تتسم بها المفاهيم المرتبطة بالعلوم الإنسانية وعكس كنه عناصرها وحقيقة مكوناتها.

يعرفها **أندري لالاند**:"بالمعنى الأوسع كل نظام علامات يمكن استعماله وسيلة اتصال، لغة الحركات أو الإيماءات:كل أعضاء الحواس يمكنها الإسهام في إنشاء لغة:

أ/نظام تعبير لفظي عن الفكر، يتضمن مصطلحا ونحوا محددين، ثابتين نسبيا،يشكلان مؤسسة اجتماعية مستديمة، تفرض نفسها على سكان بلد، وتظل شبه مستقلة عن إرادتهم الفردية[1]".

يرى **إدوارد سابي**:أنها وسيلة للتواصل الإنساني تحديدا..تهدف لتوصيل الأفكار والعواطف والرغبات بواسطة نسق من الرموز[2]"

فهي خاصية إنسانية للتواصل عبر نسق من الرموز بين المتلقي والمرسل.

---

[1]–أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد2، مرجع سابق، ص:721،722

[2]–بشير خليفي، الفلسفة وقضايا اللغة قراءة في التصور التحليلي، منشورات الإختلاف، الجزائر، طبعة: أولى،2010 ، ص:31

يذكر مولود قاسم:أن ابن باديس قام ليصرخ في وجه الإستعمار وليوجه نداءه إلى الأمة الجزائرية، ذلك النداء الذي يشبه كثيرا نداء فيخته إلى أمته، الذي يتلخص في قولته المشهورة قول ابن باديس:

"إن الجزائر لم تكن فرنسا، وليست فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تكون فرنسا:تلك الجمل الثلاثة الخالدة التي يتلخص فيها كل ما قاله فيخته، وكلمات ابن باديس هي:(الجزائر وطني والإسلام ديني والعربية لغتي) يقول:وليس غريبا أن تصبح العربية على ما أصبحت عليه بعد قرن وربع قرن من احتلال من أبشع الإحتلالات خلال التاريخ، خاصة إذا ما تذكرنا ما قاله **فيخته** عن الألمان وتخوفه من فقدهم للغتهم وهم لم يروا من احتلال نابليون إلا بضع سنوات معدودة[1].

وما نلاحظه أن مولود قاسم كثيرا ما كان يتأثر بالفيلسوف الألماني في التمسك بالهوية لأنه كان يرى أن هناك تشابه بين الأمة الألمانية والأمة الجزائرية في تشابه الإحتلال، وفي تمسكهم بلغتهم رغم إحتلال نابليون للألمان لمدة قصيرة ولكن ذلك لم يثني عزمهم في الدفاع عن عناصر هويتهم، حيث كان بعض أنصار وأدعياء الإندماج يدعون لترك اللغة الألمانية لأنها لم تعد تصلح في نظرهم، ويجب تعلم لغة الغالب التي هي الفرنسية، لهذا وجه **غوتليب فيخته** نداءه للأمة الألمانية:"(إن وجود أمة من الأمم بوجود إنيتها التي هي شخصيتها، وأن هذه الشخصية تتكون من عناصر ثلاثة:الدين، واللغة، وحب الوطن).

ويقول أيضا:(إن اللغة هي رمز وجود الأمة، وبقدر أصالة اللغة والمحافظة على اللغة الأصلية أو فقدانها تكون المجموعة البشرية أمة وشعبا أصيلا أو مجرد أشتات فحسب).

[1]–الأخضر شريط، إشكالية الخطاب بين الفيلسوف الألماني فيخته ومولود قاسم نايت بلقاسم، الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم المفكر الموسوعي والوطني الثائر:1927م–1992م، شركة دار الهدى، عين مليلة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة،2007م، ص132

"وأن هؤلاء لو نسي الألمان لغتهم فلن يعودوا ألمانا رغم وجودهم في ألمانيا عكس الذين هاجروا إلى دول أخرى لكنهم حافظوا على لغتهم فسيبقون ألمانا لأن اللسان هو هوية الإنسان"[1].

فاللغة في نظره هي التي تكون الإنسان، إنها الطبيعة الإنسانية أي الطبيعة الوطنية المشتركة، إنها تلك القوة الطبيعية العارمة، إنها ذلك السيل المتواصل بما تحمله من شحنات عاطفية، وتصورات، مفاهيم، وذكريات مشتركة فيتفاهم الإنسان مع من يشاركونه نفس التصورات، نفس المفاهيم، الطبائع، التقاليد، العادات، والذكريات مع مواطنيه، ولو كانوا ولدوا في قارات أخرى غير قارته، وليس العكس وهي بمثابة روح الأمة، وليس مجرد أداة يعبر بها الإنسان عن نفسه، فالذي يفقد لغته يفقد الخيط الذي يربطه بالأجداد وحلقة ماضيه ينقطع عن أصله، كجلمود صخر إنفصل عن الصخرة الأم وقذف به إلى أعماق الذوبان، والإمحاء، واللاوجود، لأن اللغة الأصلية هي الحياة، والتي تمد الانسان بالحياة، ولأن الأمم المغلوبة هي التي تفقد لغتها وتندمج وتذوب في جنس الغالبة"[2].

إن اللغة العربية هي أهم عنصر من عناصر الإنية، والتفريط فيها هو تفريط في هوية الأمة وفي كل مقوماتها، وكلما إهتممنا بلغتنا كان ذلك دليلا على قوتنا وأصالتنا وعلى شدة تمسكنا بتراثنا.

وقد وهب مولود قاسم نفسه لإحياء مقومات الأمة الجزائرية دينا ولغة ومجدا، فالذي يطلع على جهاد وجهود مولود قاسم من أجل التعريب يصعب عليه أن يعرف بأن الرجل كان يتقن عدة لغات عالمية.

يؤكد الأستاذ يحي بوعزيز ذلك بقوله:"كان المرحوم مولود قاسم حريصا كل الحرص على أن تستعيد اللغة العربية مكانتها ومركزها، ورغم إنخراطه في التعريب أكثر من غيره

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصالية، ج:2، مصدر سابق، ص367..369.

[2]–المصدر نفسه، ج:2، ص: 371.370

إلا أنه ظل رافضا لكل النظريات الفكرية القومية والبعثية التي أرادت أن تجعل من اللغة دينا"[1].

والأمل دائما يحدوه من أجل أن تعود إلى القيادة، وفي الواقع قلما نجد واحد من دعاة التعريب قام بجهود تتفوق على جهود مولود قاسم، بل كل أعماله تدل على أن الرجل كان مقتنعا بما يقول ويفعل، من أهم أعماله في هذا المجال":بجاية الإسلام علمت أوروبا الرياضيات بلغة العروبة وهو عمل أثبت فيه أن اللغة العربية قادرة على استيعاب كل العلوم[2]".

وقد هاجم مولود قاسم دعاة العامية، وكل محاولة لكتابة اللغة العربية بالأحرف اللاتينية ومن يعتبرون اللغة مجرد أداة فقط، وما يهم المحتوى وقد بين أن اللغة العربية هي لغة ثقافة وعلم.

"قد كانت لغة العلوم في عصر النهضة كانت اللغة التي يتكلم بها أحيانا في القصور الاروبية، كانت لغة القصر في صقلية وباليرموا مثلا، كما أن لغة الثقافة في أوروبا كانت اللغة العربية:فطلبة السوربون في شارع سان ميشال كانوا يسألون بعضهم لتحديد موقف الخصم قبل البدء في أي مناقشة هكذا:هل أنت مع ابن رشد أم ضده؟ وكانت اللغة السائدة لغة العلم هي العربية وكان المكان الدي يلقي فيه الأستاذ ألبرت:محاضراته عن ابن رشد عندما تضيق عليه جامعة السوربون هو ميدان موبير".[3]

وليس أدل على أهمية اللغة لدى مولود قاسم من أن يستهل بها كتابه القيم(إنية وأصالة) بأول عنوان ومحاضرة تتكلم عن اللغة بعنوان:"تعريب الأمخاخ والقلوب قبل تعريب الألسنة[4]"

---

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصالية، ج:2، مصدر سابق: ص202.

[2] –مريم سيد علي مبارك، مثقفون خلال الثورة، مرجع سابق، ص:202.

[3]–مولود قاسم نايت بلقاسم،إنية وأصالة، مصدر سابق، ص:252.

[4]–المصدر نفسه، ص:19.

يذكر فيه نجاح الإستعمار الفرنسي على الأقل في مسخ عقول وغزو قلوب طائفة من مواطنينا، وأننا من أجل بناء شخصيتنا علينا على الأقل إستئصال هذه الزائدة الدودية، فلا يمكن تعريب الألسنة قبل تعريب الأمخاخ والعقول ويصفها بالطائفة الأمية في لسانها ولغتها، وهم الذين رسبت في أعماقهم بذور المستعمر وكل هذا التعريب لأجل لأن نرفع عن يتامى الثقافة المتفرنسين الشك في علمية اللغة العربية، وقدرتها على التطور والتكيف والتعبير عن مختلف ميادين النشاط الإنساني، ويقول يجب أن نبين لهم كيف كانت لغة الضاد طيلة سبعة قرون من الكنوز الإنسانية والمتكلمين بها في قصور ألمانيا وجامعات فرنسا وإيطاليا وما تركته حتى الآن من آثار عميقة في ثقافة أوروبا..

وعن رسالته فيما يخص التعريب وأن قيمة الانسان من قيمة لغته ولسانه، كثيرا ما يستشهد بالألمان في هذا المجال والذين تمسكوا بلغتهم الألمانية رغم الظروف فلم ييأسوا ويستسلموا للغة المحتل الفرنسي، ويقترح مولود في هذا المجال:"

أ-البدء في عملية التعريب بالحكومة التي عليها التحدث باللغة العربية وإجراء المناقشات بها بدل الفرنسية.

ب-تعريب الدوائر الحكومية من الكتابة على الأبواب باللغة العربية بدل الفرنسية وصولا لكتابة التقارير والبيانات.

ج-تنظيم دروس عربية لمن لا يعرفها من الوزراء.

بالإضافة تركيز الإهتمام بالإذاعة والتلفزيون والمسارح، والتكلم فيهم باللغة العربية الفصحى لدورهم التثقيفي والتوعوي الموجه لفائدة المواطنين، على أن المسؤلية الكبرى تلقى على عاتق المثقفين باللغة العربية والعبئ على الشعب كله، لا على الحكومة ومجلس النواب والمؤسسات الثقافية فحسب"[1].

ثم ينتقل في محاضرة ثالثة وكل ذلك إتباعا بعنوان:"تكلم لغة قومك":

[1]-مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية واصالة، مصدر سابق، ص:33.34 .

يحرص فيها على التركيز على اللغة العربية دون الفصحى، التي إنتشرت وكادت تحل محل اللغة الأم في كل الأماكن فيبدأ بالتعليم وأهميته في غرس قيم المجتمع لدى شباب الأمة، وحتى المعلمين عليهم أن لا يتحدثوا بغير الفصحى في المدارس وحتى في أوقات اللعب، كما كان يفعل المستعمر بمعاقبة كل من لا يتكلم بغير الفرنسية، وفي نشرات الأخبار وفي المسارح فلماذا لا نقتدي بهم ونكون أفضل منهم في هذا المجال:"ونريد من العائلات وخاصة الأمهات أن تفرض على أولادها التكلم بلغة قومهم، لتكمل بذلك المعلم في المدرسة كما تفعل العائلات الألمانية بفرضها التكلم بالألمانية على أولادها "ونحن نقول لكل من نسمعه يترطن:تكلم بلغة قومك؟ بهذا سوف لا نحيي العربية في الجزائر فحسب بل سنساعد على جعلها لغة الحياة القومية في السلوك العملي اليومي في البلاد العربية جمعاء".[1]

فاللغة العربية هي لغة حياة للأمم والشعوب ومن دون اللغة سيصبح الشعب محتلا إحتلالاً ثقافيا وهو ما يجعل الشعوب سهلة الإستعمار وهو ما عبر عنه مالك ابن نبي:"بالقابلية للإستعمار[2]".

وقد كان لمولود قاسم تعبير آخر عن هذا المصطلح وهو المركوبية أي الإنهزامية، وقد شبه الشعوب المستعمرة وكأنها أداة تركب فيه الشعوب الإستعمارية على الشعوب المستعمرة.

2.5.الديـن:

لـــــغة:

"وهوالجزاء والمكافأة، ويوم الدين يوم الجزاء، وفي المثل:كما تدين تدان..والدين:الطاعة، وقد دنت له:أي أطعته، والجمع:أديان..والدين:الإسلام، وقد دنت به[3]".

أما الدين الإسلامي بالإضافة للإعتقاد هو الإستسلام لله ولرسوله والإنقياد لأوامره وإجتناب نواهيه بما جاء في كتابه وعلى لسان نبيه محمد–صلى الله عليه وسلم–يعد الدين جامعا

---

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية واصالة، مصدر سابق، ص:40.

[2]–مالك إبن نبي، شروط النهضة، ترجمة:عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق،سنة:1986م، ص:31.

[3]–إبن منظور، لسان العرب، مجلد(5–6)، مرجع سابق، ص:340،339

لأفراد المجتمع الواحد ضد الطغيان وضد العنصرية، وهو ما يحرك فيهم ضمائرهم اتجاه وطنهم، وهو معلم مهم من معالم الثقافة العربية الإسلامية، ولن تستطيع أي دولة تسيير شعب بدون التربية الدينية والأخلاقية، وأي تهاون سيؤدي بها حتما إلى الضياع والزوال.

تختلف التعاريف والمفاهيم حول مفهوم الدين حسب اعتقاد الأشخاص وإيمانهم لذا لا يمكن تحديد تعريف واضح للدين أو مفهوم يكون شامل وواضح وذلك لإختلاف القناعات والمعتقدات، فهناك المؤمن والملحد والإجتماعي أو حتى العقلاني وعالم النفس، فعلماء الاجتماع وحتى علماء الأنتربولوجيا يرون الدين بأنه:" مجموعة مجردة من القيم والمثل أو الخبرات التي تتطور ضمن المنظومة الثقافية للجماعة البشرية وذلك لأن الدين البدائي يصعب تمييزه عن العادات الاجتماعية والثقافية التي تستقر في المجتمع لتشكل البعد الروحي"[1].

ومفهومهم ناقص لأن هذه المظاهر والعادات ناتجة عن الدين وتكون حسب مفهوم كل شخص أو مفهوم الجماعة الذي يتكون ليشكل عبر الزمن عادات يعتقد بأنها من الدين ولكنها ناتجة عنه وليست هيا الدين.

-إصطلاحا:

أما علماء الدين فيرون الدين هو:"الوعي والإدراك المقدس، وهو إحساس بأن الوجود والعالم يتم إيجاده بشكل غير طبيعي عن طريق ذات فوق طبيعية تدعى الإله أو الخالق أو الرب."[2]

وهناك من يعتقد أن الدين ناتج عن عجز الإنسان عن إثبات ومعرفة الغيبيات وهو ما يجعله في حيرة وخوف مما سيحدث له بعد الموت وهذا الخوف والعجز هو ما يولد الحاجة للإنسان في البحث عن خالق الكون لهذا يرى فريدريك شلاير ماخر بأن الدين: "..:الشعور بالإعتماد المطلق(العجز المطلق)[3]".

---

[1]–مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، طبعة: أولى، 2009م، ص:222.

[2]– المرجع نفسه، ص:222.

[3]–المرجع نفسه، ص:223.

كما أن لالاند يصف الدين بأنه:"أ/مؤسسة إجتماعية بوجود إيلاف من الأفراد المتحدين:

1-بأداء بعض العبادات المنتظمة وبإعتماد بعض الصيغ.2-بالإعتقاد في قيمة مطلقة، لا يمكن وضع شيء آخر في كفة ميزانها، وهو إعتقاد تهدف الجماعة إلى حفظه.

3-ينتسب الفرد إلى قوة روحية أرفع من الإنسان، وهذه ينظر إليها إما كقوة منتشرة، وإما كثيرة، وإما وحيدة هي الله.

ب-نسق فردي لمشاعر وإعتقادات وأفعال مألوفة، موضوعها الله (الدين هو تحديدا المطالبة بوجهة نظر الشعور والإيمان، إلى جانب وجهة نظر العلم[1]".

ثم عاد ليختصره في الصيغة التالية:

"إن أي دين هو منظومة متماسكة من المعتقدات والممارسات المتعلقة بأمور مقدسة، أي منفصلة، محرمة، وهي معتقدات وممارسات تجمع في إيلاف أخلاقي واحد يدعى جامعا[2]".

أما مولود قاسم فلديه وجهة نظر كون الدين جزء من هوية الأمة، فهو يرى أنه لا وجود لأي أمة وبقاء من دون تمسكها بدينها فيتسائل:لم تمجد أوروبا بصحفها وشخصياتها اليسارية إهتمام إسرائيل بالدين وتلومنا نحن على ذلك؟ لم تهلل أوروبا وتصفق لتمسك بولونيا بالدين، مدعمة مقالاتها وتصريحاتها بأعمدة من الأرقام والأسماء..بحماس وتقدير وإجلال، مشيدة بتدين الشعب البولوني الذي يرى حصانته، أصالته، واستمرارية أمته ووحدته في تمسكه بدينه ثم يسارعون إلى وصم المسلمين:بالتعصب، والرجوع إلى القرون الوسطى وغيرها من الشعارات والصيغ التي يعقدون بها-مع الأسف-الكثير من أشباه المسلمين، ولا مسلمين، أو كما قال الحجاج:(أشباه الرجال،ولا رجال).

يتحدث مولود قاسم عن واقعنا الحالي من نفاق عالمي إتجاه قضايا الشعوب العربية ودينها،ويفضح هذا النفاق والكيل بمكيالين اتجاه القضايا العربية والإسلامية وكأنه ينظر للواقع بمنظار التوقع والمستقبل، فأصبح ينظر للإسلام والمسلمين نظرة رهبة وريب واتهام

---

[1]-أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، (ر.ز)، مرجع سابق، ص:1204.

[2]-المرجع نفسه، ص:1206.

عكس الجرائم في الغرب كذلك أصبح ينظر لها كأنها حالات فردية رغم أن القتل والإستعمار كله يأتي من الغرب.

يعتبر الدين أحد أبرز عناصر الهوية لمجتمع من المجتمعات وخصوصا المجتمع الجزائري والذي بفضله حافظت الأمة على هويتها، رغم محاولات الإستدمار من تبشير وسلخ المجتمع عن قيمه وأخلاقه، إلا أنه لم يفلح في ذلك:

"فقد قامت المساجد على قلتها والكتاتيب والزوايا في الحفاظ على هوية الأمة الجزائرية لأن الدين هو التعزية الوحيدة للمظطهدين:فإن كانت في الدين تعزية فهي لهم لأن الروح الدينية هي التي ينبغي أن تحث هؤلاء المستعبدين على رفض عبوديتهم وعلى تحرير أنفسهم"[1].

وبالتالي فالدين هو العنصر الثاني والمهم الذي يساهم في وحدة الأمة، ويمثل هويتها وقوتها أمام غيرها من المجتمعات الأخرى، كما أن الدين الاسلامي الذي لا يجمع أفراد المجتمع الواحد فقط بل يجمع جميع أفراد الدول العربية ويعتبر مكونا هاما من مكونات هويتها.

وليس مجرد أقوال أو إدعاءات بل هو سلوك وأفعال تنعكس على أفعال الإنسان كان من تدين عميق ونشاط وحيوية في العبادات، و هذا ماكان يسعى إليه مولود قاسم الذي كان يرفض التقاعس والكسل، فهو يطبق حرفيا ماقاله:عمر بن الخطاب لأحد الشباب الذي لاحظ عليه التكاسل فنهره بقوله:"لقد أمتم علينا ديننا".

بمعنى أن المسلم يجب أن يكون نشيطا وحيويا، كما يتميز بالإنضباط الشديد في العمل والوقت والمواعيد والإلتزام بها.

وقد كان رحمه الله:" شديد الغضب عندما يلاحظ غياب ذلك لدى أي إنسان من حماس وتمسك بالدين، ويعرف عنه شدة التواضع أيضا:"حيث كان يتسوق بنفسه على عكس أغلب المسؤلين في بلادنا، كما كان يلتزم في نهاية كل أسبوع بزيارة دشرته بأقبوا في القبائل الصغرى والإحتكاك بالناس هناك والإشتراك في إجتماعات"ثجماعت" القرية، وحضور

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، مصدر سابق، ص:368.

الجماعات في المسجد والإحتكاك بأهلها، ويعرف عنه كثرة المطالعة، حيث كان ينام ساعة ثم يستيقظ ليطالع ساعة أخرى، ثم يعود لينام ساعة ثم يستيقظ للمطالعة مرة أخرى"[1].

وهذا ما يدل على العزيمة والإرادة التي كان يتمتع بها في سبيل هذا الوطن وكقدوة للأجيال القادمة من عزيمة وإصرار ولم يمنعه مركزه السياسي من التواضع والإلتقاء بأبناء قريته فما أحوجنا للحماس والإرادة التي كان يتمتع بها مولود قاسم نايت بلقاسم.

1.2.5.أهم خصائص ومميزات الدين:

يمكن إجمال خصائص الدين فيما يلي:

1-"الإيمان بوجود إله فوق طبيعي هو الخالق للكون والعالم والمتحكم فيهم وفي البشر وكافة المخلوقات.

2-التمييز بين عالم الأرواح وعالم المادة.

3-وجود طقوس عبادية يقصد بها تبجيل المقدس من ذات إلهية وغيرها من الأشياء التي تتصف بالقدسية.

4-قانون أخلاقي أو شريعة تشمل الاخلاق والاحكام التي يجب إتباعها من قبل الناس ويعقد المؤمنون أنها آتية من الله الخالق لتنظيم شؤون العباد.

5-الصلاة وهي الشكل الأساسي للإتصال بالخالق وإظهار التبجيل والخضوع"[2].

وليست الصلاة فقط، وإنما مختلف العبادات، والتي تعد مبادئ وأوامر شرعية تنظم حياة المؤمن وفقا لؤيته الكونية التي اكتسبها من الدين واستطاع معرفة كيفية خلق العالم حسب دينه وكيف ينظمه الخالق سبحانه وتعالى ومعرفة الجزاء والعقاب حسب الإلتزام بالأوامر واجتناب النواهي.

3.5.حب الوطن:

---

[1]-سيد علي مبارك، متقفون خلال الثورة، مرجع سابق، ص:202.

[2]-مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص:223.

حب الوطن جزء من الهوية لدى مولود قاسم، فحب الجزائر والوطنية بعد الدين الإسلامي واللغة العربية ضارب في تاريخ الأمة منذ القدم، فقد حارب لأجله الجزائريون وتحملوا بأنفسهم لأجله وبذلوا الغالي والنفيس، فقد حاول الإستعمار بكل ما أوتي من قوة فسخ ومسخ الجزائريين عن هويتهم العربية الإسلامية، لمحاولة إلحاقه الجزائر بفرنسا، لذا يحتل حب الوطن مكانة مهمة في فكر مولود قاسم لدرجة أن جعله مبدئ من مبادئ الهوية الجزائرية، والذي يمتد لتاريخ طويل منذ يوغرطا الذي حارب الرومان ضد الظلم والفساد، مرورا "بعروج وخير الدين وأخويهما..ومن أتى بعدهم، للمد الصليبي الأمبريالي الإسباني والبرتغالي، وما تلاهما من بعد ذلك من ضراوة المد الأوروبي وشراسته وحتى قيام ثورة نوفمبر 1954م التي كانت بادرة غيرت مجرى التاريخ الإفريقي[1]"، فالجزائر وطن مليء بالتحديات والثورات وحب الوطن جزء لا يتجزء من هويتنا وإنيتنا، كما يعبر عن ذلك مولود قاسم ، فهذا الوطن ليس وليد الإستعمار، أو صنيعته، فهو وليد تاريخ قديم ضارب في أعماق التاريخ ، لذلك علينا أن نعرف قيمته وأهميته كجزء من هويتنا.

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر، أو بعض مآثر فاتح نوفمبر، دار الأمة، الجزائر، طبعة:2007، ص:8.

الفصل الثالث:

سؤال المواطنة والمشكل الثقافي في فكر مولود قاسم نايت بلقاسم

المبحث الأول:المواطنة من منظور مولود قاسم نايت بلقاسم

المبحث الثاني:مشكلة الثقافة والحضارة

المبحث الثالث:التنوع الثقافي وجدلية الأنا والآخر

المبحث: الأول: المواطنة من منظور مولود قاسم نايت بلقاسم:

تمـــــهيد:

تعد المواطنة من المصطلحات التي لا يمكن فصل دلالاتها ومعانيها عن الوطن وحبه، وكل ما يتعلق للمحافظة عليه والذود عنه، كما أنه لا يمكن فهم معاني المواطنة إذا اختزلناها في البعد السياسي أوالقانوني، بل لا بد من ردها إلى سياق أكثر شمولية وهو ربطها بحضارة الإنسان وهويته وتتبع المفهوم منذ عهد اليونان وحتى يومنا الحالي، وحينما نتحدث عن المواطنة، فمن غير المعقول أن نتجاوز ما قدمه مولود قاسم من قراءات لمفهومها:من لغة عربية وحب وطن وتعلقه بالتاريخ المشترك وبالدين الإسلامي، والجدير بالذكر أن مولود قاسم لم يتكلم عن المواطنة مباشرة كمفهوم له قواعد تأسيسية في العصر المعاصر فقد ذكر حب الوطن في أكثر من موضع وأشار للمواطنة كأمل منشود يتساوى فيه الجميع على أساس مبدأ العدالة، لا كفكرة فقط وإنما كواقع متحقق وفي هذه الدراسة النظرية، سيتم بيان تجليات مفهوم المواطنة، الإنية والتنوع الثقافي في فكر مولود قاسم بالإعتماد على المنهج التاريخي التحليلي من خلال تتبع مفهوم المواطنة قديما ثم بعد ذلك استنطاق كتابات مولود قاسم لمعرفة وجهة نظره حول أهمية الوطن والمواطنة، وتعد هذه الدراسة محاولة لتأصيل مفهوم المواطنة الذي جاءنا متشبعا بقيم الثقافة الإسلامية متمسكا بلغته ومعتزا بتاريخه وبدينه، وإعطائه الطابع الخاص بثقافة المجتمعات الإسلامية، وهنا مكمن الأصالة في الموضوع، والهدف هو الإشارة إلى الأخطاء الإبستيمولوجية التي يقع فيها الكثير من الباحثين وهي اقتطاع المفاهيم الناشئة في البيئات الغربية وافتراض قدرتها على معالجة القضايا الموجودة في البيئة العربية الإسلامية مثلها مثل مفهوم المواطنة.

فالوطن يحتل مكانة هامة في فكر مولود قاسم فهو يتغنى به في محاضراته ومدافعا عنه في جهاده قبل الثورة التحريرية وأثنائها وحتى بعد الإستقلال كمفكر وكوزير.

فما معنى حب الوطن؟ وما الفرق بينه وبين الوطنية والمواطنة؟ وما أهميته لدى مولود قاسم نايت بلقاسم؟ وهل التنوع الثقافي التي تزخر به البلاد عنصر بناء أم تفرقة في التربية على حب الوطن والمواطنة؟

ففي مسألة اللغة وتأثر مولود قاسم بتمسك الألمان بلغتهم وحبهم لوطنهم، يضرب مولود قاسم المثل كثيراً بالفيلسوف **غوتليب فيخته** للألمان حول التمسك بالهوية وخصوصا الهوية اللغوية والتي تعد أساسية ومهمة في التحرر من الإستعمار وما سبق أن ذكرنا في تقسيمه لها:"الدين، واللغة، وحب الوطن[1]."

فحب الوطن عند الألمان هو مكون من مكونات شخصية أية أمة من الأمم وحب الوطن ليس شعارات وأقوال فحب الوطن جزء من هوية الشعب الجزائري هذا الوطن الذي ضحى من أجله الشهداء وبذلوا النفس والنفيس في سبيله فالعناصر المكونة للأمة دائما ما يعددها في قوله "إن وجود أمة من الأمم بوجود إنيتها التي هي شخصيتها، وأن هذه الشخصية تتكون من عناصر ثلاثة: الدين، اللغة، حب الوطن"[2].

1.مفهوم الوطن:

هو المكان الذي ولدنا وترعرعنا فيه، أكلنا من خيراته وكبرنا فيه وهو الذي نحس بالإنتماء اليه ويستدعي منا المحافظة عليه والدفاع على حدوده وأرضه وغالبا ما يجمع الوطن الدين واللغة وتاريخ مشترك ومصير واحد يجمع بين مواطنيه.

---

[1]-مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصالية، ج:2، مصدر سابق، ص367..369

[2]-المصدر نفسه، ص:367.

"والوطن في أسمى معانيه الذي يمنح المتنمي إليه حق الإقامة والحماية والانتماء، العمل، الكسب والاستقار والتنقل والتعليم، الحرية وحق الحكم والتوجيه واستعمال الفكر واليد واللسان[1]".

أما الوطن وما ذكر في شأنه من أقوال فقد كتبت فيه الكتب والمؤلفات على سبيل الذكر لا الحصر ما ذكره رفاعة رافع الطهطاوي في كتابه:"مناهج الألباب المصرية في مباهج الأداب العصرية".

ففي مقدمة يتكلم عن ذكر هذا الوطن وما قاله في شأن تمدينه أرباب الفطن:

1.1.أقسام التمدن:

أ–تمدن معنوي: وهو في الاخلاق والعوائد والاداب من تمسك بالدين والهوية الخ.

ب–تمدن مادي: وهو التقدم في المنافع العمومية كالزراعة والتجارة والصناعة.

وهذه الإرادة عن حب الوطن لا تنشأ إلا عن حبه ويستدل بالحديث الشريف:"حب الوطن من الايمان".

وقول عمر–رضي الله عنه–"عمر الله البلاد بحب الأوطان"وقول علي–رضي الله عنه–سعادة المرء أن يكون رزقه في بلده، وقول أحد الحكماء:لولا حب الوطن لما عمرت البلاد غير المخصبة، ويستدل بأبيات من الشعر وقول للحكماء حول محبة الأوطان وعند خروج النبي–صلى الله عليه وسلم–حين خرج من مكة:والله أعلم أنك أحب بلد الله الي وإنك أحب أرض الله إلى الله وإنك خير بقعة على وجه الأرض وأحبها لله تعالى ولولا أن أهلك اخرجوني منك لما خرجت[2]".

---

[1]–قصير مهدي، مفهوم المواطنة في المدرسة الجزائرية بين التصور والممارسة، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، السنة الدراسية:2015–2016، ص:52

[2]–رفاعة رافع الطهطاوي، مناهج الالباب المصرية في مباهج الاداب العصرية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014، القاهرة، ص:18.

فالوطني المخلص في حب الوطن يفدي وطنه بجميع منافع نفسه ويخدمه بكل ما يستطيع وما يملك.

والوطنية لا تستدعي فقط المطالبة بالحقوق مع عدم الإلتزام بالواجبات، بل الدفاع عن الحقوق وعدم تضييعها، والمشاركة في بناء الوطن مشاركة فعالة، الغيرة عليه والدفاع عنه فليس من حب الوطن الإلتزام بالحقوق فقط، بل الدفاع عليها فمن رأى منكرا وهو يستطيع تغييره ولم يقم بذلك فليس له من حب الوطن شيء.

وفي المرشد الأمين للبنات والبنين يخصص الباب الرابع:

في ذكر الوطن وتمدينه وبيان أن أعظم أسباب ذلك التربية والتعليم واستكمال المعارف والتعليم.

يذكر رفاعة الطهطاوي في الفصل الأول الوطن وفي الفصل الثاني:عن أبناء الوطن وما يجب عليهم وأن أبناء الوطن دائما متحدون في اللسان وفي الدخول تحت إسترعاء ملك واحد والانقياد الى شريعة واحدة وسياسة واحدة، فهذا يدل على أن الله إنما أمدهم للتعاون على إصلاح وطنهم..والوطني هو الذي يتمتع بحقوق وطنه وأعظم هذه الحقوق الحرية التامة في الجمعية التأسيسية ولا يتصف الوطني بوصف الحرية إلا إذا كان منقادا لقانون الوطن، ومعينا على إجراءه، فإنقياده لأصول بلده يستلزم ضمنا:ضمان التمتع بالحقوق المدنية والتمزي بالمزايا البلدية[1]".

2.الفرق بين حب الوطن والوطنية والمواطنة:

[1]–رفاعة رافع طهطاوي، المرشد الأمين للبنات والبنين، تقديم:منى أحمد أبو زيد، دار الكتاب اللبناني، بيروت،2012م، ص:210

1.2.حب الوطن:

"هو الميل إلى البلد الذي ينسب إليه الإنسان ويعيش فيه–سواء ولد فيه أم لم يولد فيه–بحيث ينتج الدفاع عنه، والعمل لرقيه وتطوره وفق ضوابط الشريعة[1]".

فالوطن من خلال التعريف يكون موطن للإقامة، سواءا ولد فيه الإنسان أم لم يولد والعمل لترقيته وإزدهاره، لكن هناك من يرى أن الوطن هو موطن الميلاد الذي يبقى راسخا في قلب الإنسان حتى وإن تغيرت الإقامة لغيره، فيبقى حب الوطن في قلب الإنسان ملازما له.

فحب الوطن رابطة قلبية بين الإنسان ووطنه وشعور وإحساس مقدس لا يعرفه إلا من عاشه وكلنا مجبول عليه من فطرة الله التي فطر الناس عليها، فأي كائن لديه تلك الرابطة إتجاه وطن مولده وإقامته.

2.2.الوطنية:

لقد عرفت الوطنية عدة تعريفات حسب السياقات والدلالات فمنهم من يرى أن الوطنية هي شعور الفرد نحو مجتمعه ووطنه والتضحية لأجله، ومن يرى بأنها حب وإخلاص.

ومن يرى بأنها نزعة فكرية أو رابطة لها مبادئها وطقوسها، فينظر للإنسان حسب هذه النزعة وكذلك هي إلتزام بالحقوق المشروعة لوطنه مع اكتسابه لجنسيته والدفاع عنه.

"هو شعور للناس إتجاه وطنهم الذي ينسبون إليه ويقيمون فيه–بحبهم لمجتمعهم ووطنهم واعتزازهم بالإنتماء إليه، وإستعدادهم للتضحية لأجله بذلا ودفاعا".[2]

فالوطنية صيغة مبالغة لحب الوطن والتضحية في سبيله، ومنها الوطني وهو المخلص لوطنه دفاعا عليه، كما أنه يحمل هموم وطنه قلبا وتضحية وفداءا لأجله، وقد كان أجدادنا

---

[1]–سعد بن عبد الله السبر، حب الوطن دراسة تأصيلية، إشراف: سليمان بن عبد الله أبا الخيل، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، المعهد العالي للقضاء، قسم الفقه المقارن،1431،1430هجرية، ص.16

[2] –سعد بن عبد الله السبر، حب الوطن دراسة تأصيلية، إشراف:سليمان بن عبد الله أبا الخيل، مرجع سابق، ص:18.

وطنيين حتى النخاع في حبهم لوطنهم، فالوطني يؤدي ما عليه، بغض النظر عن يحصل به من إمتيازات، فهو وإن لم يحظى بأي ميزة أو نفع محبا لوطنه مدافعا عنه، عكس المواطنة والتي يقابلها الحصول على خدمات الوطن في إطار ما يقدمه المواطن من أعمال وإلتزام إتجاه وطنه في خدمته وكأن الوطني يؤدي ما عليه من دون مقابل، والمواطن يؤديه بمقابل كما أن الوطنية كظاهرة إنتشرت بعد الحروب العالمية ضد نيران الإستعمار وما كان تعانيه شعوب الدول المستعمرة فأصبح كل من يقوم بالدفاع عن وطنه وطنيا متشبعا بقيم الوطن وحاملا لهم تحرير وطنه ضد المستعمر.

3.2.المواطنة:

هي كل سلوك يعكس حقوق الفرد وواجباته إتجاه مجتمعه ووطنه ويختلف المواطنون حسب تمسكهم بوطنيتهم وتصرفاتهم وسلوكاتهم وبالتالي فتكون الوطنية: نتيجة للمواطنة وأخص منها وقد تكون نزعة فكرية وتحررية قد توافق الشريعة الإسلامية وقد تخالفها.

فهي شعور وإنتماء إتجاه الوطن، والمواطنة سلوك وتحضر وأفعال تنعكس على أداء المواطنين اتجاه وطنهم.

تعد الوطنية نزعة تحررية نشأت وتقوت كشعور أثناء الحروب التحريرية للأوطان المستعمرة، وأنشدت لأجلها الأشعار والأناشيد في الدفاع عنها والمطالبة بتحررها، فها هو **مفدي زكريا** ينشد حوالي ألف بيت في حبه للجزائر منذ نشأتها وحتى إستقلالها، وقد تغنى بكل مكوناتها ترابها وهوائها وتاريخها المجيد، وكذلك عبد الحميد إبن باديس والذي قال كلمته المشهورة في حبه للجزائر:"الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا:

وذلك في إطار إحتفال السلطات الإستعمارية بالذكرى المئوية لإحتلال الجزائر، وهو ما دعى علماء الجزائر للنداء بكل غيرة وحماس لإنشاء جمعية العلماء المسلمين والتي من أهدافها كما يقول مؤسسها:"وإننا نعلن لخصوم الإسلام والعربية عقدنا على المقاومة

المشروعة عزمنا وإننا سنمضي بحول الله في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصيبنا..وأن النصر سيكون حليفنا[1]".

أما مولود قاسم في حبه للجزائر ليس هناك أدل على حبه للجزائر من تسميته لإبنته الوحيدة:"بالجزائر" كرمز للوطن الذي أحبه حتى النخاع، ودافع عنه قبل الثورة وبعدها.

وقد لاحظنا في مسألة اللغة عند مولود قاسم أنه كثيرا ما يربط بينها وبين الوطن، فيعتبر أن المواطنين الذين يتأثرون بلغة عدوهم غير مستقلين تماما، وهو ما يركز عليه في كل محاضراته وخطبه، ودائما ما يحث على تمجيد اللغة العربية ويعتبرها لغة وطنية، فحب الوطن، ولغته: وجهان لعملة واحدة، ويستدل بقول لينين:"هل عاطفة الإعتزاز الوطني غريبة عنا، نحن معشر البروليتاريين الروس الكبار الوعاة؟ نقول بحزم:لا إننا نحب لغتنا ووطننا.[2]"

فكل من اللغة والتاريخ والدين كما سبق تعتبر توليفة للأصالية وحب الوطن ويدخل تحتهما كل:"من التقاليد والثقافة المتأصلة ذكريات الأجداد والتي يخلدها التاريخ الضارب بجذوره في أعماق الدهر ولوطن ممتد بساطه عبر السهول والوديان والجبال والصحاري والوهاد والنجاد التي كلها سجلات خالدة للأجداد الأمجاد"[3].

وفي موضع آخر يعبر عن الذين لا تأخذهم الغيرة عند سماعهم إسم وطنهم، ويشبه الذي لايحس بأي إحساس إتجاه وطنه كالبهائم، كأنما يروي قصته لمغادرته وطنه في عز الثورة، الذي لم يكن على إختيار وإنما عن إضطرار وهو موفد لجبهة التحرير الوطني للدول الإسنكندنافية لتثميلهم هناك، ليكون للثورة زخم في هذه الدول حتى يكون لها صوت في مساعدة الجزائر من نيران الإستعمار، فقد سبق أن تعلم لغة هذه الدول للدفاع عن بلده وإيصال صوتها لكافة الأصقاع والبقاع، فالإنفصالية عند مولود قاسم هي الإنفصال عن هذه المقومات، وعدم الإحساس بحب الوطن أو الغيرة عليه حتى عند مغادرتك له فإن:"لم تأخذك

---

[1]–عمار الطالبي، آثار ابن باديس، مجلد:1، دار الوعي للنشر، الجزائرطبعة: سادسة،2016م، ص:120.119.

[2]–مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصالية، ج،2، مصدر سابق، ص:28.

[3]–المصدر نفسه، ج2، ص:66.

تلك القشعريرة ولم تساور عيناك بذرف قطيرات من ماء الحياة، والموت عند المغادرة أو العودة أو أثناء الغربة من فرح وترح كمثل تلك القشعريرة التي أخذت الرسول–صلى الله عليه وسلم–عند مغادرة مكة مهاجرا، أي مظطرا، وإذا لم تطرب وأنت في الغربة عند العثور على صوت بلدك في الإذاعة، أو سماع لغتك في الشارع..فأنت ليس فيك قطرة من حب الوطن، ولا وطنية؟ وليس فيك أدنى رائحة ولا أريحية إنسانية، وإنما تعيش كأبهم حيوان، بل أنت أضل"[1].

ما نلاحظه أن مولود يعتبر حب الوطن أحاسيس وعواطف يتأثر بها الإنسان وتنعكس على تصرفاته، وتأثره فكلما كان الإنسان متعلقا بوطنه محبا ومخلصا له كانت الأصالية والعكس، فالإنفصالية:هي البعد وعدم التأثر بحب الوطن الذي نعيش في أرضه وسهوبه وتظلنا سماءه، والذي ضحى من أجله الأباء والأجداد.

ويشبه الإنسان مع مواطني بلده بالطير الذي هو مرتبط بسربه، متعلق بنوعه:وحدة مستقلة لكنه جزء لا يتجزء من كل.

وكثيرا ما يكرر جملة **جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده:**"أن الخائن ليس فقط الذي يبيع وطنه، وإنما هو ذلك الذي في استطاعته أن يفعل شيئا لصالح وطنه ولم يفعله..أما فيخته والذي نرى تأثره الكبير به والذي تكلم عن حب الوطن قبل الإمامان بقرن عن اللغة، التاريخ، الدين وحب الوطن:فكما أن الدين هو العنصر الدائم لحياتنا الروحية العليا، فإن حب الوطن هو العنصر الدائم والأساسي لحياتنا المدنية كمواطنين"[2].

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصالية، ج،2، مصدر سابق، ص:68.

[2] -المصدر نفسه، ج:2، ص:69

فالوطن على حسب تعبير مولود قاسم تتزاحم على حبه الأحاسيس والهواجس وحتى الأهداف الإنسانية التي يتشارك فيها المواطنين مع بعضهم البعض، والتي هم أعضاء في هذا الوطن:" فالذي لايحب وطنه ليس له وطن، وإنني لأرثى كل الرثاء لمن لا وطن له.[1]"

وعن مسألة كانت قد أثيرت في ملتقيات الفكر الإسلامي وهي عقد مؤتمرات عن ثورة الفاتح من نوفمبر، فقد لاحظ مولود قاسم إنزعاج البعض ممن يحضرون هذه الملتقيات وقد كان رده واضحا:بأن من لم يعجبه ذكر ثورتنا التحريرية فمن الأفضل له أن لا يحضر، فهم لا يعرفون شيئا عن هذه التجربة، فقد كانت الجزائر سباقة في إنطلاق الثورات التحريرية في مختلف بلدان العالم النازحة تحت نير الإستعمار وكانت الحركات السياسية المتخالفة في نقط أخرى ولكنها متفقة على نقطة واحدة بالذات:"الجزائر وطني"في الوطن الصغير، وسط الوطن الكبير(الإسلام ديني، والعربية لغتي، والجزائر وطني.)"[2].

ودائما ما نعود لتأثر مولود قاسم بالألمان في تمسكهم بلغتهم وحبهم لوطنهم خصوصا فيخته الذي يتسائل من هو الوطني؟

فيجيب في نفس الوقت عن هذا السؤال المهم بأن:"الوطني هو الذي يعمل على تحقيق هدف الإنسانية قبل كل شيء في أمته الذي هو عضو منها، إن الوطن خالد هذا الوطن الأرضي الحسي الذي نحن فيه وإن الذي لا يحب وطنه ليس له وطن، وإني لأرثى كل الرثاء لمن لا وطن له[3]".

فمسألة الوطن مهمة لأن الأشخاص ذاهبون وزائلون لا محالة، بينما الوطن باق للأجيال فيجب المحافظة عليه ونحن اليوم نرى الآثار بقيت تشهد على حضارات عمرها الإنسان وكيف بنيت هذه الأوطان والحضارات، ويضيف أنه لولا حب الوطن ولولا رغبة الخلود لما كان هناك تحرر ومطالبة بتحرير الأوطان من نير الإستعمار، ومن تسلط الطغاة

---

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصالية، ج،2، مصدر سابق، ص:69.

[2] –المصدر نفسه، ج2، ص:81.

[3]–مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، مصدر سابق، ص:63.

الذين لايهمهم الأوطان ولا تعميرها، وبالنسبة للقيم الوطنية فلا بد من:"التركيز على غرسها و بنائها لدى الأجيال هذه القيم التي تمتد عبر تاريخ طويل في الماضي والحاضر والمستقبل فنستفيد من الماضي وأخطاءه لبناء مستقبل زاهر[1]"، يشارك فيه كافة المواطنين بسواعدهم وفكرهم للنهوض بوطنهم الغالي.

3.التربية على حب الوطن:

فالتربية جزء مهم من حياة الأمم، فلولاها لما كان هناك جيلا صالح يتربى على القيم وينافح عنها فهي أساس كل القيم لهذا نجد مولود قاسم يركز عليها كثيرا فيذكر أن:"تربية الشعب على التمسك بالدين والأخلاق هي أساس كل حكومة، وعلى الحكومة أن تؤسس معهدا دائما لهذه التربية الدينية، وهذا المعهد جزء لا يتجزء من مؤسسات كل دولة حكيمة طيلة دوامها.

وهو فعلا ما اهتم به مولود قاسم نايت بلقاسم من خلال الدعوة لإنشاء هذه المعاهد ووضع اللبنة الأولى لمثل هذه المعاهد على سبيل المثال:

-معهد التكوين الأصلي والذي يركز على التربية على القيم الدينية من لغة عربية وقرآن كريم فهذه القيم هي الأصل وبدونها فإن الوطن سيتأثر لا محالة ولا تستطيع أي دولة تسيير الشعب بدون هذه التربية.

فهذا فيخته يتكلم:"عن دولته الألمانية بأنه في استطاعتها تسيير الشعب بدون هذه التربية الدينية والأخلاقية، وتهاونها في هذه المسألة، لهما اللذان أديا بها إلى الحالة التي تتخبط فيها اليوم".

وحتى الثقافة في نظر مولود قاسم نايت بلقاسم تشترط التربية، وتتوقف عليها وينبغي أن تتلون بلون اللغة وتتكيف بطبيعتها.

---

[1]-مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، مصدر سابق، ص:603.

"فنجد أن أداة هذه التربية وحاملتها وقناتها وحافظتها التي تلونها بلونها وتكيفها بطبيعتها هي اللغة كما يقول فيخته"[1].

فالتربية:هي اللبنة الأولى في غرس قيم حب الوطن، وكل ذلك لا يتأتى من دون تربية الأجيال على دراسة تاريخهم والإهتمام به وتعلم لغتهم التي تغرس في الأجيال الإعتزاز بهويتهم، من خلال التربية الدينية وتعزيز ذلك بقيم حب الوطن، وهو ما يشكل توليفة أو مركب لبناء الإنسان الصالح والذي تبنى بسواعدهم الأوطان ويمكن أن نمثل هذه التوليفة أو التركيبة كما يلي:

عناصر **الإنية** هي:**(الدين+اللغة العربية+االتاريخ المشترك+حب الوطن)**،كما يربط بين هذه العناصر مركب:**(التربية)**على حب الوطن.

فحب الوطن ممتد عبر الزمن من تاريخ طويل من البناء والذي ضحى لأجله الرجال بالغالي والنفيس، فقد كان كثيرا ما يربط بين الثقافة والتربية والأخلاق وبين مكونات الهوية المستمدة من تراث الأجداد عبر ربطه بين عناصر هوية الأمة وتمسكها بهذا التراث، فيقول بأن الفيلسوف الألماني:(فيخته) يعتبر أن اللغة هي القوة الطبيعية الأولى في الأمة ويجعل أركان شخصية أية أمة من الأمم ثلاث:اللغة، الدين، والتاريخ وحب الوطن.

وبالتالي فهذه العناصرهي:الإسمنت الروحي للأمم والسيلان الدائم الذي يضمن تواجدها:"إن أنجع الطرق لغرس الروح الإسلامية ونشر الفكر الإسلامي لهما طبعا التربية والثقافة:اللتان هما الإسمنت الروحي الذي تلتئم به الأمم والسيلان الدائم الذي يضمن تواصل أجزائها، وتماسك أعضائها، ووجود ذهنية واحدة لديهم اتجاه القضايا المصيرية، تجسم ما يسمى اجماع الأمم"[2].

---

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم،أصالية أم إنفصالية،ج:2،مصدر سابق،ص:24.

[2]–المصدر نفسه، ج،1، ص23.

وليس غريب أن يركز مولود قاسم على التربية ويربطها بالثقافة فهو المربي والمجاهد والوزير والمفكر الذي أبى إلا أن يكون في مقدمة المربين والمجاهدين قبل الثورة وبعدها.

4.أهمية التربية على حب الوطن في الإسلام:

للإسلام دور كبير قديما وحديثا في جمع الكلمة ولم شمل الناس على راية وكلمة واحدة، كما أن مولود قاسم كثيرا ما كان ينافح على هذا الدور والأهمية التي لعبها الإسلام قديما وحديثا، ومن خلال محاضراته كان يغضب لمن يتعصبون لقومية أو عرق وحتى الذين يتكلمون بإسم العرب والعروبة، فيرى بأنها دعوى فيها جاهلية لأن الإسلام جمع مختلف الطوائف ولم يكن حزبي أو عرقي، ويسمي هذه الدعوى بالأحاسيس الوطنية الضيقة والتي لا تزال موجودة ولكنها ما زالت موجودة وقائمة حتى وقتنا الحالي ومن المسائل المهمة التي كان يدافع عنها الخلافة العثمانية والتي جمعت بين العرب والأتراك في أمة واحدة، وإن لم يخفي أن هذه الخلافة وإن ارتكبت بعض الأخطاء والتي هي غير معصومة منها لكن كان لها فضل كبير في دحر العدوان على الدول العربية والإسلامية وهذه العداوة التي يراها قد إنتشرت في وقته ضد كل ما هو تركي وعثماني وأن أسباب التخلف اليوم كان بسبب تلك الخلافة ويعبر عنه:"بالإرث الذي تركه لنا العقيد لورانس المتمثل في النزاع بين الطورانية القحطانية أي بين الأتراك والعرب.[1]"

وعن مصطلح البربرية فيعتبر ترجمته:"بالهمجية والمتوحشة خطأ، لأن الكلمة يونانية في أصلها بربار، وكانوا يطلقونها على الرومان وغير اليونان، وجاء الرومان فأطلقها على غيرهم ممن إستدمروهم..وكذلك البربرية والبربر مع أن الرومان كانوا يقصدون بها التنقيص من قيمتنا، ثم استعملها فيما بعد إبن خلدون وغيره بإطلاقها على الأمازيغيين مع الإشادة بهم وبدورهم في الحضارة الإسلامية إلى أبعد الحدود.[2]"

---

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصالية، ج:1، مصدر سابق، ص:111.

[2]–المصدر نفسه، ج1، ص:113.

وينتقد بشدة التفرقة وموضوع العنصرية بحيث أنه في بعض الأماكن:"نجد من يسمونه بالعرب والبربر من جهة، والكراغلة والأتراك من جهة أخرى، رغم دور العثمانيين والذي لا يمكن أن ننكر دورهم الهام في دحر الإسبان عن الشواطئ الجزائرية:

الأتراك هم الذين حرروا هذه البلاد من الإحتلال الإسباني صحيح أن ذلك كان بجهود جزائرية لكن كان لهم فضل كبير في ذلك[1]".

وحتى في مجرد الإشارة إلى هذه التسميات من:كراغلة، بربر، عثمانيين وأتراك يقول بأن أصلهم كلهم مسلمون والإسلام هو الذي جمع بيننا فعلينا:"أن نخنق الجرثومة وأن نجتثها في مهدها قبل أن تكبر حتى لا يحيد بنا النقاش إلى القحطانيين..الطورانيين..الأمازيغ والعجم وهي من جنسيات عديدة هي شرف الإسلام إمتاز بها عن غيره كدين، حضارة وكثقافة إذ جمع بين البشر من القارات الخمس بعناصرها المختلفة، هذه هي قوة الإسلام إن لم نرد أن نسير في ركاب لورانس في ركاب المستدمرين وفي ركاب المبشرين وفي ركاب الملاحدة[2]".

كل هذا وإن دل فإنما يدل على إهتمامه بالقوميات الأخرى حتى من غير العرب الذين يتعايشون في ظل الإسلام، لا تفرق بينهم عصبية أو حزب وإنما غايتهم وهدفهم واحد، أما القومية الضيقة خصوصا التي تنبذ غيرها من القوميات الأخرى لا تبني أوطانا ولا تربي أجيالا، لأن التنوع القومي والثقافي في ظل راية واحدة وهي الإسلام قد أثبت منذ ظهوره وحتى يومنا هذا تعايشهم في ظل المساواة والعدالة الاجتماعية ولم يثبت أن عانت الطوائف أو العرقيات المختلفة من عانته في ظل التعصب المقيت والذي سببه العنصرية والتي جاء الإسلام منذ بداياته الأولى بمحاربتها، وكل الآيات والأحاديث النبوية تثبت أن التفاضل يكون على أساس العمل والتحلي بالأخلاق الحميدة، والإبتعاد عن سفاسفها وعن كل ما يؤذي الإنسان أو يضربه وبغيره وحتى المحافظة على الوطن وكل هذه قد وجد مولود قاسم في

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصالية، ج1، مصدر سابق، ص:119،120.

[2]–المصدر نفسه، ج1، ص:124،125.

ظل الإسلام أنه الجامع لغيره من عرقيات مختلفة، عكس ما يعتقده القوميين والمتعصبين لأصل أو عرق والذين أثبتوا فشلهم وفشل مشروعهم.

5.أهمية ترسيخ قيمة حب الوطن عند مولود قاسم:

يتضح مما سبق في تقسيم مولود قاسم لعناصر الهوية من تاريخ مشترك، لغة، دين وحب وطن: ذا دلالة كبيرة لديه في ترسيخ هذه القيم لدى الأمة الجزائرية والتي تعرضت لمختلفة الطرق من مسخ، فسخ ونسخ، لفصلها عن هويتها وكثيرا ما كان يطلب مواجهتها بكل حزم وجزم وعزم فكيف واجهها مولود قاسم؟ وما هي أهم الآليات أو الوسائل التي كلقاح مضاد لكل من يريد أو يطلب الإندماج؟ وما أهمية هذه القيم في ترسيخ الهوية لدى الشعب الجزائري؟

للإجابة عن هذه الأسئلة سنتطرق لدعاة الإندماج وكيف قاومهم مولود قاسم ثم لأهمية قيم الهوية في ترسيخ الثوابت لدى الأمة الجزائرية.

فكل محاولة لتغيير أو ضرب قيمة من قيم الهوية، هو محو لشخصيتنا وإنية الأمة الجزائرية:"إن هذه التبعية العقلية والعاطفية للأجنبي، وهذا الإنسلاخ عن الشعب، كل هذا يؤدي إلى حب التقليد للأجانب، وترك الشعب بعيدا، بل يؤدي حتى إلى خيانته وغدره، وصراخ في وجهه إذا ما نادى للرجوع إلى أصله وإحترام أصالته.[1]"

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصالية، ج:2، مصدرسابق، ص:374.

المبحث الثاني: مشكلة الثقافة والحضارة

1.مفهوم الحضارة:

1.1.لـــغة:

"هي مجموعة ظواهر إجتماعية مركبة، ذات طبيعة قابلة للتناقل، تتسم بسمة دينية، أخلاقية، جمالية، فنية، تقنية أو علمية، ومشتركة بين كل الأجزاء في مجتمع عريض أو في عدة مجتمعات مترابطة[1]".

2.1.المعنى الإصطلاحي:

تمثل الحضارة كل من العمليات التفاعلية على مستويات الهوية، الدين والثقافة والمجتمع، والتي تحكم على أساس تشريعي وقانوني تنظيمي، فالحضارة هي الكل الذي يتضمن الثقافة والمدنية.

تعتبر المدنية جزء من حضارة شعب ما، لهذا يعدها الكثير أحد عناصر الحضارة لما تحتويه من مظاهر للعمران ومختلف القوانين والتشريعات التي تسير بها.

كما أن هناك من عد التقدم الحضاري ينتهي إلى مستوى المدنية، فتكون هي أعظم شأنا وأرقى من الحضارة، بينما هناك من ساوى بين المفهومين وحتى في التراجم نجد أن لفظة:civilization:على أنها الحضارة والمدنية.

كما يظهر ذلك من قول اشفايتزر:"لكننا لا نستطيع التفرقة بين الحضارة والمدنية"[2].

فكلاهما عملتان لوجهة واحدة لأنه كلما ازدهرت الحضارة وكانت في أوجها عادت على المدنية بالتطور والإيجاب.

---

[1]–أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، تعهد وإشراف:أحمد عويدات، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، طبعة:2012م،مجلد 1(A-G)،ص:172.

[2]–علي عبود المحمداوي، خطاب الهويات الحضارية من الصدام للتسامح، مرجع سابق، ص:41.

مفهوم المدنية وعلاقتها بالحضارة:

2.المدنـــــية:

"حالة مجتمعية مقابل الحالة الطبيعية، وهي تنجم عند جون جاك روسوا وسان–جوست.الخ عن عقد إجتماعي[1]".

إنتقل مفهوم المدنية من الإهتمام بالزراعة والصناعة والتقنيات الحديثة التي تمثل الجانب المادي والتجاري وحتى التطور في العمران، إلى ما يسمى اليوم بثورة المعلومات والتكنولوجيا وبالتالي فالمدنية:"هي إقتصاد وعمران وتكنولوجيا وحضارة، مع إلتزام ومراعاة القوانين والحقوق والواجبات، والقانون الإتفاقي بين مجموعة من المواطنين وهو مايسمى في وقتنا الحالي:بالمجتمع المدني، فالمدنية هي المنجز المدني التقني–المادي–العمراني ومنجزها التشريعي"[2].

فالمدنية:هي كل ما توصل إليه الإنسان من تطور كما أسلفنا على مستوى العمران والإقتصاد والتكنولوجيا والذي يمثل حضارة البلد.

3.الثقافـــــــة:

تعد الثقافة من المصطلحات التي إختلف في مفهومها المفكرين والمثقفين، فالتراث منه ماهو مادي وما هو معنوي، والثقافة تجمع العناصر كلها، والتي انتقلت للشعوب وأصبحت جزءا من حياتهم وعاداتهم هذا بالمجمل العام، أما الثقافة إن ذكرت مع هذه العناصر مجتمعة فهي تعني أسلوب الحياة لمجتمع معين وما يجمع بينهم ويؤثر فيهم من لغة وتاريخ وعادات وتقاليد اعتادوا عليها وأصبحت جزءا من ثقافتهم.

1.3.المفهوم اللغوي:

---

[1]–أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ص:171.

[2]–علي عبود المحمداوي، خطاب الهويات الحضارية من الصدام للتسامح، مرجع سابق، ص:42..

تأخذ عدة معاني منها الحذق وسرعة التعلم والفطنة والذكاء الخ... ومن الحذاقة والفهم.

جاء في لسان العرب لابن منظور:"ثقف:الشيء ثقفا وثقافا وثقوفة:حذقه.ورجل ثقف" وثقف" وثقف":حاذق فهم،وأتبعوه فقالوا ثقف لقف..

عن اللحياني:رجل ثقف لقف وثقف لقف وثقيف لقيف بين الثقافة واللقافةفهي تأخذ نفس الصيغة.

قال:ابن السكيت:رجل ثقف لقف اذا كان ضابطا لما يحويه قائما به،ويقال:ثقف الشيء وهو سرعة التعلم أي أن الثقافة تعتبر عملية تعلمية وتعليمية[1]".

وكذلك تأتي بمعنى الذكاء والفهم والفطنة:فعند ابن دريد:"ثقفت الشيء حذقته من الحذاقة والذكاء،وثقفته اذا ظفرت به قال الله تعالى:(فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾[2])

وثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقا خفيفا ذو فطنة وذكاء، وحتى العزيمة والقوة والجلد مثل:

"ضخم، ومنه المثاقفة وثقف أيضا ثقفا مثل:تعب تعبا أي صار حاذقا فطنا فالمؤمن فطن كيس كما جاء في الحديث الشريف فهو ثقف وثقف مثل حذر وندس، أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه وفي حديث أم حكيم بنت عبد المطلب:"إني حصان فما أكلم وثقاف فما أعلم"، وثقف الخل ثقافة وهو ثقيف و ثقيف بالتشديد، الأخيره على النسب:حذق وحمض جدا مثل:بصل حريف، قال وليس بحسن، وثقف الرجل:ظفر به وثقفته ثقفا مثال بلعته بلعاً أي صادفته، وقال: فإما تثقفوني فاقتلوني فإن أثقف فسوف ترون بالي[3]".

---

[1]–ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص28

[2]–سورة الأنفال، الآية،57.

[3]–ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص28

وثقفنا فلان في موضع كذا أي أخذناه وهي بمعنى التمكن من الخصم والقدرة عليه ومصدرها ثقف والثقافة:العمل بالسيف، قال: وكأن لمع بروقها، في الجو، أسياف المثاقف.

فثقف:"ثقف الشيء ثقفا وثقافا وثقوفة:حذقه.ورجل ثقف" وثقف" وثقف":حاذق فهم،وأتبعوه فقالوا ثقف لقف،فالثقافة بصيغة اللقافة قال ابن السكيت:رجل ثقف لقف إذا كان ضابطا لما يحويه قائما به.

"وثقفنا فلان في موضع كذا أي أخذناه، ومصدره الثقف وفي التنزيل العزيز:" وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ. ﴿١٩١﴾[1]".

والثقافة:العمل بالسيف، قال: وكأن لمع بروقها، في الجو، أسياف المثاقف، والثقاف إلى أن تقوم الساعة، يعني الخصام والجلاد، والثقاف:"حديدة تكون مع القواس والرماح يقوم بها الشيء المعوج[2]".

وبالتالي فالمفهوم اللغوي لكلمة ثقافة من الفعل الثلاثي: **ثقف** بمعنى حذق أو مهر أو فطن، أي صار حاذقا ماهرا فطنا، فهو ثقف وقد ثقف وثقافة، وثقف الشيء أي قومه وسواه، وتثقف الإنسان تأدب وتهذب وتعلم وتكون من الفطنة والكياسة والذكاء وتعني أيضا الحذاقة، المهارة والشطارة وكذلك الفطنة.

والتهذيب أيضا تقويم الإعوجاج:أي صار حاذقا ماهرا فطنا، وتأتي أيضا بمعنى القوة والجلد لأن المثقف يكون لديه من القوة الفكرية ما يكفي فهو ثقف وثقافة، وثقف الشيء أي قومه وسواه، وتثقف الإنسان تأدب وتهذب وتعلم.

فالثقافة هي كل ما يملكه الأفراد من من معارف وعلوم وفنون، وما يحدد سلوكهم ويبني شخصيتهم في التعامل مع الآخرين فرديا وإجتماعيا وحضاريا.

---

[1]–سورة البقرة، الآية،191.

[2]–ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص28

2.3.إصطلاحا:

كما سبق أن ذكرنا فجل المفكرين وعلماء الأنتربولوجيا إختلفوا حول مفهوم الثقافة نظرا لتعدد إستعمالاتها، فمنهم من يرى أنه ما اكتسبه الأفراد من سلوك عبر حقب زمنية وأصبحت جزءا من حياتهم، كما أن البعض الآخر يرى بأنها أفكار ومعارف، تنعكس على سلوك المجتمعات لتصبح جزءا من حياتهم، كما أن البعض الآخر يرى بأنها أدوات وملابس وحتى المساكن داخلة في إطار الثقافة.

تتضمن التعريفات:الجانب النظري، الفكري والإبداعي لأسلوب حياة المجتمعات، فهو نوع من أنواع أساليب الحياة السائدة في مجتمع بشري معين، والإستخدام العلمي للكلمة لا يتضمن التهذيب أو تقدم المعرفة، ومنذ البدايات الأولى للجنس البشري:

"والثقافة أهم ما يميز المجتمع الإنساني عن التجمعات الحيوانية، فعادات الجماعة وأفكارها وإتجاهاتها تستمد من التاريخ، وتنتقل تراثاً إجتماعيا إلى الأجيال المتعاقبة، واللغة هي العامل الرئيس لنقل الثقافة، وإن كانت بعض أنماط السلوك والإتجاهات تكتسب بوسائل أخرى غير اللغة، ويشير اصطلاح"الثقافةالمادية"إلى الجانب الذي تمثله أشياء:كاللآلات والأسلحة والملابس وأشغال الفن، ودرجة تعقد التنظيم الثقافي تساعد على التمييز بين تحضر المجتمعات"[1].

فالثقافة هي أسلوب حياة، وهي الأفكار والإتجاهات ومنظومة القيم، وطريقة التفكير، العمل والسلوك التي تحكم جماعة من الأفراد، وكذلك التاريخ الذي ينقلها، واللغة التي يتكلم بها أفراد المجتمع ويتواصلون بها، ونمط العيش وما يتضمنه من مأكل ومشرب ومسكن، والعلاقة التي تربط بين الأفراد أنفسهم وبينهم وبين المجتمع، بذلك تشمل الجوانب المادية كالعمران واللباس والصناعات المختلفة، والجوانب المعنوية كأساليب العيش والتفكير،

[1]–محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار الجيل، مصر،1995 م، ص:581.

والمعتقدات المختلفة، حيث تكون ثقافة عامة يشترك فيها كل أفراد المجتمع، كما يمكن أن تكون ثقافة خاصة تتميز بها طبقة عن غيرها، أو جماعة عن غيرها داخل المجتمع نفسه.

فثقافة كل أمة جزء من الثقافة العالمية وكل ثقافة لها خصوصياتها، وهناك من ربط بين الثقافة والتربية، فيقول إن الثقافة تشترط التربية وتتوقف عليها، وتتكيف بتكيفها وبطبيعتها، ومنهم من يربط بينها وبين اللغة، وهناك أيضا من ربطها بالإبداع في مختلف العلوم.

وقد تعني القوة الإبداعية في الفن والعلم والفكر بصفة عامة تعرف بأنها:"قوة التاريخ الإبداعية في العلم والفن والأدب[1]".

كما أن هناك من عد الثقافة بأنها كل مظهر من مظاهر التقدم العقلي وحده فقط، دون بقية المظاهر.

أما **إدوارد تايلور** وهو من علماء الأنثربولوجيا في العصر الحديث:فيرى بأنها ذلك الكل المركب الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين:"

إن كلمة الثقافة أو الحضارة، بمعناها الإثنوغرافي الأوسع، تشير إلى هذا الكل المعقد الذي يضم في الوقت نفسه العلوم، والمعتقدات والفنون، والأخلاق والقوانين والعادات وغيرها من الملكات والعادات، التي يكتسبها الإنسان في وضع اجتماعي[2]".

وتردد **تايلور** بين إستخدام إصطلاح الحضارة وإصطلاح الثقافة، وهذا إن دل فإنه يدل على تداخل المفهومين من ناحية كل ما هو مكتسب سواءا كان فكري أو مادي، ومن ناحية التطور الحاصل في المجتمع نتيجة الحضارة، وما خلص إليه تايلور في إستعماله هو:

---

[1]–علي عبود المحمداوي، خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح، منشورات الإختلاف، الجزائر، طبعة: أولى،2019 م ، ص:32.

[2]- Edward B.Taylor, la civilisation primative,traduit,Pauline Brunet,Paris,Libraires-editeurs,C.Reinwald et Ce, 1876,p: 22

إستعمال مصطلح الثقافة عكس مصطلح الحضارة الذي يعني التطور أو التقدم في أعلى الدرجات التمدن.

وهناك من إعتبر المفهومين مترادفين نظرا لتقارب معانيهما، لدرجة أن إستعمال أحدهما يعبر عن الآخر، وكل ذلك يرجع حسب ذوق الشخص أو حسب المدرسة التي يتبعها، فمنهم من يجعل الثقافة:خاصة بالجوانب الروحية الذاتية كالدين والفلسفة والفن.

والحضارة:في الجانب المادي وما يحققه من تطور وإزدهار، كما أن أهم المدارس التي إهتمت بذلك كان بين:"الإنجليز والأمريكان، فالإنجليز إهتموا بالحضارة والمجتمع كالمؤرخ الإنجليزي الشهير **توينبي** الذي يفضل إستعمال الحضارة ولا يستخدم الثقافة إلا نادرا،بينما يفضل الأمريكان إستخدام إصطلاح الأنثربولوجيا الثقافية[1]".

وهذا واضح لأن الإنجليز كونوا حضارة لمدة طويلة من الزمن حتى أصبحت تلقب بالإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، عكس أمريكا وهي دولة حديثة نسبيا لم يكن لها حضارة في السابق وإنما في العصر الحديث فقط.

وبالتالي فمختلف التعريفات تتضمن الإبداع ومحاولة الوصول للكمال في كل ما يتصل بالحياة والسلوك:من قوانين، قيم وأخلاق على مستوى العلم والوجدان والتصور والإدراك.

فيما ربط البعض الثقافة بالتراث والإطار الديني بأنها:"ذلك الكل الذي يعبر عن العناصر الأساسية للشخصية الفردية والإجتماعية، التي تتكون من مثلث العلاقات الذي يتفاعل ويلخص النظرة إلى الله:(العقيدة والدين) وإلى الأخر:(الكون والطبيعة والمجتمع) وإلى الذات:(الرغبات والغرائز) والتي جاءت لتدل على:"ذخيرة مشتركة لأمة من الأمم

[1]–سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، طبعة: ثانية،1983 م، ص:31.

تجمعت لها وانتقلت من جيل لجيل خلال تاريخ طويل، وتغلب عليها بوجه عام عقيدة دينية هي جزء من تلك الذخيرة المشتركة."[1]

فالثقافة من هذا المنظور هي كل ما يربط بين الفرد ومجتمعه والفرد وخالقه وكيف ينظر للكون وعلاقته بالدين وبنفسه وربه وبغيره من أفراد هذا المجتمع.

وبالتالي فما نلاحظه أن هناك عدة إتجاهات في تعريف الثقافة، فمنهم من يربط بينها وبين السلوك المكتسب والمتعلق بمجموعة أفراد أوالمتعلق بالجماعات، ومنهم من يربط بينها وبين الإنسان وعلاقته بخالقه وبذاته وبالآخرين، ومنهم من يرى بأنها مجموعة أفكار تنعكس على سلوك الأفراد والجماعات وما يتوارثونه من عادات وتقاليد ومساكن وطريقة الملبس..الخ.

ومنهم ما يجعلها مادية بحتة، متعلقة بالجانب المادي الحضارة خاصة فيما يتعلق بالعمران، ومن يجعلها خاصة بالجانب الروحي التعبدي وعادات وسلوك الأفراد وتوجهاتهم.

4.الثقافة وعلاقتها بالحضارة عند مولود قاسم نايت بلقاسم:

يهتم مولود قاسم بالثقافة ويعتبرها جزء أساسي من تراث أي أمة وخاصة الأمة الجزائرية، ويعتير أن أي حضارة لا تهتم بتراثها فهي أمة آيلة للزوال، وكثيرا ما يضرب المثل بالأمة الألمانية من خلال نداء فيخته الذي كان مصراً على المحافظة على لغتها رغم الإستعمار الفرنسي، فهو يعتبر أن أي تنازل عن مقومات الهوية هو تنازل عن القيم والمبادئ التي تحافظ على الوطن ومقدساته، لذا يعتبر مولود قاسم هذه العناصر هي التراث الروحي والثقافي للأمة، ولا حضارة ولا تقدم إلا بالتمسك بهم، لدرجة أنه يربط بين مسألة الثقافة والتربية، فالأخلاق مستمدة من تراث الأجداد عبر ربطه بين عناصر هوية الأمة وتمسكها بهذا التراث، وفي مسألة الفيلسوف الألماني فيخته كما ذكرنا في اهتمامه باللغة التي يعتبرها

[1]–علي عبود المحمداوي، خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح، مرجع سابق، ص:33.

القوة الطبيعية الأولى في الأمة وأهم ركن من أركان شخصية الأمة الثلاث: التي هي (اللغة، الدين، والتاريخ، وحب الوطن).

وبالتالي فهذه العناصرهي:الإسمنت الروحي للأمم والسيلان الدائم الذي يضمن تواجدها:"إن أنجع الطرق لغرس الروح الإسلامية ونشر الفكر الإسلامي لهما طبعا التربية والثقافة:اللتان هما الإسمنت الروحي الذي تلتئم به الأمم والسيلان الدائم الذي يضمن تواصل أجزائها، وتماسك أعضائها، ووجود ذهنية واحدة لديهم اتجاه القضايا المصيرية، تجسم ما يسمى إجماع الأمم"[1].

والحضارة كما يرى مولود قاسم ليست في الماديات ومباهج الحضارة الزائفة بل في هوية الأمة وتمسكها بالتراث مع مواكبة التقدم وروح العصر من خلال فتح الأبواب والنوافذ التي تهب عليها روح العصر من دون فتح الأسقفة، ويرجع تأثر مولود قاسم بالأمة الألمانية من خلال:

"أولوية الوجود الثقافي على الوجود السياسي (حق الدم، العرق، التعددية الثقافية)، وهذا عكس التصور الفرنسي الذي يطرحها وفق المنظور الحضاري الذي يستدعي أولوية الجانب السياسي على الثقافي (حق الأرض مبادئ واحدة (لغة ودين ووطن واحد)، سلطة وقانون واحد)"[2].

باعتقاد مولود قاسم هوية الأمة وإنتماءها الروحي منذ القدم، هو ما عزز استمرارها وبقاءها، رغم الظروف التي مرت بها إلا أنها سرعان ما تعود وتقاوم الأعداء منذ عهد الرومان بمقاومة يوغرطا وماسينيسا، مرورا بالإخوة بربروسا، وحتى اندلاع ثولاة نوفمبر المجيدة.

---

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصالية، شركة دار الأمة، الجزائر،2013م، ج1، ص23.

[2]–فارس خيرة، التأصيل الثقافي لدى مولود قاسم نايت بلقاسم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، ل.م.د، كلية العلوم الإجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة مستغانم، السنة الجامعية:2018/2017، ص:123

وأن الإسلام فكر وحضارة، دين ودولة، عكس الحضارة الغربية المادية، التي لم تعد تهتم بالروح وأصبحت مادية بحتة، وهو ما سيؤدي بيها حتما للإنهيار والزوال وهو ما كان ير كز عليه مولود قاسم دائما في مؤتمرات الفكر الإسلامي وملتقياته مذكراً به:"قد تدارستم دور ما كان للإسلام من فكر وحضارة، وأمد به أوروبا والعالم من نور، وحياة ونضارة، ورأيتم أن قد حان الوقت للجمع بين الجديد والأصل، وأن في ذلك وحده الرأي والقول الفصل[1]".

فالإسلام ثقافة وحضارة سواءا من جانبها المادي، وحتى المعنوي والروحي، وهو يجمع بين كل خصائص التقدم والتطور بشرط العودة للأصل، والمحافظة على الهوية، دون نسيان الجديد متمثلا في روح العصر ومتطلباته، وهو ما حرص مولود على تكراره دائما، والإهتمام به في كل خطبه وحواراته.

5.العادات والتقاليد وأهميتها الثقافية:

تهتم الثقافة بالجانب المعنوي الذي يشمل العادات والتقاليد والأعراف وما إلى ذلك، وقد تتضمن الجانبين (المادي والمعنوي) بكل ما فيهما من تكنولوجيا وآلات وأدوات وحتى العادات والتقاليد والقيم.

فالعادات والتقاليد والأعراف تعبر عن أنماط وسلوكات، تميز بين أفراد المجتمع من خلال تفعيلها في مواقف الحياة المختلفة، وبطبيعة الحال للعادات سمات خاصة تنفرد بها الأمة الجزائرية وتختلف عن عادات وتقاليد وأعراف المجتمعات الأخرى، لكن لو تعمقنا أكثر في عمق المجتمع الجزائري لوجدنا أن هناك اختلافات في العادات والتقاليد تميز عدة مناطق وعدة جماعات، فنجد إختلافات في العادات والتقاليد بين سكان الشمال والجنوب والشرق والغرب الجزائري، فهي تعتبر أكثر عن المكونات القابلة للتغيير، كما أنها قابلة للإندماج بثقافات مختلفة وجديدة.

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصالية، شركة دار الأمة، الجزائر،2013م، ج2، ص:93.

يشكل: الدين، اللغة، التاريخ، التراث، العادات والتقاليد، توليفة متكاملة تعبر في مجملها عن هويتنا كمجتمع عربي مسلم، فمن خلالها نخافظ على هويتنا بمختلف مكوناتها.

لهذا يرى مولود قاسم أن العادات والتقاليد جزء مهم من ثقافة الأمة وتراثها:"إن التراث يدخل ضمن عناصر الشخصية كعنصر من عناصره، والتراث ليس الآثار التاريخية فقط، وليس الكتب، والمخطوطات فحسب، بل أيضا العادات الصالحة والتقاليد، التي تحفظ لها جزءاً من كيانها، وتوطد مظهراً من مظاهر وحدتها، وتمثل العرف العام الجامع بينها، وهو السلوك العام المشترك بين جميع أفراد الأمة، والدستور غير المكتوب المتعارف عليها بينهم"[1].

فالعادات والتقاليد آداب وسلوكات وأفكار، وهي ليست مقدسة، ولكنها خاضعة لعرف المجتمع وعاداته، وهي عمل بشري وعمل الإنسان دائما ناقص، مهما كان، ففيه ما يبقى صالحا، وما يتوقف صلاحه على زمن محدود، وهنا يدخل الغربال كما يقول مولود قاسم وكل ذلك لأجل مصلحة الأمة.

لكن في المقابل ينتقد مولود قاسم العادات السيئة التي علقت وأصبحت سلبية كالإحتفالات غير المبررة وغير المفيدة، فيعتبرها مضيعة للأمة وللهدف الأسمى الذي وجدت من أجله، فينتقدها بقوله:

"هل من التراث تلك الدرابيك حول المزارات، التي يتزاحم فيها مثل "البزارات"، من سيدي عمار أو سيدي زمار، في زوايا تشبه حانة خمار، وتجازي الإسلام جزاء سنمار، وما يصاحب ذلك من إختلاط وحيوانية، وشهوات وحركات بهلوانية؟ بل إن التراث كالتقاليد كلمة إيجابية، لا تنطبق على العادات النابية، بل تعني ما يتوارث فقط من كل صالح، لا كل العادات التي فيها الصالح أو الطالح"[2].

---

[1]–محمد محمد سيد خليل،الثقافة العربية بين الوحدة والتعدد، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة:2007م،ص:32.

[2]–مولود قاسم نايت بلقاسم،أصالية أم إنفصالية،مصدر سابق،ج:2،ص:40

المبحث الثالث: التنوع الثقافي وجدلية الأنا والآخر

1.معنى التنوع الثقافي:

التعدد والتنوع أصبحت ظاهرة واضحة المعالم بالدعوة للمحافظة عليها، بالإضافة لعوامل أخرى أصبحت الدعوة إليها عالميا من أجل أهداف إنسانية عالمية ومشتركة بين جميع بلدان العالم،"وتم تقنين هذه القيم الجديدة في قانون التسامح البريطاني الذي صيغت مبادئه فيما بعد:كمبادئ الحرية، والعدالة والمساواة التي رفعتها الثورة الفرنسية، ودستور الولايات المتحدة"[1]، والتي أصبحت تنادي بها هيئة الأمم المتحدة وإعلان حقوق الإنسان بل ومختلف المنظمات الحكومة وغير الحكومية.

وهذه العوامل قد ساهمت نوعا ما في إضعاف المواطنة لظهور مجموعة من الحقوق كحق اللجوء السياسي، وحق العمل والإقامة وتملك أكثر من جنسية ما أدى إلى صعوبة التمييز بين المواطن وغير المواطن في بعض البلدان.

ومن أهم العوامل التي أثرت على خصوصية الثقافة لكل أمة هو العولمة الثقافية والتي كان لها الدور الكبير في التأثير على الثقافات المحلية لكل بلد، وإذا كانت الهوية الوطنية تمثل إطار تشترك فيه هويات فرعية مختلفة دينية، قومية أو لغوية أوحتى تاريخية كما ذكرنا عند مولود قاسم نايت بلقاسم:(اللغة، الدين الإسلامي، التاريخ المسترك، وحب الوطن).

وهي تختلف من مفكر لآخر حسب المعتقدات والأفكار والعادات والتقاليد، وحتى طبيعة البلدان وجغرافيتها، ما أدى لإختلاف مفهوم الهوية من مفكر لآخر، حتى وإن اختلفوا في بعضها، لكنهم لم يتفقوا عليها كلها.

وحتى في مجال الهويات الفردية: فإنها تختلف من إنسان لآخر وبالتالي:"يمكن أن تشترك هويات فرعية للجماعات والأفراد على نحو متنوع وتعددي، أي جمع الخصوصيات

[1]–محمد محمد المفتي، بنية الثقافة وأزمة التحديث، الناشر: مجلس الثقافة العام، ليبيا، سنة الطبع:2008م، ص:124.

في نسق عام موحد، لكنه متعدد وليس أحادي فمن جهة يمثل هوية جامعة، ومن جهة أخرى يتألف من هويات متعددة ذات طبيعة خاصة بتكوينات متميزة سواءا كان ذلك دينيا أو لغويا أو إثنيا أو قوميا أو غير ذلك[1]".

إن الحق في الهوية الثقافية للشعوب يعطي الأشخاص والجماعات الحق في التمتع بثقافاتهم الخاصة، وبالثقافات الأخرى المحلية والعالمية، ذلك بأن إقرار الحق في الثقافة يعني:

"حق كل ثقافة لكل أمة أو شعب أو جماعة في الوجود والتطور والتقدم في إطار ديناميتها وخصائصها الداخلية واستقلالها، ودون إهمال العوامل المشتركة ذات البعد الإنساني وقيم التعايش والتفاعل بين الأمم والشعوب والجماعات[2]."

فالتنكر لكل تنوع تزخر به أي أمة من الأمم قد يجلب لها المشاكل والفوضى وحتى الإنقسامات، وهذا ما دفع بالأمم المتحدة لسن قوانين تحمي الأقليات وقوانين تحمي الإرث الثقافي الذي يعتبر عالميا، وليس وطنيا فقط، لأنه من حق كل مواطن معرفة والإطلاع على ثقافات الشعوب المختلفة ومن بين هذه القوانين:"إعلان حقوق الأشخاص المنتمين إلى أقليات قومية أو إثنية أو دينية أو لغوية".الذي اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتهاال27 برقم:135،ديسمبر:1992 والذي عرف باسم:"إعلان حقوق الأقليات "ويسمح للأمم المتحدة بالتدخل في حالة إنتهاك حقوق الأقليات، لهذا فالثمن للتنكر للتنوع الثقافي والديني والإثني:يؤدي لتفكيك الدولة الوطنية والأمن الوطني ووسيلة للتدخل في الشأن الداخلي، وفي الحروب والنزاعات الأهلية بدلا من توظيفه بالإتجاه الصحيح، باعتباره مصدر غنى، وتفاعل حضاري، وتواصل إنساني وقبل كل شيء باعتباره حقا إنسانيا[3]!."

---

[1]–شعبان عبد الحسين، الهوية والمواطنة البدائل الملتبسة والحداثة المتعثرة، بيروت، لبنان، طبعة الأولى،2017، ص:66.

[2]–المرجع نفسه: ص67.

[3]–المرجع نفسه: ص68.

وما يلاحظ في مختلف بلدان العالم والتي أنكرت هذا الحق وقوع مجازر في حق الأقليات والقوميات الأخرى، والتي لا تشكل الأغلبية لهذا كان من المهم المحافظة على التنوع الذي تزخر به هذه البلدان والمحافظة عليه للعيش المشترك بسلام ووئام.

2.التنوع الثقافي وأثره على الوحدة الوطنية عند مولود قاسم:

هناك من يعتقد أن مولود قاسم ينفي التعددية الثقافية لأجل الحفاظ على وحدة الأمة الجزائرية، ولأجل إقامة دولة وطنية حديثة تجمعها عناصر التكامل في مقوماتها وهي التي أشرنا إليها سابقا:(لغة عربية، دين إسلامي وتاريخ مشترك وحب للوطن)، وفي خصوص الأمة الإسلامية فمولود قاسم يعتبرها الجامعة لكل شعوب المنطقة على إختلاف أصولهم وثقافاتهم فقد وحد بينهم أيضا الدين، اللغة والتاريخ،"بحيث يعتبر مولود قاسم التعددية اللغوية لها جانب سلبي وهو ضياع الوحدة الوطنية، وبالتالي تهميش اللغة والثقافة البربرية.[1]"

كما أنه له نظرة أخرى فيما يخص الجامعة العربية التي كان يعارضها، ولا يرى بأنها تمثل شعوب المنطقة عكس رابطة الدول الإسلامية والتي كان يدعوا إليها وينافح عنها. فالإسلام أعم من العروبة، لكن الأولوية والتي يجب أن تجمع بينهم هي اللغة العربية لأنها قد صهرت في بوتقتها جميع شعوب المنطقة، وهو ما نسميه بالوحدة اللغوية ووحدة الدين والتاريخ المشترك.

وقد سئل الدكتور أحمد بن نعمان عن سر إهتمام مولود قاسم وإعتنائه باللغة العربية، وأنه كان يدافع عليها بل ويدافع عن أية لغة وطنية حتى لو حلت محل اللغة العربية، قال:"إن مولود قاسم كان جزائريا وكفى وكان يدافع عن اللغة الوطنية، ومعنى هذا الكلام أنه لو اختيرت لغة أخرى لتكون لغة وطنية لدافع عنها مولود قاسم، لكن لم أجد في تصريحات

[1]–فارس خيرة، التأصيل الثقافي لدى مولود قاسم نايت بلقاسم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه: ل.م.د، شعبة الفلسفة، جامعة مستغانم،2017 /2018، ص:158.

مولود قاسم ما يشير إلى هذا، بل بالعكس كان دائما يدافع عن اللغة العربية التي قال عنها أكثر من مرة إنها لغة قادت العالم من قبل[1]".

وأعرب عن أمله بل عمل من أجل أن تعود اللغة العربية إلى القمة، وفي الواقع قلما نجد واحد من دعاة التعريب قام بجهود تتفوق على جهود مولود قاسم، بل كل أعماله تدل على أن الرجل كان مقتنعا بما يقول ويفعل، ومن أهم أعماله في هذا المجال":بجاية الإسلام علمت أوروبا الرياضيات بلغة العروبة وهو عمل أثبت فيه أن اللغة العربية قادرة على استيعاب كل العلوم[2]".

وقد جر عليه إهتمامه باللغة العربية إنتقادات كثيرة في هذا المجال وأنه همش غيرها من لغات ولهجات، وحتى في تاريخ الجزائر فقد انتقد لإهتمامه بأصول الجزائر الأمازيغية وبأبطالها فمثلا:لما صدرت مجلة الأصالة في أول عدد لها فقد وضع في صورة الغلاف الملك الأمازيغي يوغرطة وهو ما عرضه لإنتقادات الرئاسة.

فرغم أهمية الهوية (اللغة، الدين، التاريخ وحب الوطن) لكن هناك أوطان قام فيها التنوع الثقافي واختلاف اللهجات، بل وحتى الأعراق والديانات، وحققت المواطنة بين مختلف عناصر مواطنيها، فالمواطنة اليوم لم تعد هوية تجمع بين مختلف مواطني الدولة بل هي حقوق وواجبات تلتزم بها وتؤديها، فهناك المواطنة الإقليمية التي تجمع بين عدة شعوب رغم اختلافهم التاريخي، الديني واللغوي: مثل دول أوروبا، كما أن هناك المواطنة العالمية التي تجمع بين أفراد المعمورة.

3.علاقة التنوع الثقافي بالمواطنة تضاد أم إحتواء:

يعد التنوع الثقافي ميزة من ميزات الإرث الإنساني لكل مجموعة من البشر والأمم والذي يعود بالثراء والغنى المادي والمعنوي لهذه الأمم والشعوب فكما أن المواطنة هي

---

[1]–مريم سيد علي مبارك، مثقفون خلال الثورة، مرجع سابق، ص201.

[2]– المرجع نفسه، ص201

شعور وإنتماء، فكذلك الإرث الثقافي بشقيه المادي والمعنوي هو شعور وإحساس بهذه القيم والموروثات لكل شعوب المعمورة من أقليات وإثنيات مختلفة الأنواع ومتعددة الأعراق.

4.التنوع الثقافي وجدلية الأنا والآخر:

لم يظهر مصطلح الأنا والآخر والعلاقة بينهما إلا في العصر الحديث، وخصوصا بعد الحرب العالمية الثانية من خلال الفلسفات الوجودية، ولكن هذا لايعني عدم وجوده في العصور السابقة، فقد كان للمتصوفة سابقا إهتمام بالذات الإنسانية وعلاقتها بالآخر سواءا كان هذا الآخر هو الإله أو الإنسان، والعلاقة بين مختلف الإنسان وغيره من المخلوقات حتى أن هناك من رأى أن الآخر هو نفسه الأنا، مهما كان وهذا ما يعبر عنه بوحدة الوجود أو بالحلول عند بعض المتصوفة فلا فرق بينهما فكل ما في الوجود متحد ويعبر عن شيء واحد وهو الخالق، وهناك من يرى بأن الآخر يمكن أن يحل في الذات، فيتحد أحدهما بالآخر، فما علاقة الأنا بالآخر عند مولود قاسم؟ وما أهمية هذا الإهتمام في الفلسفات الوجودية؟

وهل يمكن للتنوع والإختلاف بين الأنا والآخر أن يتحول إلى صراع وتضاد؟

5.الأنـــــا:

تربط معظم التعريفات بين الفعل والمسؤولية في تحمل عواقب هذه الأفعال عند الإنسان المقتدر والذي يقوم بأفعاله بكل وعي وإرادة فهي إذا:

"مفهوم فلسفي يدل على ذات الأفعال المتعمدة أي الأفعال التي تأخذها الشخصية بالحسبان وتتحمل مسؤليتها[1]".

[1]–مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى،2009 م، ص:103.

6.جدلية الأنا والآخر عند مولود قاسم:

للمحافظة على التنوع وأهمية قبول الرأي الآخر وقبول التعدد، يذهب مولود قاسم إلى أن الإسلام الوسطي والهوية جزء أساسي ومهم للقبول بالآخر، وعدم التعصب وذا أهمية كبيرة في المجتمع الواحد الذي تربط بين أفراده هوية واحدة، رغم إختلاف الأعراق والثقافات وحتى اللهجات، لهذا إهتم مولود قاسم بعقد مؤتمرات الفكر الإسلامي للتعريف به، ونشر الوسطية كما كان يدعوا كل من يدعوا للإسلام الوسطي، وحتى الديانات التي تعترف بالإسلام وتقبل بالآخر، فقد كان رحمه الله يدعوا جميع المفكرين مهما اختلفت توجهاتهم ومشاربهم للمشاركة في هذه المؤتمرات، فبعد أن كانت الجزائر تعيش تحت ظل الإستعمار الذي لا يعترف بالآخر، وحاول كل ما في وسعه لإدماج الشعب الجزائري وجعله ممسوخا عن هويته، وهو ما عبر عنه مولود قاسم بالنسخ، المسخ والفسخ، وهو ما واجهه الشعب الجزائري بكل حزم، جزم وعزم، وما قول ابن باديس الشهير ببعيد عن الأمة والشعب الجزائري "بأن الأمة التي أنجبتها العرب لا تستطيع، ولن تستطيع أن تمسخها الأيام، ونوائب الأيام[1]".

فعلى الشعب الجزائري اليوم أن يقبل بالآخر مهما اختلف معه في الدين أو الثقافة، وحتى يتحقق هذا القبول عليهم التمسك بهويتهم التي تدعوا للإعتدال والوسطية من خلال الدين الإسلامي الذي يمثله المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية، وهو مذهب وسطي معتدل في كل مراحله، والذي تشبث به سكان المغرب العربي، الذين تميزوا بالتعايش مع مختلف الأعراق والمذاهب والملل ولم يظهر التعصب عليهم طيلة فترات بقائهم أو إقترابهم من الحكم، وفيما يخص اللغة العربية فمن بين أهم ما تميزت به هو غناها اللغوي وتنوعها الجذري والذي ساعد في بقاءها هو القرآن الكريم الذي يبقى خالد ما بقي الزمان، فهو مكتوب بها وحافظ لها، ولم يستطع الإستعمار الفرنسي طيلة بقاءه قرن ونصف من الزمن

---

[1]–عبد المالك مرتاض، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثر والتأثير، دار الحداثة بالتعاون مع المطبوعات الجامعية، الجزائر، طبعة، أولى، سنة:1982م، ص:12

محوها رغم محاولاته إدخال اللغة العامية كلغة أساسية، وخلطها باللغة الفرنسية، ومنع تعليم اللغة العربية بكل الوسائل المتاحة، أما الآخر:الذي هو الإستعمار الفرنسي والذي لم يعترف بكفاح الشعب الجزائري وبحقه في أرضه رغم مالديه من تاريخ قديم ومشرف، ليس وليد اللحظة وفقط، بل هو شعب حر تميز بالكفاح والثورة طيلة فترات وجوده ولم يتحول في لحظة عابرة لشعب يطالب بالمقاومة، أوكطفل لقيط من دون هوية كما كان يروج له الإستعمار، وكل من كان يسير في دربه.

أما الأنا في تعبير مولود قاسم والتي تطرقنا إليها مرارا، لا بأس بالتعريج علها ثانية لتوضيح موقفه من الآخر وعلاقته به، ولتوضيح ذلك:فالأنا هو **الإنية** وهي أكثر دلالة من الأنا حسب تعبير إبن سينا في الإشارات والتنبيهات لإثبات وجود النفس وخلودها، متميزة عن الجسم مستقلة عنه، وهو ما كان يطلق عليه بالرجل المعلق في الهواء بين السماء والأرض، ورغم ذلك تحس بذاتك وإنيتك المتميزة، وقد إستخدمها مولود قاسم في إثبات إنية وذات الشعب الجزائري والذي برغم محاولات فصله عن تاريخه، هويته وإنيته، إلا أنه يحس بوجوده وإنتمائه، ويعتز بذلك مقابل الآخر والذي هو الإستعمار الفرنسي: الذي لم يعترف بذاتية الشعب الجزائري ولا بهويته، وحاول قدر المستطاع تكوين شعب جاهل لا يقرأ ولا يكتب ولا يحسن لغته الأم التي هي اللغة العربية، حتى وصل معدل الأمية والجهل في أوساط الشعب لمستويات قياسية، بعد أن كان معظم الشعب الجزائري متعلما، يحسن القراءة والكتابة حسب أقوال مختلف علماء الأنتربولوجيا، والتاريخ يشهد بذلك فهؤلاء الرحالة الألمان يشهدون بذلك في مختلف كتبهم ومقالاتهم في تلك الفترة ومن بين هؤلاء الذين دخلوا الجزائر مباشرة بعد الإستعمار الفرنسي الرحالة الألماني **جورج فيلهام شيمبر** الذي قال عند زيارته للجزائر سنة 1831م:" لقد بحثت قصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، غير أني لم أعثر عليه في حين أني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا[1]".

[1]–جورج فيلهم شيمبر، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان:1830/1855م، نقله:أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1975، ص:13.

ولقد حافظت الزوايا ومدارس القرآن الكريم، التي قاومت كل محاولات التضييق والجهل التي مارسها الإستعمار الفرنسي، بالمحافظة على اللغة العربية من خلال حفظ كتاب الله وتدارسه، لهذا نرى تركيز مولود قاسم على أهمية اللغة العربية وتعلمها لأهميتها ولدورها الفعال في المحافظة على هوية الشعب الجزائري وثقافته المتنوعة.

فالإنية ممتدة عبر تاريخ طويل ومستمر منذ حقب زمنية طويلة، وليست حديثة، حتى أنه يعبر أحيانا عنها بالذات التاريخية، يشبهها هذا التشبيه لما له من بلاغة فائقة في إستحضار التاريخ وكأنه شخص تراه، ومن كثرة محاولاته لإثباتها: فقد ألف كتابه المهم (شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل: 1830م)وكذلك:(الإنية والأصالة)، فيتكلم مولود عن هذه الإنية والذات التاريخية والتي هي شعور الانسان أو اقتناعه العميق بانتسابه إلى مجموعة بشرية هي أمته، وإلى أديم هي بلاده، وتشبعه بتصورات ومفاهيم وأفكار إنحدرت إليه من الأسلاف في أعماق التاريخ، ويبلغها إلى الأجيال عبر مر الزمن:"إذ أن الأصالة ليست الإنغلاق والتجمد، بل هي بقاء الإنسان هو هو مع الإستفادة من إحتكاكه بالغير، ومسايرته الركب الإنساني فيما ينسجم مع عناصر ذاتيته، ويتناغم مع مكونات شخصيته، إذ بتميزه ذلك فقط يكون عنصرا يقدم مساهمته للفكر الإنساني والحضارة العالمية، وبدونه لا يثريهما بشيء، بل يعيش على حسابهما عالة، يثقل الركب، ولا يقدم للإنسانية قيد شبر"[1].

7.الأنا والأخر في الفكر الغربي الحديث:

يعد التعدد والتنوع بكل أنوعه الثقافية، المذهبية والإثنية معطى تاريخي عند مختلف المجتمعات البشرية، وليس وليد الدولة، أو الدولة الأمة الحديثة، فما الفرق بينهما وما أهمية المواطنة في تنمية الحس للإنتماء لمجموعات إثنية؟ وهل الديمقراطية توطد عناصر المواطنة في المجتمعات الإثنية في مقابل المجموعات الأكبر منها؟

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، مصدر سابق، ص:10.

للإجابة عن أهمية التنوع في المجتمعات الديمقراطية علينا معرفة أهم مضامينه للتعايش السلمي بين افراد المجتمع الواحد، حتى لا تنتشر ما يسمى بالعنصرية والتعصب، وهو ما يؤدي للزعزعة وعدم الاستقرار في الدول، وهوما يلاحظ في كل المجتمعات عبر مراحل التاريخ المختلفة وسبب من أسباب الحروب وربما يؤدي حتى لتقسيم هذه الدول.

1.7.الإعتراف بالآخر في المجتمعات الغربية:

لهذا يعتبر الإعتراف وقبول الآخر مبدأ مهم للتعايش داخل المجتمع الواحد المتنوع الأعراق والمذاهب في الجتمعات الغربية، ومن بين من إهتم بهذا الأمر **شارلز طايلور**:

"من خلال مبدأ هوية واحدة ترتبط إرتباطا وثيقا بأشكال الإعتراف، وهو ليس مجرد مجاملة في التعامل معه، ولكنه أساس حاجة إنسانية حيوية[1]".

فقد إعتبره مبدأ هام لتحقيق التعايش، فمن دون الإعتراف بالآخر لا يستطيع الإنسان معرفة ذاته، وعلاقتها بالغير في مجتمع متنوع ومتعدد الأعراق والإثنيات.

لكن هناك أيضا مشكل آخر يواجه التعدد والتنوع ليس فقط قضية الإعتراف وإنما أيضا المشكل بين الدولة، والدولة الأمة، فيما يخص حقوق الأقليات والأعراق المختلفة ففي المجتمعات الديمقراطية الأغلبية من تمثل الشعب فكيف يكون وضع الأقليات والمجموعات الإثنية المختلفة على الخارطة الديمقراطية؟ وكيف يكون تمثيلها إذ لو تقدمت بممثل ما فإن تمثيلها سيكون ضعيفا، لهذا كانت المواطنة هي الحل والذي تجمع في طياتها كل العناصر المختلفة من مكونات الشعب الواحد، وقد ظهر في العصر الحديث هوية متعددة القوميات والتي لا تعترف بالحدود الجغرافيا مع العولمة الحديثة والتطور التكنولوجي المهول الذي يشهده عصرنا الحالي عكس ما كان سابقا من هوية أو هويات متعددة، لكنها قلما تتجاوز الحدود وإن حدث ذلك فقد يطول ويكون بسبب القوافل التجارية أو الحروب في التعرف

[1]- باتريك سافيدان، الدولة والتعدد الثقافي، ترجمة:المصطفى الحسوني، دار توبقال للنشر، دار البيضاء، المغرب، طبعة:1، ص:27

على الآخر ونقل الثقافات والأفكار المختلفة أما اليوم فأصبح الأمر سريع وبسيطا يمكن أن ينتقل في لحظة إلى كافة أصقاع المعمورة حتى ان بعض الثقافات أصبحت مسيطرة على غيرها لإمتلاكها القوة وتكنولوجيا العصر.

وقد يحدث ويستغل التعدد استغلالا سياسيا، فهناك من الطوائف والأقليات من يقحمه لإثارة النعرات والعصبية للعرق والإثنية، والتفريق بين مكونات الشعب الواحد، لهذا فقد تأسست مذاهب وجمعيات للمحافظة على التنوع والإفتخار به وجعله مكون من مكونات الدولة لا عنصر هدم أو تفريق، ومن بين أهم المذاهب التي نشأت نجد مذهب التعدد الثقافي الذي ظهر في أواخر القرن العشرين من خلال تقوية الديمقراطية وظهور الليبرالية كمذهب جديد يعطي حقوق أكثر وحريات للأفراد والجماعات.

فكل إنكار وإقصاء للآخر سينجم عنه آثارا لا تحمد عقباها، وخير مثال عن ذلك ما حدث في الجزائر أواخر الثمانينات وأحداث 1988م ليست ببعيدة، وكذلك ما يحدث في الدول من نزاعات وحروب تبدأ شرارتها من عدم الإعتراف بالآخر، وعدم إعطائه حقوقه وسلبه إياها.

2.7.المساواة بين الأنا والآخر:

أهم شيء تنبني عليه الديمقراطية الحديثة:هو مبدأ تكافؤ الفرص، المساواة في الحقوق والواجبات بين مختلف مكونات الشعب الواحد، على إختلاف مكوناتهم وأصنافهم، فهم سواسية كأسنان المشط بصفتهم وإنتمائهم الإنساني، فلا فضل لأحد على الآخر إلا بالعمل والجهد الذي يبذله، وما يؤديه لصالح دولته وأمته، لهذا فالمجتمع الديمقراطي الحديث مبني على أسس المواطنة بين مختلف مكونات الشعب على إختلافهم وتنوع أعراقهم ومشاربهم:

"المجتمع الذي تطورت في دواخله تجربة جديدة للآخر، والتي تقوم بدورها على إعادة تمثل عميق للفكر الإنساني الذي يتجسد عبر تجريد الإختلافات[1]".

[1] –باتريك سافيدان، الدولة والتعدد الثقافي، ترجمة: المصطفى الحسوني، مرجع سابق، ص:21.

عكس ماكان عليه سابقا في التراتبية الأرستقراطية، والتي لم تكن فيها المساواة والعدل، بل كانت مبنية على الطبقية المقيتة، وبسببها قام الشعب على الأرستقراطية والظلم والإستبداد، ولهذا قام التحول في المجتمع الغربي ضد إقصاء الآخر، وإقرار مبدأ المساواة كمبدأ من مبادئ الديمقراطية:"فجميع المواطنين يجب أن يكونوا سواء[1]"، وهو أيضا أساس من أسس المواطنة الحديثة.

3.7.التسامح مع الآخر:

بعد الحرب العالمية الأولى والثانية، ونظرا للدمار الكبير الذي عاشته البشرية كان لا بد من إرساء نظام يتقبل فيه كل طرف الطرف الآخر، حتى تعيش البشرية من دون حروب وتقل النزاعات والصراعات، وأيضا نتيجة للتطور الصناعي الذي عرفته الدول الأوروبية، والذي تطور بسبب الإهتمام بالكفاءات، فالعامل البسيط من الطبقة العامة يعمل ويكد، وربما يكون مخترعا أفضل من الأرستقراطي المدلل والذي لا تستفيد منه الدولة شيئا، لهذا كما قلنا سابقا كان لابد من مبدأ المساواة بغض النظر عن الدين، المذهب أو العرق، والذي أصبح من دون جدوى في الدول العلمانية الأوروبية، فظهرت العلمانية في أوروبا نتيجة ماحدث من تحكم الكنيسة في كل مفاصل الحياة، غير أن العلمانية في الدول العربية والإسلامية تختلف في مضمونها وسبب نشأتها عن العلمانية الأوروبية فلم يكن الدين الإسلامي يوما محاربا للعلم ولا للعلماء، عكس الكنسية كما كانت تحارب العلم والعلماء، وما محاكم التفتيش منا ببعيد عكس الإسلام الذي شجع على التفكير الحر وأمر بالإجتهاد والعلم.

فها هو فولتير الذي عانى كثيرا من السطة الكهنوية والأرستقراطية، يدعوا للتسامح ولحرية الرأي والفكر، ومن أروع ما كتبه نجد رسالته في التسامح التي نشرها عام 1763م يدعوا

[1]–مصطفى النشار،الحرية والديمقراطية والمواطنة، مرجع سابق، ص:51

فيها إلى نبذ الطائفية والتعصب الذي شهدته فرنسا بعد إعدام جان كلاس وذلك للتحرر من العنف والشعور بالرحمة اتجاه الآخر.

ويرى بأن "التسامح لم يكن ليتسبب قط في إثارة الفتن والحروب الأهلية، في حين أن عدم التسامح قد عمم المذابح على وجه الأرض، فلنحكم الآن بين تلك الغريمتين، بين الأم التي تود أن يذبح إبنها، والام التي تتخلى عنه كي يبقى على قيد الحياة[1]".

فكان لابد من مبدأ للتسامح في المجتمع الغربي حتى يكون إنفتاح جديد للمستقبل، ومن هنا نجد كل دساتير الدول الغربية تنص عليه وعلى التعاون، فنجد الحرية والعدالة والمساواة كشعار للدولة الفرنسية، وكل هذه المبادئ مبنية على التسامح والعفو، عن ما حدث من مجازر وتقتيل في العصور السابقة في كل من يحاول تعليم الناس أو إنارة دربهم، ومبدأ التسامح ليس مجرد شعار بالعفو والصفح عن الآخر الذي أخطأ في حقك سابقا، وإن أصبحت مقتدرا تستطيع معاقبته فلن تعاقبه بل بالعفو والصفح تستمر وترتقي الأمم، وهو مبدأ إجتماعي سياسي يمنع من تجاوز وتعدي الآخرين على بعضهم البعض، حتى أنه يمنع من تجاوز السلطات على بعضها البعض في الدول الديمقراطية التي تكون فيها السيادة للشعب، وتستقل كل سلطة تشريعية عن الأخرى، فلا مجال للمحسوبية ولا للظلم، فالتسامح هو القبول بوجود الآخر كشريك في الوطن رغم الإختلافات في الرأي، والتنوع العرقي، المذهبي والثقافي، والذي يجمع بينهم وطن واحد، فالإختلاف لا يفسد للود قضية ولا يعكر الأخوة، لهذا فمبدأ التسامح هو تقبل للآخر، التعايش معه ، إحتوائه وقبوله كما هو عليه.

كما أن التعصب منذ القدم وحتى وقتنا الحالي كان سبب من أسباب عدم التعايش وهو ما يهدد كيانات الوطن الواحد ويدعوا للفوضى وعدم الاستقرار:"إن الحق في التعصب حق

[1]–فولتير، رسالة في التسامح، ترجمة: هنرييت عبودي، دار بترا للنشر وتوزيع، سوريا طبعة: أولى، بتاريخ:2009، ص:39.

عبثي وهمجي إذا، إنه حق النمور وإن فاقه بشاعة، فالنمور لا تمزق بأنيابها إلا لتأكل أما نحن فقد أفنينا بعضنا من أجل مقاطع وردت في هذا النص أو ذاك[1]".

وأن التعصب المذهبي هو أشد أنواع التعصب والذي يؤدي للتفكك وعدم الاستقرار وبسببه عانت أوروبا لقرون طويلة من الحروب والنزاعات حتى أنه السؤال الذي كان يطرح:هل التعصب قانون طبيعي وقانون إنساني؟

حتى أنه من هذا المبدأ، أصبح الإنسان يفرض رأيه على الآخر:آمن بما أؤمن به أنا، وبما لا تؤمن به أنت، وإلا كان مصيرك الهلاك..وإلا بغضتك..وما دمت لاتؤمن بديني، أيها المسخ، فلا دين لك إذا ومحكوم عليك بالتالي بالكره من جيرانك، مدينتك، من مقاطعتك[2]."

هذا ما قاله فولتير قبل ثلاث قرون عن التعصب وأهمية التسامح ولو أخذنا العبرة مما سسبه التعصب من كوارث على أوربا لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم فما زالت آثاره تعود علينا بالوبال وعن أهميه التسامح في التعايش وبناء الأوطان لا ينكرها إلا جاهل بالتاريخ، لهذا فأهم مبدأ بعد الإعتراف بالآخر هو عدم التعصب لمذهب أو التعصب الديني والذي دعى الإسلام لنبذه منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا في قوله تعالى: لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ "[3].

دعى الإسلام لعدم إكراه الغير للدخول إليه عنوة، فديننا دين التسامح، والإسلام هو السلام العالمي الذي لا يفرق بين البشرية أو يتعصب لدين أو عرق على حساب الآخر، فالتميز يكون حسب العمل والتقوى لا حسب العرق والجاه.

---

[1]– فولتير، رسالة في التسامح، ص:48.

[2]– المرجع نفسه، ص:47.

[3]–سورة البقرة، الآية: 256.

وفي مسألة التعصب والتسامح نجد مولود قاسم يشدد دائما على الوسطية التي يتميز بها الدين الإسلامي الذي هو مبدأ من مبادئ الهوية، كما أنه يتميز بالإعتدال والوسطية، وليس بالتعصب ونفي الآخر، كما هو موجود لدى الغرب، ومازالوا يعالجون نتائجه وتراكماته حتى وقتنا الحالي، بعد أن حاولوا تهميش الآخر من خلال الإستعمار بمختلف أنواعه، أما الإنية فيجب المحافظة عليها، لأن ببقائها يستمر بقائنا، يتميز وجودنا عن الآخر، والذي برغم محاولات النسخ، المسخ والفسخ لم ينجح في ذلك، ولم ينجح أبدا لأننا متمسكين بروحنا وإنيتنا مثل: الرجل المعلق بين السماء والأرض ومتشبثين بها، نحس بذاتنا ومتميزين بلغتنا التي تجمع بيننا، وكذلك دين الإسلام الوسطي، عكس ماكان يعانيه الآخر من تسلط أدعياء الدين والكهنوت على مفاصل الدنيا والآخرة، فديننا دين روح وحضارة، وكذلك من خلال اشتراكنا في تاريخ يجمعنا، من خلال ما قاسيناه من نيران الإستعمار قديما وحديثا، وهو ما جعلنا أمام تحديات نحو هذا الوطن والذي حبه يجمعنا ولا يقرقنا.

الفصل الرابع:

مسألة الانتماء والمواطنة في الخطاب الفكري الجزائري المعاصر

المبحث الأول: جمعية العلماء المسلمين

المبحث الثاني: مالك ابن نبي

المبحث الثالث: محمد أركون والنقد المزدوج

المبحث الأول: جمعية العلماء المسلمين:

تمهيـــــــد:

لمعرفة الدور الهام الذي لعبته جمعية العلماء المسلمين في المحافظة على الوطن والدفاع عنه، علينا على الأقل الإطلاع على وجهة نظر بعض أعضائها كالشيخ عبد الحميد ابن باديس والذي يعد من مؤسسيها، ورأيه في الوطن والتربية هذه الأخيرة التي يرى أنها الأساس في بناء جيل يكون على عاتقه المحافظة على الوطن، وقد تميز الشيخ ابن باديس بالشعور الوطني والحماس المنقطع النظير الذي لا يتوفر في أمثاله إلا للقلة القليل، ومبادئه في الإصلاح والتربية التي اهتم بها حتى تعيد للشعب الجزائري أبعاده الحقيقية في التاريخ الإسلامي.

1.الإصلاح عند جمعية العلماء المسلمين في الجزائر:

يرجع السبب لظهور حركات الإصلاح في الجزائر لعدة عوامل من بينها:

-ظهور حركات الإصلاح في المشرق العربي وخاصة في مصر، وتأثر الجزائريين بهذه الحركات وخاصة حركة محمد عبده الإصلاحية والذي كانت مجلة المنار سفيرته إلى المغرب العربي، وما أحدثته لدى شبابها من توعية فكرية وإصلاح.

-أهمية التدريس والتوعية في الجيل الأول للثورة والذي تشرب بمبادئ العلم والمعرفة من خلال:"الدروس التي كان يلقيها الشيخ عبد الحميد ابن باديس والتي ستعود ثمارها فيما بعد على هذا الجيل الذي فجر ثورة نوفمبر1954م، والتعاليم الحقة التي كان يبثها في نفوسهم الطاهرة والعزائم الصادقة ألسن صقيلة، وأقلام كاتبة، وتلك الكتائب الأولى من تلاميذ عبد الحميد ابن باديس هي طلائع العهد الجديد الزاهر[1]".

وذلك راجع لكون الإصلاح يمشي جنبا بجنب مع التعليم والتدريس، لتنشئة جيل جديد يتشرب بمبادئ التحرر والإنعتاق من العبودية ولا يكون ذلك إلا بالرجوع للأصول.

[1]-جمعية العلماء المسلمين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، دار المعرفة، الجزائر، تاريخ:2008، ص:47

2.أهم الإتجاهات الإصلاحية في تلك الفترة:

أما عن أهم الإتجاهات الإصلاحية فلم يكن خطها على قلب واحد فكل كان يرى الإصلاح بمنظوره الخاص، ولهذا إرتأينا إعطاء نبذة عن هذه الإتجاهات حتى نعرف موقع وموقف الجمعية منهم وما يهمنا هو إتجاه واحد مهم لمعرفة موقف الجمعية منه،والذي سنركز عليه:

1.2.الإتجاه الأول:

العلمانيين واللائكيين، وكانوا يتحكمون في الصحافة والجمعيات، وأهم مطالبهم الإندماج، "واعتمد هؤلاء الشبان الجزائريون على بعض الأحرار من الفرنسيين أمثال بول بورد والبانروزي، وكانت هذه الفئة لا تطالب بمجرد المساواة مع الفرنسيين بل وبالاندماج التام. ثم انقسمت هذه الفئة إلى قسمين:

-القسم الأول:

يطالب بالإندماج التام مع فرنسا والإمتثال للمواطنية الفرنسية دون الإرتباط مع الأحوال الشخصية الإسلامية، ومنهم من كتب قائلا:"الجزائر أرض فرنسية، نحن فرنسيون مع الاحتفاظ بقانون الأحوال الشخصية الإسلامي ... لا يوجد في الكتاب المقدس ما يسع جزائرياً مسلماً من أن تكون جنسيته –فرنسية –... الخ، بل إنه عبر عن الوحدة الوجودية بينه وبين فرنسا فقال:" أنا فرنسا[1]".

-القسم الثاني:

يطالب بالمساواة السياسية فقط، وبالإلتزام بقوانين فرنسا مع الإلتزام بالأحوال الشخصية الإسلامية.

بصفة عامة، فان ظاهرة العلمنة قد أثرت على الشباب في تلك الفترة خاصة ما حدث في تركيا من فصل للدين عن الدولة وعلمنتها، وما كان له صدى لدى معظم حركات الشبابية أنذاك ويقود هذه الحركات ويمثلها مثقفون ومعلمون وطلبة في المدارس الفرنسية وموظفون

---

[1]–عمار طالبي، آثار عبد الحميد ابن باديس، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة السادسة، 2016م، مجلد:1، ص:51،52

لدى الحكومة الفرنسية، وهم في الغالبية من الشباب الجزائري ممن يجيدون اللغة الفرنسية ويستعملونها وسيلة للتعبير والكلام وفي الدفاع عن معتقداتهم وأفكارهم.

وأكثر ما كان يحز في نفس ابن باديس التأثر بلغة المستعمر والكتابات باللغة الفرنسية عن الدين الإسلامي بصفة خاصة، والتي كانت منتشرة في ذلك الوقت مع قلة الكتابة باللغة العربية، لأن التحرر من اللغة أمر صعب في نظر ابن باديس والتي كانت في معظمها متأثرة بلغة المستعمر الفرنسي فيقول:

"أنه يحلو للمستشرق ماسينيون أن يذكر لنا أن اللغة الفرنسية أصبحت أداة للفكر الاسلامي لا في الناحية السياسية فحسب بل وفي الناحية الدينية، ويضرب لنا مثلا بما قام به الأستاذ أحمد ليميش من ترجمة القرآن الكريم الى اللغة الفرنسية ترجمة يحوطها التقديس والشعور الإسلامي الصادق رغم أنها لم تبلغ غايتها من الجودة، كأنه بعد هذا انتصاراً للحضارة الأوروبية[1]".

3.الإصلاح التربوي والتعليمي عند جمعية العلماء المسلمين:

يكمن إهتمام الجمعية بالتربية كما سبق وذكرنا، لأهميتها في تربية جيل متعلم وملتزم أخلاقيا إتجاه وطنه، ويظهر الفرق بين التربية والتعلم، في كونهما صفتان متلازمتان خصوصا لدى المعلم المحنك، والذي يحب الخير لطلبته ويهتم بهم فالأخلاق منها التربية: لا بد منها في سبيل العمل لصالح اللغة، الدين والوطن، والخوف من وقوع أبنائنا في دناءات وأراذل الأخلاق:"فيكفي إننا نريد أن نحيي في نفوس أبنائنا وبناتنا الأداب الإسلامية وكفى[2]".

يرى الفضيل الورتلاني وهو أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين: في أحد خطبه يذكر فيه إمام المؤرخين ابن خلدون الذي عاش في القرن السابع والذي ندب حظ التربية والتعليم، فيحمل حملة شعواء على معلمي عصره فيذكر قوله بصراحة:"إن سلوكهم هو المعطل للمعلم، والمميت للقرائح، والقاضي على المواهب..ثم يذر الفضيل أن هذا الرجل العظيم قد أدى واجب النصيحة في وقته ولكن للأسف لم تلقى في وقتنا آذانا صاغية، وأن

---

[1]–عمار طالبي،آثار عبد الحميد ابن باديس،مجلد:1،ص،53،52،51

[2]–المرجع نفسه، ص:91

الإصلاح لا ينبغي أن يكون قاصرا على المعلم والمتعلم بل إصلاح حالة المعلم والمربي كذلك[1]".

وما نلاحظه تركيز جمعية العلماء المسلمين واهتمامهم بالإصلاح التربوي، عبر إصلاح المعلم والمتعلم، لما لهما من أهمية في نشر الوعي لدى شبابنا، وذلك يظهر مدى الوعي والفترة التي كانت فيها الجمعية، بتركيزها على الأخلاق والهوية من خلال غرسها لدى أبناء الوطن.

وقد كان ابن باديس يرى أن التدريس هو السبيل الأقوم لغرس هذه المقومات في الشباب لهذا كرس كل وقته وحياته في التدريس:

"إلى جانب أفكاره النظرية قام عمليا بتطبيق ما يراه من مناهج الإصلاح وطرق التربية فابتدأ التدريس بقسنطينة منذ أن حل بها سنة 1286هجرية (1869م) مدرساً حرا ثم عين مدرسا بجامع سيدي الكتاني بقسنطينة سنة 1290 هـ (1873م) وبعد ذلك تولى التدريس بالمدرسة الكتانية سنة 1295 هـ 1877م"[2].

ثم نقلته الحكومة الفرنسية الى عاصمة الجزائر في سنة 1898م فدرس في المدرسة الثعالبية، التي تم بناؤها سنة 1903م وابتدأت فيها الدراسة سنة 1905م وقد أعجب الناس بطريقته في التدريس، واشربوا حبه لصدق لهجته، وصفاء سريرته، ولوقع تعاليمه في القلوب التي يخاطبها ويربيها واستطاع بذلك أن ينفذ إلى أرواح الطلبة وأن يؤثر فيهم[3] ".

يظهر اهتمام عبد الحميد ابن باديس جليا في محاولاته الإصلاحية الخاصة بالتربية والتعليم، لأن أساس أي نجاح أو نهضة للأمم يكون بالعلم وضرورة النهضة العلمية، والسبب الرئيسي في النهضة إنما هو العلم وأيضا التربية يقول:"وما كثر الفساد في أمة إلا بعدم تربية الأولاد فإننا نرى الأولاد مهملين يتعلمون الفساد ... وإننا نرى الأمم الحية إنما حصل لها الرقي بتربية أولادهم وتعليمهم العلوم النافعة، والمعرفة المفيدة، فيجب التبصر لمثل هذا،

---

[1]–عبد الحميد شيبان، من وثائق جمعية العلماء المسلمين، ص:101.

[2]– عمار طالبي، آثار عبد الحميد ابن باديس، مجلد:1، ص،23.

[3]–المرجع نفسه: ص:24

وفي الغالب إن إهمال الأولاد من الأمهات الجاهلات أو المتعلمات تعلما ناقصا"، وتحدث الشيخ عن تعليم المرأة وضرورته لأنه أساس التربية، ووضع أصلا في هذا الشأن يعتبر من الأصول العلمية في مناهج التربية والتعليم وهو مبدأ دراسة الأخلاق وعلم النفس(لا بد من دراسة علم الأخلاق وعلم النفس) وتعرض لنقد طرق التعليم في ذلك العهد فقال:

"التعليم القديم غير نافع في زماننا لنقصانه إذ تعليم القرآن وحده على الكيفية المألوفة عندنا بهذه الأقطار لا يفيد المتعلم ولا أباه، فلا بد من معرفة العلوم النافعة في الدين والدنيا، أما اذا إقتصرنا على أحد العلمين ضاع ما يفتقر لذلك العلم المجهول، ولكن أهل زماننا تركوا العلمين معا ولا حول ولا قوة الا بالله، نعم إنه يوجد بعض العلماء ولكن صاروا لقلتهم كالعدم..ولم يغفل المصلح عن جانب مهم من الحياة الإجتماعية وهو خطبة الجمعة فدعا لإصلاحها وأشار إلى الحضارة الإسلامية وتاريخها واستشهد بأقوال الأجانب مما يدل على اطلاعه بدراساتهم"[1].

وبذلك يعد الشيخ عبد الحميد ابن باديس من أهم مؤسسي الجمعية، والذي تتميز شخصيته بتعدد وتنوع في الفكر، وفي مجال التدريس والإصلاح، لذا لايمكن حصرها في مجال واحد أو في ميدان دون ميدان آخر:

"يمكن القول بأن ابن باديس اتخد التربية وسيلة للإصلاح الثقافي والإجتماعي والسياسي لأن الأهداف التربوية عنده تشمل ذلك كله، لقد عالج المصلحون في أوروبا خلال القرن التاسع عشر مشكلة الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، فذهب بعضهم إلى أن السبب في التدهور يرجع الى فقدان الحرية السياسية، وانعدام حق التصويت وهم البرلمانيون، وذهبت طائفة أخرى إلى أنه يرجع إلى العوامل الاقتصادية، واستغلال الإنسان للإنسان وهم الماركسيون، ورأى المفكرون أمثل تولستوي وبركهارت أن السبب في تدهور الرجل الغربي يعود الى الفقر الروحي والخلقي، وفرويد كان يعتقد أن المشكلة تعود إلى المبالغة في كبت

[1]-عمار طالبي، آثار عبد الحميد ابن باديس، مجلد:1، مرجع سابق، ص:20.21.

الغريزة مما ينتج عنه مظاهر شادة، وكل هؤلاء نظروا للمشكلة من جانب واحد، لأن التعليلات الإجتماعية متشابكة متداخلة، ولا ترجع الى عامل واحد."[1]

أما الغاية من تأسيس الجمعية:نترك أحد أعضائها البارزين وهو الشيخ عبد الرحمان شيبان يتكلم عن قانونها الأساسي والسبب في نشأتها:

"بني القانون الأساسي للجمعية من الوجهة التربوية على تربية أبناء المسلمين وبناتهم تربية إسلامية بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم ومن الوجهة التعليمية على تثقيف أفقارهم بالعلم باللسانين العربي والفرنسي وتعليم الصنائع."[2]

وما يلاحظ بالنسبة لقانون الجمعية إهتمامها بالتربية لأنها عنصر فعال في تنمية شباب يكون همه المحافظة على الوطن والدفاع عنه، وكذلك بتركيز الشيخ عبد الحميد ابن باديس على مقومات الهوية، والتي ذكرنا في إشارة مولود قاسم دائما إليها وهي:الدين، اللغة وشخصية الأمة.

كما أن موقف جمعية العلماء من التعليم والإهتمام به لا يختلف عليه إثنان، فهو أهم ما ميزها ويعد ركنا مهما قامت عليه وذلك بما سعت إليه من إحداث:"مكاتب حرة للتعليم المكتبي للصغار، وبتنظيم دروس في الوعظ والإرشاد الديني في المساجد، وبتنظيم محاضرات في التهذيب وشؤون الحياة العامة في النوادي..وإلى إصلاح أساليب التعليم، وإلى الإهتمام بالمساجد وتذكر بكتاب الله، تشرحه وتستجلي عبره، وبالصحيح من سنة رسول الله–صلى الله عليه وسلم–تبينها وتنشرها، وبسيرته العملية..ثم سيرة الصحابة وهديهم[3]".

واهتمام الجمعية باللغة العربية لإعتقادها الراسخ أنه لا قيام لأمة لا تتكلم بلسانها، ولكونها لغة القرآن الكريم الذي اهتمت به تعليما وتحفيظا لأبنائها بنشر:

---

[1]– عمار طالبي، آثار عبد الحميد ابن باديس، مجلد:1، مرجع سابق، ص:99

[2]–عبد الحميد شيبان، من وثائق جمعية العلماء المسلمين، دار المعرفة، الجزائر، بتاريخ:2008، ص:82.

[3]– جمعية العلماء المسلمين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، مرجع سابق، ص62

"فضائله وتحبيبه لأنفسهم وذلك إلا لغاية واحدة وهو إنشاء جيل قرآني يتقن حفظه وأداءه، ويحسن فهمه والعمل به ويتخلق بأخلاقه ويتربى على هديه، ثم ينشر بواسطة دين الله في أرض الله[1]".

وحتى تعليم الكبار لم تغفل الجمعية عنه برفع الأمية عنهم وهو أمر مهم فإنها "ستشن غارة شعواء، وإن مقاصدها في محاربة الأمية جليلة وهو أهم فرع من فروع التعليم في نظرها[2]".

"إن النظرية الجزئية تكون دائما عقبة في سبيل الإصلاح، وما يصدق على الأسباب يصدق على أنواع العلاج التي يمكن لنا أن تعالج أمراض الإنسان الحديث، فاذا قررنا أن سبب المرض عامل اقتصادي، أو روحي، أو نفسي، فإن العلاج ينحصر في تلك الناحية المعينة، وأما اذا نظرنا نظرة متكاملة، وقررنا أن للظواهر المرضية نواحي متعددة، وأسباب متنوعة، فإن الإصلاح يتناول ميادين التوجيه الأخلاقي، والاقتصادي، والثقافي، والسياسي، والصناعي، أما الإنصراف إلى إصلاح حالة واحدة فإنه لا يؤدي إلى نتيجة، بل يؤدي إلى الهدم والتخريب، فالإصلاح الإقتصادي دون تكوين الضمير الديني والخلقي، يؤدي إلى كوارث، وقد ذهب إلى هذا الرأي الأستاذ إريك فروم : في كتابه المجتمع السليم[3]."

4.الإصلاح الاجتماعي عند جمعية العلماء المسلمين:

يرى معظم المصلحين المسلمين المحدثين والمعاصرين، أمثال محمد بن عبد الوهاب وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ومحمد إقبال و ابن باديس فإنهم يرون أن التدهور الإجتماعي راجع إلى عدم تطبيق الإسلام، والى انفصال الإنسان المسلم عن الحقيقة القرآنية، ومعنى ذلك أن السبب ليس واحداً بل هو مجموعة عوامل وأسباب، لأن الحقيقة القرآنية، حقيقة متكاملة تشمل الحياة الأخلاقية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية، أو ما يعبر عنه بالدين والدولة أو الدنيا، وليس الإسلام كالمسيحية التي إهتمت إهتماماً بالغاً بالإصلاح

---

[1]–جمعية العلماء المسلمين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، مرجع سابق، ص:63

[2]–المرجع نفسه، ص63.

[3]–عمار طالبي، آثار عبد الحميد ابن باديس، مجلد:1، مرجع سابق، ص:100.

الروحي، وأهملت النظام الاجتماعي، وهو ما أراد بعض الناس أن يطبقه على الإسلام أيضا.

كما يرى الشيخ عبد الحميد ابن باديس أن الإصلاح الإجتماعي يقوم على أساس أن الأخلاق تنبع من الداخل، وأن الوسيلة المهمة في إصلاح المجتمعات هو تطهير القلوب، وتغيير النفوس وهذا يؤدي إلى تغيير المؤسسات الإجتماعية، يقول إبن باديس:إن الذي نوجه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا، وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد، وتقويم الأخلاق، فالباطن أساس الظاهر[1]".

وقد وقفت الجمعية وقفة حازمة لمحاربة جميع الرذائل الإجتماعية المتفشية في الأمة بالتحسيس والتوعية تارة، وبالتذكير تارة أخرى، خاصة:الرذائل المتفشية من خمر وفجور، ومسارعة في الإيمان الفاجرة، وترك الصلاة، وشهادة الزور موقف الخصم الجبار، وحملت عليها، ومازالت تحمل حملات صادقة شكرها لها المنصفون، وإن قلل من شانها المعسفون[2]".

"الوطن والوطنية (الحق فوق كل واحد والوطن قبل كل شيء):

جعلهما الشيخ ابن باديس عنوانا توج به جريدة(المنتقد)الشهيدة وجعلها عنوانا مهما، وشعاراً لها تحمله في رأس كل عدد منها، هذا أيام كانت كلمة الوطن والوطنية كلمة إجرامية لا يستطيع أحد أن ينطق بها، وقليل جداً من يشعر بمعناها، وإن كان ذلك المعنى دفينا في كوامن النفوس ككل غريزة من غرائزها، لا سيما في أمة تنسب إلى العروبة وتدين بالإسلام مثل الأمة الجزائرية ذات التاريخ المجيد"[3]".

لهذا فقد حاول ابن باديس رد الأمة لسكتها الحقيقية، وتصحيح المسار من خلال الإصلاح لأنه كان يرى أنه السبيل الوحيد والأساس في ذلك وقد بدأ كما سبقنا وذكرنا بالتدريس من خلال غرس العلوم النافعة، ثم بعد ذلك يأتي الإصلاح والتغيير.

---

[1]–عمار طالبي، آثار عبد الحميد ابن باديس، مجلد:1، مرجع سابق، ص:100

[2]–جمعية العلماء المسلمين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، مرجع سابق، ص71.

[3]–عمار الطالبي، آثار عبد الحميد ابن باديس، مجلد:2، مرجع سابق، ص:366

فبدأ أولاً وقبل كل شيء بحب الوطن وذكر بأهميته، وأنه ليس كلمة تقال بالأفواه، بل هي محبة تترتب عليها آثار تظهر على صاحبها وليست مجرد شعارات:

"أما اليوم وقد صارت كلمة الوطن والوطنية كلمة سهلة على كل لسان وقد يقولها قوم ولا يفقهون معناها، وقد يقولها آخرون بألسنتهم ولا يستطيعون أن ينتسبوا لها في المكتوب من رسمياتهم، ويفزع منها من يتخيلون فيها ما يعرفون في وطنياتهم، وينكرها آخرون زعما منهم أنها ضد إنسانيتهم وعمومياتهم، فكان حقا لقراء(الشهاب) عليها أن تقول لهم كلمة مختصرة نبين بها حقيقة هذه الكلمة وأقسامها وأقسام الناس إزاءها، ومن أي قسم نحن من تلك الأقسام[1]".

وعن محبة الوطن فيشبهه بالبيت الصغير، ومدى أهمية الأسرة في بناء المجتمع الذي يكون بدوره وطن للجميع وهو ضروري لعمارة الأرض ولتحقيق ذلك فهو من أساسيات الوجود:

"من نواميس الحلقة حب الذات للمحافظة على النقاء وفي البقاء عمارة الكون، فكل ما تشعر النفس بالحاجة اليه في بقائها فهو حبيب اليها، فالإنسان من طفولته يحب بيته وأهل بيته لما يرى من حاجته إليهم واستمداد بقائه منهم، وما البيت إلا الوطن الصغير[2]".

وعن أهمية الوطنية وحب الوطن في ترسيخ حب الإجتماع بين مواطنيها وما يلحقهم من التآزر والتكاثف الذي لا بد منه في بناء وطن يحيا فيه الجميع من دون بغضاء ولا شحناء فيقول:

"فإذا تقدم شيئا في سنه اتسع أفق حبه، وأخذت تتسع بقدر ذلك دائرة وطنه، فإذا دخل ميدان الحياة وعرف الذين يماثلونه في ماضيه وحاضره وما ينظر إليه من مستقبله، ووجد فيهم صورته بلسانه ووجدانه وأخلاقه ونوازعه ومنازعه، شعر نحوهم من الحب بمثل ما كان يشعر به لأهل بيته في طفولته ولما فيه–كما تقدم –من غريزة حب الذات وطلب البقاء، وهؤلاء هم أهل وطنه الكبير، ومحبته لهم في العرف العام هي الوطنية"[3].

---

[1]–عمار طالبي، آثار عبد الحميد ابن باديس، مجلد:2، مرجع سابق، ص:366

[2]– المرجع نفسه، مجلد:2، ص:366

[3]–المرجع نفسه، مجلد،2، ص:366،367

وهذا لا يكون إلا بالحب الصحيح، ومعرفة قيمة الوطن الذي يتربى عليه الصغير قبل الكبير، فإذا تربى عليه من صغره، شاب عليه في كبره وعرف قيمته كما كان يعرف قيمة الأسرة في بناء المجتمع، فالأسرة وطن صغير يعلمك حب الوطن الكبير:

"فإذا غدي بالعلم الصحيح، شعر بالحب لكل من يجد فيهم صورته الإنسانية وكانت الأرض كلها وطنا له وهذا هو وطنه الأكبر، هذا ترتيب طبيعي لا طفرة فيه ولا معدل عنه، فلا يعرف ولا يحب الوطن الأكبر إلا من عرف واجب الوطن الكبير، ولا يعرف ولا يحب الوطن الكبير إلا من عرف وأحب الوطن الصغير[1]".

غير أنه قسم الناس في حب الوطن لأربعة أقسام، منهم من لا يهتم لوطنه إلا بما يهم مصلحته الشخصية، وهو أناني في ذلك، وقسم مستعمر لا يهمه أوطان الناس الأخرى إلا بما يعمر وطنه ويفيده وهؤلاء لا يكون الخير فيهم أبدا:

"والناس إزاء هذه الحقيقة أربعة أقسام:

1-قسم لا يعرفون إلا أوطانهم الصغيرة، وهؤلاء هم الأنانيون الذين يعيشون على أممهم كما تعيش الطفيليات على دم غيرها من الحيوان، وهم في الغالب لا يكون منهم خير حتى لأقاربهم وأهل بيتهم.

2-وقسم يعرفون وطنهم الكبير فيعملون في سبيله كل ما يرون فيه خيره ونفعه، ولو بإدخال الضرر والشر على الأوطان الأخرى، بل يعملون دائما على إمتصاص دماء الأمم والتوسع في الملك لا تردهم إلا القوة، وهؤلاء شر وبلاء على غير أممهم بل وعلى أممهم فهم مصيبة على البشرية جمعاء.[2]".

أما القسم الثالث:وهم اللائكيين ومنهم المستعمرون أيضا ومعروف فشلهم في محاربة الأوطان والأديان:

---

[1]-عمار طالبي، آثار عبد الحميد ابن باديس، مجلد:2، مرجع سابق، ص:367.

[2]-المرجع نفسه، ص:367.

3"–وقسم زعموا أنهم لا يعرفون إلا الوطن الأكبر وأنكروا وطنيات الأمم–كما أنكروا أديانها –وعدوها مفرقة بين البشر، وهؤلاء عاكسوا الطبيعة جملة وما عرفته البشرية منذ آلاف السنين ودلائل الفشل على تجربتهم حيث أجروا تجربتهم لا تكاد تخفى[1]".

أما الصنف الأخير وهم الوطنيون ومحبي الأوطان الذين بذلوا كل غال ونفيس في سبيل ذلك وفي أمتهم وما يجدونه من سعادة في سبيل أن تحيا أوطانهم:

"4–وقسم إعترف بهذه الوطنيات كلها ونزلها منازلها غير عادية ولا متعد عليها، ورتبها ترتيبها الطبيعي في تدرجها، كل واحدة منها مبنية على ما قبلها ودعامة لما بعدها، وآمن –هذا القسم–بأن الإنسان يجد صورته وخيره وسعادته في بيته ووطنه الصغير، وكذلك يجدها في أمته ووطنه الكبير، ويجدها في الإنسانية كلها وطنه الأكبر، وهذا الرابع هو الوطنية الإسلامية العادلة إذ هي التي تحافظ على الأسرة بجميع مكنوناتها، وعلى الأمة بجميع مقوماتها، وتحترم الإنسانية في جميع أجناسها وأديانها فهي تخاطب البشرية كلها في جميع أجناسها[2]".

فالوطن حسب ابن باديس يبدأ من الأسرة التي هي وطنه الصغير، ثم تنتقل لوطنه الذي يعيش فيه مكرما يطبق شعائر دينه من دون تضييق ولا إكراه، ويحب للبشرية ما يحب لنفسه، فهذا هو المؤمن الحقيقي الذي يجب أن يكون عليه كل جزائري وكل مسلم حتى يحيا الحياة الطيبة التي يحبها الله ورسوله:

"وهذه هي وطنيتنا معشر المسلمين الجزائريين الأفارقة، ووطنية كل مسلم صادق في إسلامه ووطنيته، وقد أعلناها يوم قلنا على رأس جريدة المنتقد:(الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء) وسرنا على مقتضاها إلى اليوم في كل ما قلنا وكتبنا وسنبقي عليها–ككل مسلم جزائري–حتى نلقى الله إن شاء الله"[3].

---

[1]– عمار طالبي، آثار عبد الحميد ابن باديس، مجلد:2، مرجع سابق، ص:367.

[2]–المرجع نفسه، ص:367.

[3]–المرجع نفسه، ص:368.367.

فالإعتناء بالوطن الصغير يؤدي للإعتناء بالوطن الكبير ومن خان أسرته ولم يعتني بها لا يستطيع أن يكون وطنيا، والتربية والتعليم هي أساس ذلك كله ورأس أمره، ولا يستقيم أي شيء إلا بها، ولا بد في ذلك كله من الإصلاح الديني، فالخرافات والأباطيل والبدع تؤثر على العقل ولا يتحرر إلا بالتحرر منها، هذا بصفة عامة رؤية الجمعية للتربية والإصلاح في المجتمع لتحرير العقل من الخرافات وتنميته بما ينفع المجتمع ويصلح الدين.

5.الإصلاح الديني عند جمعية العلماء المسلمين:

لم تكن جميع الإتجاهات والطوائف، وخاصة الطرق الصوفية على قلب رجل واحد فيما يخص الإصلاح ومحاربة المستعمر الفرنسي، فقد كان بعضها مستفيد من بعض الإمتيازات التي كان يمنحها له الإستعمار ومن بينها:

"الطائفة العليوية التي يرأسها الشيخ أحمد بن عليوه في مستعانم، وهي طائفة متشعبة عن الطريقة الدرقاوية، ولهذه الحركة الصوفية صحيفة تعبر عن أفكارها المعارضة للحركة الإصلاحية التي يمثلها الشيخ عبد الحميد بن باديس وهي جريدة:

"البلاغ":وقد كانت لهذه الطريقة هجمة كبيرة لجعل الجمعية في أيديهم واستخدامها في مقاصدهم الخاطئة، كما هي عادتهم في إلباس باطنهم لباس الحق ..وقد قرروا في اجتماع تولى كبره رئيسهم الأكبر أحمد بن عليوة محاربة الجمعية بكل وسيلة وبكل قوة[1]".

وجوهر التغيير والإصلاح يكون على أساس إصلاح النفس، والنقد لا يكون إلا بتدارك النقائص والعيوب الموجودة في بعض الفرق والطرق الصوفية لتصحيحها، وتثمين ظاهرة الفضائل، والحقيقة التي لا بد منها أن يبدأ التغيير من النفس، وأن يكون هناك نوع من التغيير ومن العقل النقدي.

ولم يكن هم الجمعية محاربة الطرق في تلك الفترة من أجل محاربتها وفقط، وإنما لأجل ما وقع فيها من وهن وما علق فيها من شوائب أثرت على إستعدادها، وتقبلها لفكرة الإصلاح والتغيير والذي لا بد أن يبدأ منها، ثم ينتقل إلى الغير لأن الله لا يغير ما بقوم

[1]–جمعية العلماء المسلمين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، مرجع سابق، ص57.

حتى يغيروا ما بأنفسهم فتنبهت الجمعية لأهمية الإصلاح والتغيير حتى يحدث النهوض بالأمة من جديد.

"إن المحاولات التي سبقت الشيخ ابن باديس كلها جزئية فردية غير شاملة للوطن كله كما أشرنا من قبل، وتاريخ الثورات في الجزائر كان على هذا النحو حتى جاءت ثورة نوفمبر 1954م فعمت، والثورة الفكرية إنما حاولت أن تكتسب الصبغة العامة في عهد ابن باديس، ففترته فترة ذهبية خصبة من فترات الصراع الفكري، والعمل على تغيير المجتمع في تاريخ الجزائر المعاصر، فابن باديس هو الذي أدخل الجزائر في حركة النهضة الإسلامية العامة.[1] ".

وتكمل أهمية جمعية العلماء المسلمين لكونها اهتمت بالعلم وترسيخه لدى جيل الشباب، ومحاربة الفساد والأباطيل بكل أنواعها، حتى يكون هناك جيل واعي برسالته وبما يقوم به حتى يتسنى له الدفاع عن وطنه، وهذا ما تنبهت له جمعية العلماء المسلمين باكرا، فقامت بحملة شعواء على كل الفساد، خاصة فساد العقيدة لأنها الأساس في إيمان المسلم وعلى البدع والخرافات، ولا يكون التغيير إلا بإصلاحها، ومن الصعب محاربة المستعمر ما دامت هذه الشوائب عالقة.

"لأن المستعمر لا يطمئن به المضجع في هذه الديار ولا ترسخ جذوره إلا إذا مهدت له الأرض ونقيت ولا بد بعد وجود المقتضيات من إزالة الموانع، وموانع الإصلاح بهذه الديار وعوائقه هي طائفة أو طوائف تختلف إسماً وصفة[2]".

لأنهم يرون أن العامة إعتقدوا البدع والخرافات فروضا عليهم، فيجب التنبيه عليها بصيحة وبإعصار شديد، يزلزل أركان الفساد والأباطيل التي رسخت في عقائد المسلمين، وأن سبب نشأة جريدة "المنتقد":لهذا الغرض فكان إسمها نذيرا بالشر لأهل الضلال فإنه متحد لما نهو

[1]–عمار طالبي، آثار عبد الحميد ابن باديس، مجلد:1، مرجع سابق، ص،71.

[2]–جمعية العلماء المسلمين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، مرجع سابق، ص:49.

عنه، وهاتك لحرمة ما شرعوه في كلمتهم التي حذروا بها العامة وهي قولهم(إعتقد ولا تنتقد)"[1].

وهذه الكلمة كانت من قبل سبب ما آلت إليه الأوضاع من سيطرة الكنيسة على عقول الناس ومحاربتها للعلم والعلماء، فالإسلام يتيح لأتباعه التفكر والتدبر، وحتى الإيمان لا يرسخ في ذهن صاحبه من دون تدبر وتفكر، لذا فقد ركزت الجمعية على محاربة الإعتقادات الراسخة من دون دليل، بل بالبحث، التحري والتعلم، لأن العلم هو الأساس في الإيمان ولا يكون إيمان من دون علم وتعلم، لذا فقد ركزت على تعليم الشباب وتدريسه العلم النافع في دنياه وآخرته، وقد كانت هناك حركتان تسيران إلى جانب بعضها البعض في جمعية العلماء المسلمين:

"1-الحركة الأولى:مهمتها توعية الشباب والدفاع عن قيم الدين الحنيف ومحاربة البدع والأباطيل التي التصقت به وهي:"الحركة القلمية.

2-حركة التعليم:التي انتشرت بالمراكز المهمة من عمالة قسنطينة"[2].

ومما يؤكد أهمية الإصلاح الديني ودوره في توعية الشباب بالمخاطر التي كان يكيدها المستعمر له بسلخه عن دينه وهويته، وحتى اللغة العربية لم تسلم ذلك بمحاربتها، ومحاربة المدارس والزوايا التي كانت تعلم اللغة العربية والدين الصحيح ومن محاولات إغلاقها.

حتى إن إسم الجمعية قبل أن يكون باسم جمعية العلماء المسلمين فقد اقترح قبل ذلك أن يكون أسمها:

"(الإصلاح الديني) ولأن المصلحين هم أول من فكر في مشروع جمعية العلماء، وزعيمهم الأول هو من وضع ذلك الإسم ثم تغير إلى إسم الجمعية..إلا لغرض واحد وهو جمع القوى الموزعة من العلماء على إختلاف حظوظهم في العلم لتتعاون على خدمة الدين واللغة العربية والنهوض بالأمة الجزائرية من طريقهما[3]".

---

[1]-جمعية العلماء المسلمين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، مرجع سابق، ص:51.

[2]-المرجع نفسه: ص:51.

[3]-المرجع نفسه: ص:54.

فالدين وإصلاحه من الأوهام وما علق به، والإهتمام باللغة العربية تعليما وتدريسا للنهوض بشخصية الأمة كلها كانت عناصر مهمة، من أجلها قامت الجمعية، وما يلاحظ تداول هذه القيم الثلاث والتي اعتاد مولود قاسم يذكر بها في خطبه، وكانت جزءا مهم من قيم الإنية التي رسمها طيلة حياته ودافع عنها، وذلك ليس بغريب فقد رضع من حليب الجمعية الشيء الكثير الذي أهله لأن يكون أهلا لذلك.

وبشعوره بالفساد وما لحق الأمة من محاولات الفسخ والمسخ والنسخ، كما يعبر مولود قاسم عن ذلك دائما، ماجعله يقف بالمرصاد ضد كل من يحاول ضربها في هويتها، وعقيدتها الدينية، وهو ما جعل قبله جمعية العلماء تحس بالعبئ الثقيل الملقى على عاتقها، لمحاولة الإصلاح وخصوصا في:

"جهة الدين واللسان العربي، وهما الجهتان اللتان عرفت الأمة الجزائرية بالتمسك بهما والغيرة عليهما..فلم يمضي إلا قليل من الزمن حتى غمر الأمة شعور عام بلزوم إصلاح عام يشمل الدين والعلم والإجتماع[1]".

ولأن الإصلاح ليس بالشيء اليسير، وأن طريقه محفوفة دائما بالمخاطر والصعاب، فقد كان السر والسهولة في قيام الجمعية وتأسيسها رغم كيد الكائدين والأعداء هو استعداد الأمة لهذا المشروع العظيم، ولم يكن تأسيسها بالأمر السهل على الجماعات التي ألفت:

"استغلال جهل الأمة وسذاجتها، وعاشت على موتها ولكن التيار كان جارفا لا يقوم له شيء، فما كان من تلك الجماعات إلا أن تساير الجمعية في الظاهر وأسرت لها الكيد في الباطن[2]".

وأن أكبر تحدي كان يواجهها: هو الجهل المتفشي في المجتمع، لذلك فقد ركزت كل جهودها ومحاولاتها لمحاربته من خلال التعليم والتدريس، وفي نفس الوقت مع الإصلاح وتصحيح المسار من خلال ما رسب في عقول الجزائريين طيلة قرن من الإستعمار الفرنسي، وحتى يكون ذلك فقد شحذت الهمم، وشمرت السواعد لأجل ذلك وهو ما انعكس فعلا على دعوتها المباركة التي هي دعوة الأنبياء والرسل قبلها، بأن أثمرت جيلا متشبعا ومتمسكا بهويته

---

[1]–جمعية العلماء المسلمين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، مرجع سابق:55.

[2]–المرجع نفسه، ص:56.

والذي سيكون اللبنة الأولى في انطلاق وتفجير ثورة نوفمبر1954م:"الذي أرجع للجزائر حريتها واستقلالها، وأعاد لها سيادتها ومكانتها بين الدول والأمم، وساهم إلى أبعد حد ومباشرة في استرجاع بلدان المغرب كلها حريتها واستقلالها وسيادتها، بل وفي تحرير المستدمرات الفرنسية في افريقيا كلها، وضربت الجزائر، بفضله بقسط وافر في معركة تحرير العالم الثالث، وإقعاد المعتدين مقعد خزي وعار[1]".

وكل هذه الجهود المبذولة للإصلاح والتغيير، مما علق في قلوب ونفوس الجزائريين طيلة عقود مضت، موازاةً مع التركيز على التربية والتعليم، من خلال الإهتمام بالتدريس لم نجدها لدى مولود قاسم والذي كان يركز على الهوية، والإهتمام بها لكنه أهمل الأهمية القصوى للتربية والتعليم وحتى لدى البنات، خصوصا لما وأد مشروعه المتعلق بالتعليم الأصلي لم يبقى على نفس الخط والسيرة الذي كان يتمتع بهما بخصوص التعليم، الذي رأينا فيه الجمعية كيف كان اهتمامها بهذه الفئة من المجتمع لأنها النواة الأولى في تربية جيل محملا بمبادئ دينه ومتخلقا بأخلاقه، وهذا لا يعني أننا نُنكر دور وفضل مولود قاسم بهذا الشأن، لكن الدور الذي كسبه بعد الإستقلال خصوصا السياسي منه ربما جعله يبتعد تدريجيا عن الإهتمام بهذه المواضيع وإن كان يتطرق إليها أحيانا في خطبه، لكن جهوده كانت قليلة مقارنة بدور جمعية العلماء في هذا الشأن والذي ركزت فيه على الفرد والأسرة من خلال التربية والتعليم وفي نفس الوقت مع الإصلاح الذي تميزت به ضد كل مظاهر الفساد في المجتمع خصوصاً من جانب العقيدة ومحاربة البدع والخرافات والتي لم يألوا جهدا مولود قاسم في محاربتها رغم منصبه السياسي بعد الإستقلال، وهو ما أهل الجمعية لأن تتبوأ مكانة ومركز قيادي، جعلها بفضل الله السبب في إصلاح المجتمع مما علق فيه من رواسب آفات وخرافات، لهذا ترى الجمعية بالإختلاف بين الأمة الجزائرية وغيرهما من الأمم، من ناحية اللغة أو التاريخ المشترك، والتي لاتجمع بينها وبين هذه الأمم، عكس مولود الذي كان يحاول الجمع وتقريب وجهات النظر، وسد الإختلافات ما أمكن ذلك.

---

[1]–مولود قاسم نايت بلقاسم،ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر،دار الأمة، الجزائر،طبعة:2007،ص:8.

المبـــحث الثاني: مالك ابن نبي

تمـــهيد:

يعتبر **مالك ابن نبي***صاحب مشروع فكري وحضاري، وقد كان الرجل عميقا في فكره وفي طرح القضايا المتعلقة بأسباب الضعف والهوان التي يعيشها المسلم اليوم، وكبديل عن ذلك فقد قدم رؤيته في أهم كتبه خاصة فيما يتعلق بشروط النهضة، المشكلة الثقافية والفكرة الأفروآسيوية، إلى غير ذلك من كتبه القيمة، والتي تعكس روح مفكر إستطاع النفاذ لما يعانيه الشعب الجزائري، وقد كان كالجراح الماهر الذي وضع يده على الداء، واستطاع شخيص الدواء بما كان يستجليه من حقائق عاشها كفرد من أفراد هذا المجتمع والوطن العربي والإسلامي بصفة عامة، ومازالت أفكاره ورؤياه التي طرحها إلى يومنا هذا محط الإعجاب، بل إنها ساعدت حتى بعض الشعوب وخاصة في شرق آسيا لدراستها ووضع مشاريع وأطروحات لهذا المفكر العظيم، لإستخلاص العبر منها من مشاكل الإستعمار إلى مشاكل الثقافة وقد كانت أفكاره نبراسا لها لتتقدم وتستفيد منها.

1.الثقافة عند مالك ابن نبي:

يعد تشخيص مالك ابن نبي لمسألة الثقافة تشخيصا دقيقا:فقد سمى أحد أهم كتبه بمشكلة الثقافة وذلك لأهميتها، كما قام فيه بتشخيص سبب التأخر، والإستعمار الذي عانى منه الشعب الجزائري الغني بمقوماته وثقافته، رغم الإرث، الأفكار والثقافة الذي يحمله منذ أجيال، فرأى أنه لا بد من توجيه الأفكار مع تحديد الأهداف والمسار، وخاصة في الجانب التربوي، وليس مجرد إنتاجها:"وليس يكفي مطلقا أن ننتج الأفكار، بل يجب أن نوجهها طبقا لمهمتها الإجتماعية المتحدة التي نريد تحقيقها"[1].

*–ولد مالك ابن نبي عام:1905 في مدينة قسنطينة،أخ وحيد لثلاث شقيقات، درس في فرنسا لعدة سنوات،كما نعلم في حلقات المساجد في قسنطينة على يدالشيخ عبد المجيد، وقد اعجب مبكرا بجمعية العلماء المسلمين ونهجهم الإصلاحي،وقد توفي عام:1973م(فوزية بريون،مالك ابن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة،دار الفكر،دمشق،2010،ص:104،وما بعدها بتصرف)

[1]–مالك ابن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر المعاصر، بيروت، طبعة 4، 2000، ص:67.

وبهذا تعد ثقافة التربية وتوجيه الأفكار بما يتناسب وثقافة المجتمع أمرا مهما، لأن لكل مجتمع خصوصياته بما يتناسب مع هويته.

إن أهم ما يميزها عدم الثبات والصيرورة التاريخية، لذلك فهي تختلف حسب الأوقات والأزمنة، لذلك يرى بأنه:

"لكي نحدد الثقافة علينا تحديدها في ضوء تصورنا لوضعها التاريخي، أي بوصفها حركة مستمرة(صيرورة)فإن التاريخ في منعطفات هائلة خطيرة، يتحتم فيها هذا التعرف، والنهضة في العالم الإسلامي في إحدى تلك المنعطفات، والثقافة من الأمور الأساسية التي تتطلب تعريفين:

أ-يحددها في ضوء حالتنا الراهنة.

ب-يحددها مصيرنا[1]".

وحتى نستطيع تحقيق الوصول للهدف وتحقيق نهضتنا، علينا تصفية كل الشوائب التي علقت بالماضي، من خلال مبدأ تصفية نقائص وتثمين إيجابيات ميراثنا التاريخي، فلا ننسى الماضي، وكذلك بمواكبة المستقبل:

"ولن تتأتى هذه التصفية إلا بفكر جديد، يحطم ذلك الوضع الموروث عن فترة تدهور مجتمع، يبحث عن وضع جديد هو وضع النهضة، ونخلص من ذلك إلى ضرورة تجديد الأوضاع بطريقتين:

الأولى: سلبية تفصلنا عن رواسب الماضي.

الثانية:إيجابية تصلنا بالحياة الكريمة.[2]"

---

[1]-مالك ابن نبي،مشكلة الثقافة،مرجع سابق،ص:70.

[2]-المرجع نفسه، ص:71.

2.مفهوم الثقافة من خلال السياق التاريخي:

يعتبر مالك ابن نبي فيلسوف التاريخ والحضارة، ولذا فهو لا يخفى اهتمامه بالجانب التاريخي للأمة من أسباب الإزدهار، وحتى التدهور والأفول، فالتاريخ جزء مهم من حضارة أي أمة، وهنا يلتقي مالك ابن نبي ومولود قاسم في أهمية التاريخ، والفكرة الدينية والتي جزء مهم في تكوين ثقافات الشعوب منذ آدم، فالتاريخ والدين مكونان أساسيان من مكونات الهوية عند مولود قاسم، وإرث ثقافي لدى مالك ابن نبي، هذه الثقافة:"التي تضمن وتجمع خصائص المجتمع المتحضر، بكل جزيئية من جزئياته، من عادات وعبقريات متقاربة، وتقاليد متكاملة، وأذواق متناسبة، وعواطف متشابهة، بعبارة جامعة:هي كل ما يعطي للحضارة سمتها الخاصة ويحدد قطبيها: من عقلية ابن خلدون، وروحانية الغزالي، أو عقلية ديكارت، وروحانية جان دارك هذا هو معنى الثقافة في التاريخ"[1].

وأكثر ما يركز عليه مالك ابن نبي أهمية التاريخ وما يسجله للأمة من مآثر، وعن أسباب الإنحطاط، لذا فدراسة الحضارة والتاريخ أمر مهم، لمعرفة مكامن الضعف والقوة من خلال تاريخنا، فالحتمية التاريخية تعيد نفسها من خلال تكرار نفس الأسباب والتي تؤدي حتميا لنفس النتائج وهو ما يسميها مالك ابن نبي بدورة الحضارة:

"تحتم علينا في حل مشكلاتنا الاجتماعية أن ننظر مكاننا من دورة التاريخ، وأن ندرك أوضاعنا، وما يعترضنا من عوامل الإنحطاط وما تنطوي عليه من أسباب التقدم، فإذا ما حددنا مكاننا من دورة التاريخ، سهل علينا أن نعرف عوامل النهضة أو السقوط في حياتنا[2]".

لذا فليس من الغرابة أن يعنون الدورة التاريخية بالدورة الخالدة، لكون مالك ابن نبي يرى أنه لا مجال للصدف في الكون، فالحضارات مثلها مثل الإنسان هناك أسباب لنموها وإزدهارها، وأسباب لتقهقرها وتراجعها.

---

[1]–مالك ابن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص:77.

[2]–مالك ابن نبي، شروط النهضة، ترجمة:عبد الصبور شاهين، إشراف:ندوة مالك ابن نبي، دار الفكر، دمشق، بتاريخ:1986 م، ص:47

ويؤكد قول نيتشه:"إنه من السنن الأزلية أن يعيد التاريخ نفسه، كما تعيد الشمس كرتها من نقطة الإنقلاب[1]".

فهل التاريخ يؤكد هذا القول أو ينفيه؟ هل كلما تكررت نفس الأسباب تؤدي لنفس النتائج؟ وهل للتاريخ دورة تتكرر دائما إذا كانت هناك الأسباب الداعية لذلك، وفي حالت توفر نفس الشروط؟

يرى مالك ابن نبي أن هذه قاعدة قرآنية وسنة من سنن الكون التي لا تتغير بحال من الأحوال، لقول الله تعالى:

"سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣ "[2]

وكما وضحها ذلك العبقري، عمدة المؤرخين (ابن خلدون)[3]"، وأن التاريخ مطابق للقرآن الكريم، حتى أنه يشبه الحضارة بالشمس التي تدور حول الأرض، تشرق ثم تغرب، وهكذا دأب الحضارات والدول من إشراق إلى غروب وأفول، إن الشمس لا تقف فهي في سيرورة وتحول دائمين، لهذا على القادة الإتعاظ بغيرهم من الحضارات وما عانته في سقوطها وأفولها.

فالزمن عند مالك ابن نبي ليس فقط وقت، وإنما هو نهر جاري يمر من خلال التاريخ منذ أن خلق الله الإنسان وسخر له الأرض التي يمشي عليها لذا فهو محكوم بهذه الشروط التي تحدد مصيره وبقاءه، لأنه ببساطة يحكمه الزمن والتراب الذي يمشي عليه، فإذا عرف كيف يستعملهم لصالحه، أنتج حضارة، أما إذا لم يعرف كيف يستغلهم كان الافول والسقوط، لهذا فهو يجعل من شروط الحضارة:

---

[1]–مالك ابن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص:47

[2]–سورة الفتح، الآية:23.

[3]–مالك ابن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص:49

" ناتج حضاري=الإنسان+تراب+وقت."[1]

لكن هذا الناتج عند مالك ابن نبي متوفر ومنذ القدم، وأن الحضارة لا توجد بوجوده فهذه الأشياء موجودة ومكدسة قديما وحديثا، ما ينقص في ذلك عند مالك ابن نبي هو تدخل مركب رابع، وهو ما يطلق عليه مركب الحضارة، وهو موجود ومنذ القدم لكن السر في كيفية استعماله ومزجه مع هذه العناصر وهو المركب الديني:"فكما يدل عليه التحليل التاريخي الآتي مفصلا، نجد أن هذا (المركب) موجود فعلا، هو الفكرة الدينية التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ[2]".

فالدين عند مالك ابن نبي هو المركب الذي يجمع هذه العناصر، وأنه من دون الفكرة الدينية لا يكون هناك تحول في فكر الشعوب، فالدين يمنح لأتباعه التحرر والثورة على الإستبداد والعبودية، ويعطي أكثر أمثلة من خلال التاريخ فكل فكرة اختلطت بالدين كونت حضارة وأي فكرة لا يوجد فيها المركب الديني لا تستطيع تحقيق الحضارة:"فالدين الإسلامي وجد أرضاً عذراء، تستطيع أي فكرة دينية جديدة أن تمد فيها جذورها، وعن المسيحية فلقد ولدت بأرض مزدحمة بالثقافات والأديان القديمة فكان من العسير في هذه الظروف أن تجد عناصر إجتماعية حرة كافية كيما تحدث تركيبا جديدا..فلكي تحدث المسيحية مجالها المناسب كان عليها إذن أن تغادر مهدها..وهذه الحالة ترينا أن تأثير فكرة دينية معينة رهن ببعض شروط الجغرافية الإنسانية، فإن لم تجدها في موطنها هاجرت لتجدها في مكان آخر[3]".

فالعمل التاريخي كما يرى مالك ابن نبي هو صنيعة أشخاص من خلال أفكارهم وبتأثير عالم الأشياء:

"إن صناعة التاريخ تتم تبعا لتأثير طوائف اجتماعية ثلاث:

أ-تأثير (عالم الأشخاص).

---

[1]– مالك ابن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص:44.

[2]–المرجع نفسه، ص:46.

[3]–مالك ابن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر،الجزائرطبعة:ثالثة، سنة:1986م، ص:59

ب–تأثير (عالم الأفكار).

ج–تأثير (عالم الأشياء)"[1].

3.مفهوم الثقافة تربويا:

أهم ما يميز الفكر التربوي عند مالك ابن نبي هو التركيز على الغايات والوسائل، من خلال توضيح الأهداف والوسائل المتناسبة معها، وأنها دستور حياة لجمع المواطنين على اختلاف ثقافتهم ومركزهم الاجتماعي:" فهي ليست علما خاصا لطبقة من الشعب دون الأخرى، بل هي دستور تتطلبه الحياة العامة.[2]"

وكذلك هي في جانبها المادي ما يوحد أفراد المجتمع ويجمع بينهم، وإن اختلفت ثقافاتهم، فهي كالوظيفة التي يقوم بها راعي الغنم، وفي نفس الوقت يقوم بها العالم، فهناك أشياء تجمعهم، وثقافة تربطهم، ويشبهها بالدم الذي يجمع الكريات الحمراء والبيضاء، ورغم ذلك يغذي الجسم:"والثقافة هي ذلك الدم في جسم المجتمع يغذي حضارته، ويحمل أفكار(الصفوة) كما يحمل أفكار العامة، وكل ذلك منسجم في سائل واحد من الإستعدادات المتشابهة، والإتجاهات الموحدة والأذواق المناسبة[3]".

يخلص مالك ابن نبي إلى أن:"الثقافة تتدخل في شؤون الفرد، وفي بناء المجتمع، وتعالج مشكلة القيادة كما تعالج مشكلة الجماهير[4]".

فكل ثقافة لا تكون منتجة لأفكار تواكب العصر وتساعد على نهضة المجتمع وبناءه، فهي ثقافة سلبية، تشوبها النقائص لذا علينا معالجة ما حل بها من نقائص، وأن تكون الثقافة مسايرة لروح العصر.

---

[1]– مالك ابن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص:27.

[2]–مالك ابن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سابق ص:77.

[3]–المرجع نفسه، ص:78.

[4]–مالك ابن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص:78

وأن التربية الفردية تنعكس على المجتمع، لهذا إهتم مالك ابن نبي بالفرد ومحاولة إصلاحه وكثيرا ما كان يكرر الآية القرآنية التي هي سنة الله في خلقه، فتغيير مجتمع وإصلاحه، يبدأ من تغيير أفكار أفراده، لهذا فعنصر الإنسان وإصلاحه أمر مهم:

"إنه لكي يمكن التأثير في أسلوب الحياة في مجتمع ما، وفي سلوك نموذجه الذي يتكون منه، وبعبارة أخرى:لكي يمكن بناء نظام تربوي اجتماعي ينبغي أن تكون لدينا أفكار جد واضحة، عن العلاقات والإنعكاسات التي تنظم استخدام الطاقة الحيوية، وفي مستوى الفرد، وفي مستوى المجتمع[1]".

وما نلاحظه من خلال الفكرة التي يطرحا مالك ابن نبي أن الدين مكون من مكونات التاريخ، ومركب من مركبات الحضارة التي لا تستطيع أن تستغني عنه، وليس هوية وفقط، كما سبق عند مولود قاسم الذي جعله من عناصر الهوية للشعب الجزائري، وحتى التاريخ مثله مثل الدين، غير أنه شرط من شروط الحضارة إذا أحسنا استغلاله مع استغلال الطاقات البشرية التي خلقها الله وأودعها في الإنسان، باستغلال التراب الذي خلقه الله في خدمته، وهنا نلاحظ الفرق بين المفكرين والذين عاشوا في فترة واحدة، فكانت فكرة المؤتمرات الإسلامية التي كانت تعقد في الجزائر من فكرة مالك ابن نبي، ومن تنفيذ مولود قاسم، وترجع لتربية جمعية العلماء المسلمين، فبفضل فكرهم نشطت هذه المؤتمرات، ليكونا في المجتمع مركب من مركبات الفكر الإنساني والعالمي، والذين أشرقت بفكرهم الجزائر، ومازالت ليومنا هذا كالمركب الذي يجمع في عناصره حب الجزائر، ومازالت أفكارهم وأقوالهم شاهدة على ذلك حتى يومنا هذا.

وأهم ما يميز فكر مالك ابن نبي إهتمامه بالفكرة الأفروآسيوية، وفكرة كومنوالث إسلامي، وكان من أول المدافعين عليها لدرجة إصدار كتاب بهذا العنوان الذي يحمله، وذلك لإعتقاده في أهمية تحقيق نهضة قوية إذا وقع هناك إتحاد إفريقي وآسيوي، لأن إفريقيا أرض المعادن والطاقات، كما أن آسيا أرض العمل والطاقات، وفعلا فآسيا كما تنبأ لها مالك

[1]–مالك ابن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق ص:78

ابن نبي بالقوة الهائلة التي تتمتع بها أصبحت تنافس أمريكا وأوروبا في ذلك، وما النمور السبعة إلا كمثال على ذلك.

فمحور طنجة جاكرتا أخذ بلب إهتمام مفكرنا لإعتقاده الجازم بأهميته حتى أنه رفعه لمستوى الحضارة الاجتماعية:

"فقد جمع تسعا وعشرين دولة تمثل قارتين بما تقلان من جموع بشرية، وما تضمان من تراث فكري متفاوت، بحيث تقف روحانية الإسلام على طرف، وماركسية الصين الشعبية على الطرف الآخر، وإن هذا الإطراد ليتجاوز في الواقعة رقعة إفريقيا وآسيا، إذ هو يمتد إجتماعيا من طنجة إلى جاكرتا، وأخلاقيا من واشنطن إلى موسكو، وينحو نحو تكامل مزدوج يرفع الرجل'الأفروأسيوي' إلى المستوى الاجتماعي للحضارة.[1]"

سنقوم بوضع جدول نحاول فيه المقارنة بين فكر مالك ابن نبي ومولود قاسم من حيث أوجه التشابه، وأوجه الإختلاف والإلتقاء بين الفكرين.

4.أوجه التشابه والإختلاف بين الفكرين مالك ابن نبي ومولود قاسم نايت بلقاسم:

		مولود قاسم	مالك ابن نبي
أوجه التشابه والإختلاف	التاريخ	جزء من الهوية بسلبياته وإيجابياته وبكل مكوناته ومنذ القدم.	كعلم: للإستفادة منه في فهم الحضارة أسباب الإزدهار والتخلف للإستفادة منه
	الدين	جزء من الهوية وهو جامع لكل أفراد	جزء من الهوية وعلينا تنقيته مما وقع

[1]–مالك ابن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، ترجمة عبد الصبور شاهين، إعداد ندوة مالك ابن نبي، دار الفكر المعاصر، لبنان، الطبعة الثالثة، بتاريخ:2001م، ص:26

		المجتمع بكل مذاهبه وأطيافه	فيه من تشويه ومن مذاهب لا تمت بصلة للدين.
	اللغة	هي الجزء الثالث من هوية الأمة المجتمع لذا علينا تعريب الإدارات وكل المراسلات، حتى أن مولود كان فصيحا خطيبا مفوها	اللغة أمر مهم ضروري، لكن مالك ابن نبي كان يعاني من تعلم اللغة العربية نظرا لتكوينه باللغة الفرنسية.

فمالك ابن نبي الذي يركز على عنصر الإنسان كشرط من شروط الحضارة في بناء المجتمع، من حيث التقدم ومن حيث شروط النهضة، واهتمامه منصب على عنصر الفكرة الجيدة والمهمة، فالولاء للأفكار وللحق، وليس للأشخاص فهم معرضون للخطأ، وبالتالي نرى تركيز مولود قاسم على الهوية الجماعية للأمة، والتربية والتعليم الأصلي للنهوض بالأمة، فأما فيما يخص الفكرة والولاء لها أو للأشخاص، فتختلف منطلقات مولود قاسم عن مالك ابن نبي، نظرا لكون مولود متشبع بالفكر والمرجعية الإشتراكية والتي كانت تحت مظلة الفكر الواحد والحزب الواحد بغض النظر عن الفكرة سواءا كانت جيدة أو سيئة.

المبحث الثالث: محمد أركون والنقد المزدوج

1.مشروع محمد أركون*:

يندرج مشروع محمد أركون ضمن مشاريع نقد العقل العربي والإسلامي، وحتى الغربي منها، ولقد اهتمت جل هذه المشاريع بالعقل لكونه المنتج للثقافة والفكر، ومعرفة دوره والشروط المتوفرة لديه تاريخيا لإنتاج الفكر، وكذلك الخلفيات التي كانت تحكم العالم أنذاك وحتى في عصرنا الحالي، من ناحية كيفية تكون الأفكار والمعرفة في ظل هذا العقل بتحليل وتفكيك بنيته وبديهياته ومسلماته، والسياق الذي ظهرت فيه وكيفية إنتاجه للمعنى، ومن بين هذه المشاريع نجد مشروع محمد أركون الذي يتميز بإهتمامه بنقد العقل الإسلامي ومحاولة تحليل بنية هذا العقل لمعرفة الخلفية الثقافية لهذا العقل وكيفية اشتغاله:

"وفي هذا السياق يندرج مشروع محمد أركون، فهو صاحب برنامج نقدي شامل، يدرس شروط صلاحية كل المعارف التي أنتجها العقل الإسلامي، وهو مشروع ضخم، لا يستطيع فرد أن ينجزه لوحده، بل إن كل خطوط المشروع يحتاج إلى مؤسسات بحث علمية، وفريق كبير من المؤرخين واللسانيين والأنتربولوجيين، وعلماء الاجتماع، وعلماء النفس، والإقتصاد[1]".

ما يهمنا في مشروع محمد أركون هو استنطاق كتاباته حول مشروعه العقل الإسلامي لمعرفة سبب نقده للتراث الإسلامي من خلال نقده للعقل الإسلامي، وقد كان للمناهج الغربية وثقافتها تأثير كبير على محمد أركون في هذا الشأن.

لقد إنتقد محمد أركون العقل الإسلامي جملة وتفصيلا وحاول تطبيق المناهج الغربية على هذا العقل، كما أنه قد اخترع مفهوم إسمه الإسلاميات التطبيقية، فبدأ بتطبيق أكبر عدد

---

*–ولد محمد أركون سنة1928مبقرية توريرت ميمون بمنطقة القبائل الكبرى بالجزائر ليتعلم الفرنسية والأمازيغية ثم ينتقل لوهران لإكمال تعليمه الثانوي ثم الجزائر ليتحصل على شهادة ليسانس في اللغة والأدب العربي سنة:1952مثم ينتقل بعدها لباريس كأستاذ للتاريخ ثم يتحصل على الدكتوراه حول نزعة الأنسنة في الفكر العربي (محمد كيحل، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، ص:21)

1–كيحل مصطفى، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، منشورات دار الإختلاف، الجزائر، طبعة:20132م، ص:12.

من المناهج الغربية الحديثة على هذا العقل لدراسته: "يطرح الأسئلة الراديكالية على التراث العربي الإسلامي، ويدعوا إلى التحرير الفكري من خلال طرح مشكلة المقدس بشكل تاريخي وانتربولوجي مقارن، بهدف تحديد العلاقة بين الحقيقة والوحي، اللغة والتاريخ ..والمقارنة بين الأنظمة الدينية لمعرفة آليات إشتغالها..وغرضه من كل ذلك هو التحرر من اللاهوت الأقروسطي وتوليد لاهوت جديد ليبرالي إنساني، يستبعد المسلمات الدوغمائية، ويؤسس للقيم الفلسفية النقدية المناهضة للوثوقية والكلية، ورد الإعتبار للعقل في صياغة الأسئلة بعيدا عن كل سبق تيولوجي[1]".

أما الإشكالية التي حاول معالجتها محمد أركون هي إشكالية التأويل، ومفهوم الأنسنة الذي محوره الإهتمام بالإنسان، وعلاقته بغيره، سواءا بالعالم وكذلك علاقة الإنسان بالتراث، ومحور هذا الكون هو الإنسان بذاته، بعيدا عن كل علاقة تربطه بغيره، لذا فقد ركز على مفهوم هذا الإنسان في الفكر الإسلامي وهو ما يسميه بالأنسنة، مفهومه في الفكر الغربي، ما هي عوامل ظهوره؟ ولماذا لم يكتمل مشروع نهضة الإنسان في الفكر الإسلامي مثل الفكر الغربي؟

وكما سبق وأن ذكرنا في علاقته بالتراث، خصوصا الثقافي منه وعلاقة الإنسان بوطنه فكيف يتحدد هذا المفهوم في ظل التنوع الثقافي والعرقي؟

ولمعرفة أهمية العلمانية في دراسة ومقارنة الأديان، وكوسيلة مهمة في تفتح العقل، علينا أولا ضبط المفهوم، وسبب نشأتها في المجتمعات الغربية لتحديد دوره الذي نشأ لأجله ثم بعد ذلك نعرف أهمية العلمانية لدى محمد أركون.

2.مفهوم العلمانية:

لتحديد مصطلح العلمانية يجب أن تكون لنا نظرة عن سبب نشأته، وما هي الظروف المحيطة بذلك حتى نعرف معناه رغم أنه قد يكتنفه بعض الغموض، لكنه أخذ أبعادا وأهمية كبرى خصوصا في العصر الحديث، وفي الخطاب السياسي وحتى الديني.

[1]–كيحل مصطفى،الأنسنة و التأويل في فكر محمد أركون،مرجع سابق،ص:13

1.2.لغـــــة:

"مرادفة لكلمة عالم بالإنجليزية: laicisme، الفرنسية:laicisme مشتقة في اليونانية من كلمة شعب، رعاع أي عكس الكهنة، وهم النخبة من الماضي من ثم صارت الكلمة تدل على القضايا الشعبية"الدنيوية"، بعكس الكهنوتية"الدينية..وتفيد"الدهر، الدنيا، العالم، الزمن، اللامتناهي..وهي تفيد في الإنجليزية اللادينية أو الدنيوية.[1]"

2.2.إصطلاحا:

يعرفها جون هوليوك:"الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية دون التصدي لقضية الإيمان سواء بالقبول أو الرفض"[2].

وهو ما يسمى بالحيادية:أي أن الدول لا تتدخل في اعتقادات الأشخاص لا بفرضها عليهم، أو حتى من ناحية النهي عنها، ولكن ما نلاحظه في الدول التي تدعي العلمانية أنها لا تطبق ذلك فعليا، خصوصا فيما يتعلق بالمعتقدات الدينية والتي تقوم بحملة شعواء، وكل شعار يثبت هوية الشخص الدينية، فحرية الإعتقاد:مبدأ مكفول في الإسلام وحتى في القوانين ودساتير هذه الدول، ودور الدول والحكومات ينحصر في متطلبات وإحتياجات مواطنيها من فرض قوانين تنظم حياتهم، وتظبطها مع إلزامهم بها.

وقد تعني بأن لا وجود للمعتقدات في الحياة العامة، وتعني أيضا في وجه آخر حرية ممارسة الطقوس الدينية من دون تضييق، ولهذا فهي بهذا تشجع على المواطنة بهذا المفهوم لأن مواطني أي دولة قد تختلف معتقداتهم، لكن في المقابل يجمعهم وطن واحد ومصير مشترك.

3.العلمانية في سبيل تحرير الفكر:

يعود أصل نشأة العلمانية في أوروبا بسبب تصرفات رجال الدين المسيحيين، وتحولهم إلى طواغيت مستبدين، وما كانوا يحققونه من فوائد نتيجة تسلطهم تحت غطاء الإكليروس، وبيعهم لصكوك الغفران،"وقد أسسوا محاكم للتفتيش ضد كل من يخالفهم من العلماء، فإذا ثبت على أحدهم شيء من التهم قبضوا عليه، وفعلوا فيه الأفاعيل مثل:(جردانوا) صانع

---

[1]–مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص:353.

[2]–المرجع نفسه، ص:354.

التلسكوب، فعذب عذابا شديدا، (وسبينوزا): صاحب مدرسة النقد التاريخي كان مصيره الإحراق[1]".

وقد تعرض كثير من رجال العلم للحرق أو القتل بحجة مخالفة قوانيين الرب، أو أوامر الكنيسة، وقد استمر هذا الحال حتى ضعف سلطان رجال الكنيسة:

"بسبب كثرة الإنشقاقات والصراع من أجل النفوذ، وحاولت البروتستانتية وغيرها لإجتذاب النفوس إليها من خلال تحرير العقول، فانتصر العلم وجعل دعاة العلم يحاربون ليس دعاة الدين فقط بل جعلوا يحاربون كل الأديان، وهنا نشأت العلمانية وظهرت شعاراتها (الدين لله والوطن للجميع) (لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين)[2]".

وقد نشأت العلمانية كرد فعل ضد رجال الدين، ومن ثم انتقل إلى الدين المسيحي بحد ذاته، ثم إلى بقية الديانات، وحتى الدين الإسلامي لم يكن بمعزل عن إتهامات العلمانيين له بتقييد حرية الرأي والتفكير، ولذا حاولوا عزل جميع الأديان، ودراستها بوضع مناهج حديثة لإثبات زيفها أو ما علق فيها من أباطيل وأساطير، ومن هنا يأتي مشروع محمد أركون النقدي في إتجاهه العلماني لدراسة العقل الإسلامي والتراث، ولتحقيق ذلك يرى محمد أركون أن العلمانية بصفتها:

"موقفا أمام مشكلة المعرفة، وأن الأمر قد إنتهى به إلى:"تلك القناعة الفكرية التي تقول بأن العلمنة هي أولا وقبل كل شيء، إحدى مكتسبات وفتوحات الروح البشرية[3]".

وعن العلمنة فهو يرى بأن البعض يعتقد بأنه لا يمكن أن يكون ضمن خط العلمنة بسبب إنتمائه الإسلامي وأن العلمنة التي يقصدها هي "موقف للروح وهي تناضل من أجل امتلاك الحقيقة أو التوصل إلى الحقيقة"[4].

---

[1]–مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص:346.

[2]–المرجع نفسه، ص:347.

[3]–محمد أركون، العلمنة والدين الإسلام المسيحية الغرب، دار الساقي، لبنان، الطبعة: الثالثة، بتاريخ:1996م، ص:9

[4]–المرجع نفسه، ص:10.

وبدراستنا لمفهوم أركون للعلمنة حتى نحيط بالمفهوم النقدي للعقل الإسلامي الذي من منطلقاته الحيادية الدينية، وأخذ خطوة عن كل الأديان، سواءا الإسلام أو المسيحية، ودراسته بكل منطقية وعقلانية، وإخضاع التراث للنقد، والذي هو جزء من الثقافة في جانبها المادي، وحتى في مجالها المعنوي من عادات وتقاليد، فهو يرى بأن هذا التراث غير معصوم وقد إمتلئ بالأخبار والقصص الإسرائيلية، وأن العلمنة التي يقصدها ليست هي العلمانية المسيحية المتطرفة ضد الإكليروس، فهو يقسم العلمنة إلى عدة أقسام:"بالنسبة للمسلمين المغتبطون ومزهوون أكثر بيقينياتهم الدوغمائية، وبالنسبة للعلمانويين المتطرفين نجد أنهم يخلطون بين العلمنة الصحيحة وبين الصراع ضد الإكليروس"[1].

والعلمنة التي يراها محمد أركون هي ما شكلت تقدما للروح البشرية والتي ساهمت في فصل الدين عن الدولة والذي كان سببا من أسباب الروح العلمية الحديثة فالعلمنة هي الحياد، وبها تشكلت الحضارة المادية للغرب.

ويعتبرها قيمة إنسانية يجب أن تشمل العالم الإسلامي الذي له خصوصياته الثقافية، وسياقه التاريخي الخاص به: "إلا أن دفاعه عن العلمانية لا تخلوا من نقد هذه العلمانية، ونقد الأشكال الخاصة التي استعارها في التاريخ والتناقضات التي تمخضت عنها، والتي يجب تجاوزها:من خلال الدراسات المقارنة لتخطي كل النظم، سواء علمانية أو دينية والتي تحاول أن تنصب المحلي والتاريخي الإحتمالي.. إن كل ذلك يتضمن مسافة نقدية متساوية في نظر كل القيم الموروثة في كل تقاليد الفكر حتى عقل الأنوار، ويشمل هذا العقل كذلك، وكذلك الخبرة العلمانية المنحرفة في اتجاه العلمانوية الناشطة والمنحازة[2]".

4.الإسلاميات التطبيقية كمشروع بديل عن الإسلاميات التقليدية:

يندرج مشروع محمد أركون ضمن مجال العقلانية النقدية من خلال تعريض التراث العربي الإسلامي للنقد التاريخي، وحتى القرآن الكريم في إعادة قرائته في سياقه التاريخي،

---

[1]–محمد أركون، العلمنة والدين الإسلام المسيحية الغرب، مرجع سابق، ص:12.

[2]–محمد أركون، الأنسنة والإسلام، ترجمة وتقديم: محمود عزب، دار الطليعة، بيروت، طبعة: أولى، تاريخ: 2010 ص:9.

من خلال ترتيبه حسب أسباب النزول لمعرفة السياق التاريخي لنزول سوره وآياته:"فهو يندرج في مجال العقلانية النقدية والتي تهتم بالقراءة النقدية الحداثية للنص القرآني والتراث العربي الإسلامي ككل[1]".

كما أنه قد حدد عوائق كثيرة تكبح مشروعه ومن بينها الأرثودوكسية، سواءا الدينية أو غيرها من الدغماءات، والتي تدعي إمتلاك الحقيقة لهذا توصل إلى مفهوم الإسلاميات التطبيقية من خلال تطبيق وتوظيف أكبر عدد من المناهج السليمة، والأدوات المنهجية في الدراسات الإسلامية وأسلوب المقارنة لتحديد العلاقة بين الحقيقة والوحي، اللغة والتاريخ وحتى بين الأنظمة الدينية لتحديد ومعرفة كيفية اشتغالها في وقتها:" للتحرر من اللاهوت القروسطي وتوليد لاهوت جديد ليبرالي إنساني يستبعد المسلمات الدغمائية ويؤسس للقيم الفلسفية النقدية المناهضة للوثوقية والكلية، ورد الإعتبار للعقل في صياغة الأسئلة بعيدا عن كل سبق تيولوجي[2]".

ما يلاحظ في المناهج التي إعتمدها محمد أركون: أنها تعتمد على المناهج الغربية الحديثة ومحاولة إسقاطها وتطبيقها على التراث الإسلامي، أي عدم الوثوقية فيه تماما، وبالعكس الوثوق في المناهج الغربية لدراسة هذا التراث من: لغة، تاريخ ودين مهما كان نوع الدين، بل حتى الدين الإسلامي لا يختلف عن هذه الديانات من حيث السياق التاريخي وعلاقة الدين بالدولة، فكما هو معلوم أن الدين المسيحي ونشأة البرجوازية التي دعت لإنفصال الدين عن الدولة، تختلف تماما عن ماهي عليه في الدين الإسلامي الذي لم يكن لديه مشكلة مع العلم والعلماء عكس المسيحية، وكذلك إخضاع الدين لهذه المناهج وللدراسة النقدية، رغم اختلاف الأزمنة والأمكنة لا يؤدي للدور والهدف المنوط به دائما، ولا يؤدي لنفس النتائج فيما يخص المقارنة بين الأديان، ويعرض حتى مقومات الهوية من دين، لغة وتاريخ للنقد التاريخي، وهذا ما يؤدي ربما للشك والنقد في كل هذه المقومات، وحتى الشك

---

[1]–محمد أركون، العلمنة والدين، الإسلام المسيحية الغرب، مرجع سابق، ص:16.

[2]–المرجع نفسه، ص:13.

في العقيدة الإسلامية من خلال تعريض القرآن الكريم والحديث النبوي لمثل هذه المناهج عكس المناهج القديمة والتي اجتهد فيها الأقدمون لإثبات حجيتهما وصحتهما ومحاولة استبدالها بمناهج غربية وقراءات تطبيقية:"من خلال الدعوة لتحرير العقلي والفكري بطرح أسئلة راديكالية على التراث، ومن خلال طرح مشكلة المقدس بشكل تاريخي وأنتربولوجي مقارن، بهدف تحديد العلاقة بين الحقيقة والوحي واللغة والتاريخ[1]".

يحاول محمد أركون بهذه الدراسة أن يتسلح بكل علوم الإنسان الحديثة وحتى علم الاجتماع وعلم التاريخ، تاريخ الأديان، علم النفس، وعلم اللغة، وهذا كله لدراسة الإسلام:"إننا نشهد اليوم ظهور نظرة جديدة تأتي من داخل المجتمعات الإسلامية نفسها، هنا تكمن نقطة الإنطلاق من الإجبارية إلى الإسلاميات التطبيقية[2]".

5.نقد العقل الإسلامي:

تظهر محاولات أركون من خلال مشروعه النقدي للعقل الإسلامي، والتوسع أكثر فيشمل نقد العقل الديني بصفة عامة، ليصل إلى العقل اللاهوتي عند أهل الكتاب، فلماذا لم يبدأ مشروعه بنقد العقل العلماني المتعصب كما يصف هو ذلك؟

ولماذا لم يبدأ بنقد العقل الديني المسيحي والذي هو سبب ظهور العلمانية النقدية التي تحرر العقل كما ينافح عنها ويدافع؟

ثم بعد ذلك ينتقد العقل اليهودي رغم أن هذه العقول قد تأثرت بالتحريف والتبديل مما لا يخفى على عاقل وخصوصا في كتبها المقدسة، عكس الإسلام الذي بقي كتابه من دون تحريف إلا مما وقع في الحديث النبوي، وهنا كان محمد أركون أن يدرج مشروعه ويبدأ بالأولويات عكس ما ابتدأ به من نقد العقل الإسلامي والإنتقال لبقية العقول الكتابية؟

---

[1]–كيحل مصطفى، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، مرجع سابق، ص:13

[2]–محمد أركون، الأنسنة والإسلام، مرجع سابق، ص:10

وحتى اللغة العربية مثلها مثل الدين الإسلامي لم تسلم من النقد لأنها كأداة ولسان هذا العقل فيرى أركون أنها تأثرت بالإديولوجيات الدينية:

يعتبر نقد العقل الإسلامي مشروع محمد أركون بامتياز، من خلال البحث في التراث والتنقيب فيه باستعمال آخر المناهج الحديثة والذي توصل إليه الغرب من خلال علوم الإنسان المختلفة ومفهوم المتخيل والأسطورة، وعلوم التاريخ والنفس واللغة والدراسات المقارنة للدين، هذه الأخيرة والتي لم تعد تخيف العلماء المعاصرين كما كانت سابقا بل يالعكس:

"فطريقة استيعابها أصبحت تختلف عما كان الحال لدى المؤمنين التقليديين المسجونين داخل (السياج الدغمائي المغلق) فالدراسة المقارنة للتجارب الروحية والتاريخية للأديان التوحيدية الثلاثة الكبرى تثبت لنا ضرورة تجاوز المفهوم التيولوجي السكولاستيكي الذي سيطر طيلة قرون وقرون[1]".

إنه مشروع تاريخي وأنتربولوجي معا، وما يثيره من أسئلة أنتربولوجيا عبر مراحل التاريخ بعلاقة الدين والدولة، المعقول واللامعقول، الحلال والحرام، والمخيال والضمير.

فهذه الدراسات التطبيقية تفتح مجالات وتصورات جديدة للفكر وتعطي نظرة جديدة للإسلام فنقد العقل كما يعتقد محمد أركون:

"هو تجديد الفكر العربي الإسلامي لكي يصبح أكثر قدرة على مواجهة مشاكل مجتمعنا الحالي وما أكثرها[2]".

وهو ليس سلبي بالمعنى المتعارف عليه من كلمة نقد والذي توحي إليه الكلمة، أوأنه يمس بمقدسات الإسلام، فهو يقصد بها:

---

[1]–محمد أركون، من الإجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، دار الساقي، بيروت، طبعة: أولى،1991م، ص:7

[2]–المرجع نفسه، ص:9.

"نقد التجسيد التاريخي والتطبيقي للمبادئ المثالية الروحية، فهناك الوحي وهناك التاريخ، هناك المثال الأعلى وهناك التطبيق[1]".

فتجسيد هذه المبادئ على أرض الواقع هو الحل، من خلال عرضها على محك النقد التاريخي، لأن ما حدث من تضارب واختلاف في ذلك الوقت من نزاعات وصراعات، جعل الديني يتلوث بها، لذا فيرى أركون أن الحل يكون في هذا النقد من خلال:

" تلخيص التجربة الروحية الإسلامية الكبرى من كل ما علق من أوشاب، أوصاب على مدار التاريخ ولذا فهو عمل إيجابي لا سلبي، نظرا لتدهور التقديس..ولا يمكن أن يعود للمقدس صفاؤه، وللدين بهجته الأولى وللتعالي تنزيهه وسموه، إلا بعد وضع التجربة التيولوجية الإسلامية على محك النقد التاريخي الصارم، عندئذ يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود[2]".

إن العلوم التي ظهرت من فقه وتفسير وحديث وغيرها، يرى أركون أنها من ليست إلا من صنع البشر فعلينا إخضاعها للتجربة النقدية، والنقد التاريخي لمعرفة الصحيح من الزائف وما علق بها من تصورات غير إسلامية على مدى العصور الإسلامية.

"وتأثرت اللغة العربية بهذا التاريخ العقائدي والدغمائي المضاد للتاريخ المتقيد بمناهج النقد وقوانين تاريخية، وهكذا أصبحنا غير قادرين أن نترجم اليوم مفهوم الأرثودكسية بكل أبعاده الإيديولوجية بالنسبة للسنة، لأن أهل السنة والجماعة احتكروا المفهوم لصالحهم وعدلوا عن معناه في القرآن مثلا[3]".

ما نلاحظه لدى محمد أركون هو اهتمامه بنقد العقل الإسلامي مما علق فيه رواسب عبر سنين وأحقاب زمنية مختلفة جعلته غير قادر على الإبداع كما كان في القديم، وهي

---

[1]–محمد أركون، من الإجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، مصدر سابق ص8.

[2]–مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص8.

[3]–محمد أركون، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، طبعة: ثانية،1995م، ص:20.

إشكالية كانت قد طرحت قبله لماذا تقدم غيرنا وتأخرنا؟ وقد توصل فيها إلى أهمية العقل كآلة منتجة للمعرفة، فما سبب في كونها كانت قديما منتجة ومبدعة ثم تعطلت فجأة هذه الآلة؟ ليصل إلى فكرة مفادها أن سبب ذلك يرجع إلى ما علق فيها مما لم يكن في الإسلام الصحيح والحقيقي، لهذا يرى أن نموذج العلمنة هو الحل الأفضل، إذا أردنا اللحاق بالركب، وكما فعلت أوروبا من خلال فصل الدين عن السياسة.

أما مسألة نقد العقل: كل هذه الجهود لم يلجأ إليها مولود قاسم من خلال الاهتمام بالهوية والتراث الإسلامي، فكما هو معلوم أن التراث لم يسلم مما لحق به من إسرائيليات وأباطيل جعلت من اللازم تمحيصه لتطهيره منها، ومعلوم أن مولود قاسم لم يتطرق إليها نظرا لإهتمامه ولتعدد مناصبه، أولإهتمامه بالتاريخ وتراث الأمة بإيجابياته وسلبياته، وهذا لا يعني إنكار فضل مولود قاسم وجهوده في هذا الشأن، وكذلك بالقول بأن محمد أركون وإن إهتم بالعقل والعلمنة في سبيل التنوير، وبمشروعه النقدي لم يكن إيجابيا من دون نقائص أو سلبيات، لأنه كما هو معلوم قد اعتمد على منهج الغرب في تمحيص هذا التراث ونقده، ولكنه يبقى كشعلة نور في ظلام دامس بدأت بالتذكير بأهمية العقل في إنتاج المعرفة للوصول للإسلاميات التطبيقية التي تجعل العقل منتجا للمعرفة، ومتخلصا مما علق فيه من الرواسب عن طريق العلمنة الصحيحة التي كان يرى بها محمد أركون:"وكذلك من خلال محاولته الإعتراف بالنموذج الفيدرالي للدولة الجزائرية الذي يعترف ويتيح الحق من استعمال الثقافة المغاربية(الجنس الأمازيغي)كثقافة جزائرية تعود إلى تاريخ شمال افريقيا التي تتميو بالتعددية الثقافية..عكس ما نجده عند مولود فهو يعترف بالنموذج اليعقوبي الذي ينفي التعددية الثقافية لأجل الحفاظ على وحدة الأمة الجزائرية[1]".

وهذا كله لغاية المحافظة على مقومات الإنية الجزائرية من:(دين إسلامي، ولغة عربية، تاريخ مشترك، وحب الوطن).

[1]–فارس خيرة، التأصيل الثقافي لدى مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ص:157.

خاتـــــــــــــــمة

خاتـــــمة:

في ختام بحثنا المعنون ب:"المواطنة والتنوع الثقافي عند مولود قاسم نايت بلقاسم"، والذي يستحق فعلا أن يكون فيلسوف الإنية والهوية الجزائرية، والتي اهتم بها أيما اهتمام، حتى عد من منظريها ومفكريها، في وقتنا المعاصر، كنموذج جزائري بامتياز، فشخصية الجزائر وتاريخها الحافل بالنضالات قد استحوذ على اهتمام مولود قاسم، حتى تحسبه مرة مؤرخا، ومرة أخرى فيلسوفا ومفكرا لما يتعلق الأمر بالهوية، بالإضافة لإهتمامه بعنصر اللغة العربية، وحب الوطن الذي استحوذ على فكره من خلال محاضراته وخطبه.

وقد خلصنا في بحثنا هذا حول مجموعة من النتائج أبرزها:

1-إهتمام مولود قاسم بالهوية للأمة الجزائرية واستبداله لها بالإنية، لكونها أكثر تعبير عن ذات الجزائريين من الهوية، فهي ضاربة في أعماق التاريخ ومعبرة أكثر عن هذا الشعب الذي يشبه الرجل المعلق في الفضاء ورغم محاولات التشويه، إلا أنه مازال يحس بذاته وإنيته لم ينفصل عنها.

2-تتكون الإنية عند مولود قاسم من تاريخ مشترك ضارب في أعماق الزمن، وليست الأمة وليدة الإستعمار وسبب وجوده، أو هو من كونها لهذا ظل مولود ينافح عن هذه القضية طيلة حياته من خلال كتبه وأشهرها:"شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل:1830م" من خلال إثبات ذلك بالوثائق والدلائل التي تثبت قدم الأمة، وأنها ليست صنيعة الإستعمار كما يدعي البعض ممن يروجون لمقولته.

-إهتمامه بعنصر اللغة العربية لكونها لغة القرآن، ودفاعه عن التعريب حتى أنه عانى من أجل ذلك ما عاناه، واعتزازه باللغة حتى أنه كان يضرب المثل بالأمة الألمانية وتمسكها بهويتها من خلال التمسك بلغتها.

-الدين الإسلامي عند مولود قاسم يجمع الأمة ويوحدها منذ القديم لذا فقد حاول الإستعمار الفرنسي محاربته من خلال التضييق على المدارس القرآنية والزوايا، لأنه الشعلة المضيئة

والتي ما زالت باقية تقاوم الإستعمار منذ الأمير عبد القادر وحتى إعلان ثورة نوفمبر:1954م.

-حب الوطن عند مولود قاسم ليس شعارات جوفاء، بل هو جزء من الهوية والذي لا تكتمل إلا به، وأكبر مثال على ذلك تضحياته قبل الثورة وبعدها، وما لتسميته لإبنته الوحيدة بالجزائر إلا دليل على هذا الحب الكبير الذي يكنه المرحوم لوطنه.

-إن الحس الوطني من خلال التركيز على الإنية: يربي على المواطنة التي تترك صاحبها يتحمل المسؤوليات، ويؤدي الواجبات الملقى على عاتقه من دون أن يطالب بمقابل، وهو ما دأب مولود قاسم في التذكير به وإعادته لمقولة محمد عبده:(أن حب الوطن لا يعني عدم خيانتك له فقط، وإنما إن كنت تستطيع تقديم النصح ولم تقم بذلك فقد خنت وطنك)

-أن الثقافة والتنوع الثقافي بالنسبة للأمة الجزائرية على تعدد أعراقها وألسنتها، ساهم في تكون خليط متوحد يحب وطنه ويدافع عنه، وما مثال الذين فجروا الثورة، رغم اختلاف أعراقهم وإثنياتهم إلا أنه جمعهم حب الجزائر والدفاع عنها.

-أن المواطنة وإن لم يشر إليها مولود قاسم ولكنها كمفهوم بالإلتزام والتضحية في سبيل الصالح العام والوطن، من تأدية الواجبات قبل المطالبة بالحقوق موجودة في كل خطاباته ومحاضراته.

وما نشاهده اليوم من ذوبان الهويات في عصر العولمة، والغزو الثقافي للبلدان بدل الإستعمار المباشر، لدليل على أهمية توطين الهوية والإنية في نفوس أبنائنا، كما كان ينادي بذلك مولود قاسم حتى تكون مضاد حيوي لا يزول مفعوله بالزمن، مقابل ما يحدث من تكالب على الهويات والأوطان، فلنربي أبناءنا على الهوية ولنترك أبوابنا ونوافذنا أمام العلمنة وتحدياتها، وحتى إن لزم الأمر بإزالة السقوف، لأننا ببساطة سنعزل الداء ونقاومه بالدواء في مقابل مغريات الحضارة وتأثيراتها.

وفي الأخير وليس أخيرا مازالت موضوعات الهوية والمواطنة في ظل التعددية الثقافية والإثنية محل تساؤلات واستفسارات، في مقابل الغزو الثقافي الذي تحمله الأمبريالية العالمية بكل تجلياتها الثقافية والسياسية، وخصوصا الإقتصادية والذي أصبحت مأثرة في الأوطان، يبقى السؤال هو كيف سنكون مستقبلا؟ وكيف سنصبح في ظل هذه التحديات والتحولات؟ خاصة إن لم نتمسك بهويتنا وإنيتنا؟

قائمـــــة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

أولا.قائمة المصادر:

1-مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر،1975م.

2-مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم إنفصالية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، طبعة:1، سنة:1991م.

3-مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة:1830م، دارالأمة، الجزائر، طبعة:2012.

4-مولود قاسم نايت بلقاسم، ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر الفاتح نوفمبر، دار الأمة، الجزائر،2007م.

ثانيا.قائمة المراجع باللغة العربية:

1-أبو علي إبن سينا، الإشارات والتنبيهات، تحقيق:سليمان دنيا، القسم:الثاني:في الفلسفة الإسلامية، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر،بيروت،1992م.

2-أحمد بن نعمان، مولود بلقاسم نايت بلقاسم رمز كفاح أمة، دار الأمة، الجزائر، سنة: 1993.

3-أحمد بن نعمان، مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف، شركة دار الأمة، الجزائر، الطبعة الثانية،1997 م.

4-الأخضر شريط، إشكالية الخطاب بين الفيلسوف الألماني فيخته ومولود قاسم نايت بلقاسم، الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم المفكر الموسوعي والوطني الثائر:1927م-1992م، شركة دار الهدى، عين مليلة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة،2007م.

5-باتريك سافيدان، الدولة والتعدد الثقافي، ترجمة: المصطفى الحسوني، دار توبقال للنشر، دار البيضاء، المغرب، طبعة:1.

6-برا سنان، إشكالية المواطنة/الرعية في التراث السياسي الإسلامي، المركز الديمقراطي العربي للدراسات، برلين، طبعة أولى،2017

7-بشير خليفي، الفلسفة وقضايا اللغة قراءة في التصور التحليلي،منشورات الإختلاف، الجزائر، طبعة:أولى،2010م، ص:31

8-بيلو روبير، المواطن والدولة، ترجمة رضا نهاد، منشورات عويدات،بيروت،لبنان، طبعة ثانية ، سنة:1977م

9-جمعية العلماء المسلمين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، دار المعرفة، الجزائر، تاريخ:2008.

10-جورج فيلهم شيمبر، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان:1855/1830م، نقله:أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1975.

11-حنا الفاخوري، خليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، الناشر: مكتبة التقوى ناشرون للطبع والنشر، دار العلم والمعرفة، القاهرة، سنة:2020م

12-حسين جميل، حقوق الإنسان في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1987م.

13-ديوارنت ول وايريل، قصة الحضارة، ترجمة: د.عبد الرحمان عبد الله الشيخ، دار الجيل، بيروت،2002

14-رفاعة الطهطاوي، المرشد الأمين للبنات والبنين، تقديم: منى أحمد أبو زيد، دار الكتاب المصري، القاهرة، طبعة:2012م.

15-رفاعة رافع الطهطاوي، مناهج الالباب المصرية في مباهج الأداب العصرية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، م2014، القاهرة.

16-روبرت دال، الديمقراطية ونقادها، ترجمة: نميرعباس مظفر، مراجعة: فاروق منصور، طبعة: ثانية،2005م، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان.
17-سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، طبعة: ثانية، 1983م.

18-سعد بن عبد الله السبر، حب الوطن دراسة تأصيلية، إشراف: سليمان بن عبد الله أبا الخيل، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، المعهد العالي للقضاء، قسم الفقه المقارن،1431،1430هجرية.

19-شعبان عبد الحسين، الهوية والمواطنة البدائل الملتبسة والحداثة المتعثرة، بيروت، لبنان، طبعة الأولى، م2017.

20-صحاوي مقلاتي، فقه المواطنة في أصول الشريعة ومقاصدها، إعداد: عبد الحق حميش وآخرين، أوراق ثقافية للنشر، طبعة أولى،2017م.
21-عبد الحميد شيبان، من وثائق جمعية العلماء المسلمين، دار المعرفة، الجزائر، بتاريخ:2008

22-عبد المالك مرتاض، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثر والتأثير، دار الحداثة بالتعاون مع المطبوعات الجامعية، الجزائر، طبعة: أولى، سنة:1982م.

23-عاطف وصفي، الأنثربولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت، سنة:1971.

24-علي عبود المحمداوي، خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح، منشورات الإختلاف، الجزائر، طبعة:1، سنة:2019م.

25-علي يوسف، المواطنون بين المواطنة الدينية والمواطنة السياسية، دار المعارف الحكمية، بيروت، م2013.
26-عمار الطالبي، آثارإبن باديس، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر،2016م.

27–فولتير، رسالة في التسامح، ترجمة: هنرييت عبودي، دار بترا للنشر وتوزيع، سوريا، طبعة:أولى، بتاريخ:2009.

28–كيحل مصطفى، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، منشورات دار الإختلاف، الجزائر، طبعة:2،2013م

29–مالك ابن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر المعاصر، بيروت، طبعة:4، يتاريخ:2000م

30–مالك ابن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، الجزائر، طبعة: ثالثة، سنة:1986م،

31–مالك إبن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سنة: 1986م.

32–مالك ابن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، ترجمة عبد الصبور شاهين، إعداد ندوة مالك ابن نبي، دار الفكر المعاصر، لبنان، الطبعة الثالثة،بتاريخ:2001م

33–محمد أركون، العلمنة والدين الإسلام المسيحية الغرب، دار الساقي، لبنان، الطبعة:الثالثة، بتاريخ:1996م

34–محمد أركون، الأنسنة والإسلام، ترجمة وتقديم: محمود عزب، دار الطليعة، بيروت،طبعة:أولى، تاريخ:2010.

35–محمد أركون، من الإجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، دار الساقي، بيروت، طبعة:أولى ،1991م

36–محمد أركون، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، طبعة: ثانية،1995م

37–محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الرابعة،2000م، بيروت.

38-محمد الصالح الصديق، خواطر وذكريات عن الأستاذ الراحل مولود قاسم نايت بلقاسم، دار البعث، قسنطينة، بتاريخ:1993م

39-محمد الهادي الحسني، مولود قاسم فيلسوف رابط في جبهة التاريخ، الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم المفكر الموسوعي والوطني الثائر:1927م-1992م، شركة دار الهدى،عين مليلة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،قسنطينة،2007م

40-محمود أبو عبد الرحمان، آثار الشيخ مبارك الميلي، مكتبة دار الرشيد، الجزائر ،2015م.

41-مخلوف عامر، متابعات في الثقافة والأدب، منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين، دار هومة، الجزائر، طبعة:2002

42-مريم سيد علي مبارك، مثقفون خلال الثورة، دار المعرفة، الجزائر، تاريخ الطبعة 2012.

43-مصطفى النشار، الحرية والديمقراطية والمواطنة، الدار المصرية السعودية، القاهرة، طبعة:2009م.

ثالثا.قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

1-a-des, nouveau dictionnaire pratique quillet,librairie aristide-quilet,paris,france,1974.

2-cristaina a docte,grand dictioniare encyclopédique larouse,tome :3,1982,imprimé jean didier,lizy-sur,France,p :2273

3-Edward B.Taylor, la civilisation primative,traduit,Pauline Brunet,Paris,Libraires-editeurs,C.Reinwald et Ce, 1876.

رابعا.قائمة المعاجم والموسوعات:

1-ابن منظور، لسان العرب، قدم له: عبد الله العلالي، أعاد بناءه: يوسف خياط، دار الجيل، بيروت، 1988. 3-احمد رضا، معجم متن اللغة، مجلد الخامس، دار مكتبة الحياة، بيروت، سنة:1960م.

2-أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط:غبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت علي بن هادية، بلحسن البليش، الجيلاني بن الحاج يحي، القاموس الجديد للطلاب، تقديم محمود المسعدي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، طبعة السابعة، سنة: 1991م.

3-أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب، خليل أحمد خليل، تعهد وإشراف:أحمد عويدات، دار عويدات للنشر والطباعة، لبنان،طبعة:2012

4-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت،1994م.

5-سهيل ادريس، المنهل، دار الأداب، بيروت، طبعة: السادسة عشر،1995م

6-محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار الجيل، مصر،1995م.

7-محمود يعقوبي، معجم الفلسفة، الميزان للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة: 1973.

8-مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، طبعة: أولى،2009 م.

9-منير البعلبكي، المورد، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة:13، سنة:1973م.

خامسا.قائمة المجلات:

1.مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، السنة الأولى، رقم العدد:17،18، بتاريخ:أوت 1971.

سادسا.رسائل الماجستير والدكتوراه:

1-تاحي إسماعيل، مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوي بقسنطينة، سنة:2007/2006م.

2–فارس خيرة، التأصيل الثقافي لدى مولود قاسم نايت بلقاسم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه،ل.م.د، شعبة الفلسفة، جامعة مستغانم،2018/2017.

3–قصير مهدي، مفهوم المواطنة في المدرسة الجزائرية بين التصور والممارسة، أطروحة دكتوراه علوم، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، سنة:2015–2016.

فـــــــــهرس المواضيع

إهـــــــــــــــــــــداء 4
شـــــــــكر وتـــــقدير 5
مقـــــــــــــــــــــدمة 6
الفصل الأول: مدخل تاريخي مفاهيمي .....أ
المبحث الأول: ماهية المواطنـــــــــــة:.....13
1.مفهوم المواطنة: *14*
1.1.في اللغة: 14
2.1.إصطلاحا: 17
2.نبذة تاريخية عن نشأة المواطنة في الفكر الغربي: *20*
1.2.المواطنة عند الرومان: 20
2.2.المواطنة الغربية في العصر الحديث: 22
3.2.المواطنة الغربية في العصر المعاصر: 23
4.2.المواطنة في الفكر العربي الإسلامي: 25
5.2.المواطنة في الفكر العربي المعاصر: 29
1.مفهوم التنوع: *32*
2.الثقافـــــــة: *32*
1.2.المفهوم اللغوي: 33
2.2.إصطلاحا: 35
3.خصائص الثقافة: *39*
1.3.الثقافة إنسانية مكتسبة: 39
2.3.الثقافة إجتماعية: 40
3.3.الثقافة متنوعة ومتغيرة: 40
4.3.الثقافة إنتقالية تراكمية وتكاملية:.....41
4.أهمية الثقافة: *42*
المبحث الثالث:المرجعية الفكرية لمولود قاسم نايت بلقاسم 44

1.المرجعية الدينية: 44

2.المرجعية الوطنية والأمازيغية من خلال جمعية العلماء المسلمين: 45

3.المرجعية العربية الإسلامية: 47

4.المرجعية الثورية التحررية: 49

5.المرجعية التاريخية ودراسة تاريخ الجزائر: 50

6.المرجعيةالغربية: 51

الفـــــــصل الثاني: المشروع الفكري لمولود قاسم نايت بلقاسم 55

المبحث الأول: الذات التاريخية: 56

تمـــــــهيد: 56

1-شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830م: 57

2.التاريخ جزء من هوية الأمة: 60

3.التشويه الذي تعرض له تاريخ الجزائر: 61

4.التحريف وتشويه التاريخ بسبب قلة التأليف في تاريخ الجزائر 63

5.الذات التاريخية المتأصلة في القدم: 67

المبـــــــحث الثاني: الأصـــالة والمعاصرة..... 69

تمـــــــهيد: 69

1.الأصـــــــــالة: 70

2.الأصـــــــالة وشخصية الأمة: 70

3.الشـــــخصية: 70

4.الـــــــذات: 71

5.الأصالة أم المعاصرة: 72

6.تقسيم مولود قاسم المتعصبين للأصالة والمنكرون لها 74

الفريق الأول:المتعصبين للأصالة:..... 74

الفريق الثاني:المنكرون للأصالة المقلدون للغرب 74

المبـــــــحث الثالث: 1.الإنـــــــــية 78

1.1. مفهومها عند ابن سينا: 78

2.1.تعريف لالاند للأنا 79

2.مفهوم الهوية:1.2.لغة: 79
2.2.المفهوم الإصطلاحي: 80
3.الإنية عند مولود قاسم نايت بلقاسم: 81
4.الإنية أم الهوية 83
5.عناصر الإنية عند مولود قاسم..... 84
1.5.اللغة العربية: 84
2.5.الديـــــن: 90
1.2.5.أهم خصائص ومميزات الدين: 94
3.5.حب الوطن..... 94
الفصل الثالث: سؤال المواطنة والمشكل الثقافي في فكر مولود قاسم نايت بلقاسم..... 96
المبحث: الأول: المواطنة من منظور مولود قاسم نايت بلقاسم: 97
تمـــــهيد: 97
1.مفهوم الوطن: 98
1.1.أقسام التمدن: 99
2.الفرق بين حب الوطن والوطنية والمواطنة 100
1.2.حب الوطن: 101
2.2.الوطنية: 101
3.2.المواطنة:..... 102
3.التربية على حب الوطن: 106
4.أهمية التربية على حب الوطن في الإسلام..... 108
5.أهمية ترسيخ قيمة حب الوطن عند مولود قاسم 110
المبحث الثاني: مشكلة الثقافة والحضارة..... 111
1.مفهوم الحضارة:1.1.لغة 111
2.1.المعنى الإصطلاحي 111
مفهوم المدنية وعلاقتها بالحضارة 112
2.المدنـــــية: 112
3.الثقافـــــــة: 112

1.3.المفهوم اللغوي 112
2.3.إصطلاحا: 115
4.الثقافة وعلاقتها بالحضارة عند مولود قاسم نايت بلقاسم: 118
5.العادات والتقاليد وأهميتها الثقافية..... 120
المبحث الثالث: التنوع الثقافي وجدلية الأنا والآخر..... 122
1.معنى التنوع الثقافي 22122
2.التنوع الثقافي وأثره على الوحدة الوطنية عند مولود قاسم 124
3.علاقة التنوع الثقافي بالمواطنة تضاد أم إحتواء 125
4.التنوع الثقافي وجدلية الأنا والآخر..... 126
5.الأنـــــا 126
6.جدلية الأنا والآخر عند مولود قاسم: 127
7.الأنا والأخر في الفكر الغربي الحديث: 130
1.7.الإعتراف بالآخر في المجتمعات الغربية 130
2.7.المساواة بين الأنا والآخر:..... 131
3.7.التسامح مع الآخر..... 132
الفصل الرابع: مسألة الانتماء والمواطنة في الخطاب الفكري الجزائري المعاصر 136
المبحث الأول:جمعية العلماء المسلمين: 137
تمهيـــــــد: 137
1.الإصلاح عند جمعية العلماء المسلمين في الجزائر 137
2.إتجاهات الإصلاح 138
3.الإصلاح التربوي والتعليمي عند جمعية العلماء المسلمين:..... 139
4.الإصلاح الاجتماعي عند جمعية العلماء المسلمين 143
5.الإصلاح الديني عند جمعية العلماء المسلمين 148
المبـــــحث الثاني: مالك ابن نبي 153
تمـــــهيد: 153
1.الثقافة عند مالك ابن نبي 153
2.مفهوم الثقافة من خلال السياق التاريخي: 155

3.مفهوم الثقافة تربويا *158*

4.أوجه التشابه والإختلاف بين الفكرين مالك ابن نبي ومولود قاسم نايت بلقاسم: *160*

المبحث الثالث: محمد أركون والنقد المزدوج 162

1.مشروع محمد أركون: *162*

2.مفهوم العلمانية: *163*

1.2.لغـــــة 164

2.2.إصطلاحا: 164

3.العلمانية في سبيل تحرير الفكر: *164*

4.الإسلاميات التطبيقية كمشروع بديل عن الإسلاميات التقليدية: *166*

5.نقد العقل الإسلامي *168*

خاتـــــــــــــــمة 172

قائمـــــة المصادر والمراجع 176

فـــــــــهرس المواضيع 184

الملخص:

تحمل إشكالية المواطنة في بيئة متعددة الثقافات أبعاداً مختلفة: سياسية، ثقافية، واجتماعية، وحتى إقتصادية، لذا اهتمت الحكومات المعاصرة بهذا المفهوم، لكونه عنصر وحدة يجمع بين مختلف فئات المجتمع على أساس التساوي في أداء الواجبات، والمطالبة بالحقوق في إطار قانوني، ومن بين هذه الدول نجد الجزائر والتي من مفكريها المعاصرين مولود قاسم نايت بلقاسم الذي اهتم بالإنية، وبثقافة الأمة الجزائرية على اختلاف وتعدد ثقافات الشعب الجزائري، وذلك للمحافظة على الوطن من خلال الاهتمام بهذه المقومات، وفي التكامل فيما بينها.

الكلمات المفتاحية:مواطنة، ثقافة، إنية، التنوع، وحدة.

Summary:

The problem of citizenship in a multicultural environment involves different dimensions : political,cultural,social and even economic.

For this reason, contemporary governments have paid attention to this concept, because it is an element of unity that brings together the various groups in society on the basis of equality in the performance of duties and the demand for rights within a legal framework.

Among these countries we find algeria, whose most famous thinker is Mouloud kasem Nait Belkasem,who was interested in the identity and culture of the Algerian nation,which was and still is characterized by being a multicultural people.

The intended purpose of all this interest is to preserve the homeland by focusing on its components and the nature of integration between them.

Keywords: citizenship, culture, identity.diversity,unity